

## بسم الله الرحمن الرحيم

### تحذير الهدي النبوي من الفتن، وسبل النجاة منها – (إصدار رقم ٢)

أجمع في هذا الملف بعضاً من الأحاديث النبوية الصحيحة الخاصة بالإمارة والفتن وشرح العلماء عليها، وبعض المواضيع الفقهية الخاصة بهذا الأمر، وكذلك بعض الإجابات على أسئلة وجهت للدكتور البوطي رحمه الله بخصوص الفتنة التي تمر بها سوريا، ثم بعض المقالات والأبحاث وبعض الحوادث التاريخية التي فيها عبرة والتي تقرب إلى الذهن فهم بعض الأحكام الشرعية التي كانت غريبة علينا أو على معظمنا قبل هذه الفتنة التي تمر بنا.

وفي هذا الملف بعض ما استطعت جمعه خلال السنوات الماضية، وربما أضيف لاحقاً إن شاء الله بعض المواضيع الأخرى إن وجدت ضرورة لهذا، وسيتم عندها تغيير رقم الإصدار الموجود في العنوان أعلاه.

وقد حاولت قدر الإمكان تصحيح بعض الأخطاء الإملائية والنحوية في المواضيع التي أخذتها من الإنترنت، ولكن لا أقول أي صححتها كلها، وربما أقوم في إصدار لاحق بتصحيح أكبر.

هذا، وفي موقع نسيم الشام مقالات وأبحاث وأسئلة أخرى لمن أراد المزيد، وأرجو أن يكون في هذا العمل الفائدة.

وأنصح بقراءة كتاب (الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، لنفهم كيف يكون الجهاد الإسلامي الحقيقي، الذي يعيد الحقوق ويردع الأعداء ويحقن الدماء، لا الجهاد الذي سوقت له بريطانيا وأمريكا، الذي يتم عن طريقه سفك دماء المسلمين وإثارة الفتن فيما بينهم، للأسف بأيدي مسلمين، ويصور للغربيين صورة مشوهة منقّرة عن الإسلام، وعدونا جالس يتفرج علينا ويقيم الاحتفالات لهذا.

وقراءة كتاب (هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس) للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، لنطلع على مرحلة تاريخية هامة في تاريخ الدولة الإسلامية وهي المرحلة التي احتل فيها الصليبيون القدس لمدة تزيد عن مئة عام، كيف كانت الحالة الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية؟ وما هو موقف علماء المسلمين وقتها كالفارسي؟ وكيف كان الحل؟.

ثم قراءة كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) وكتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) لنفهم كيف يتم تطبيق الخطط الاستعمارية وكيف تتم المؤامرات على الشعوب، وكيف يستغل العدو نقاط الضعف والجهل والعصبية في المجتمعات وكيف يقومون بإثارة النعرات الطائفية والعرقية كخطوة أولى للاستيلاء على مقدرات الشعوب أولاً واستعبادهم ثانياً.

أخيراً، يمكن تحميل هذا الملف أو الإصدارات الأحدث، من موقع (نسيم الشام) على شبكة الإنترنت.

## المحتويات

٧	من أحاديث الفتن والإمارة .....
٨	مقدمة .....
٩	حديث ١: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه .....
١١	حديث ٢: ... فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا .....
١٣	حديث ٣: من كره من أميره شيئاً فليصبر .....
١٤	حديث ٤: ... تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .....
١٦	حديث ٥: ... تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .....
١٩	حديث ٦: ... فالزمه وإن نكح جسمك وأخذ مالك .....
٢٢	حديث ٧: ... وإذا رأيتم من ولا تكلم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة .....
٢٤	حديث ٨: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم .....
٢٦	حديث ٩: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا .....
٢٧	حديث ١٠: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية .....
٢٨	أحاديث أخرى .....
٢٩	مواضيع وأبحاث خاصة بالإمارة .....
٣٠	أمر الأمراء والسلاطين ونهيبهم عن المنكر - الإمام الغزالي .....
٣١	وعظ السلاطين - من خواطر ابن الجوزي .....
٣٢	مسائل في أحكام الإمام - الإمام النووي .....
٣٤	بيان طرق انعقاد الإمامة العظمى - الإمام النووي .....
٣٦	انعقاد الإمامة بالقهر والغلبة - د. وهبة الزحيلي .....
٣٩	البغاة: تعريف البغي وأحكام البغاة - د. وهبة الزحيلي .....
٣٩	أولاً. تعريف البغي: .....

- ٤٠..... ثانياً. أحكام البغاة:.....
- ٤٣..... البغاة: د. محمد سعيد رمضان البوطي.....
- ٤٤..... الإجماع، ومسألة الخروج على الحاكم.....
- ٤٧..... الخلل في فقه الخروج على الحاكم - د. يوسف القرضاوي.....
- ٤٧..... الصبر على جور الأئمة.....
- ٤٨..... نظرة في الأحاديث الواردة.....
- ٥١..... تخريج الأحاديث.....
- ٥٤..... نظرات في فقه جماعات العنف - د. يوسف القرضاوي.....
- ٥٤..... البداية بالأوطان!.....
- ٥٤..... فهمهم لابن تيمية.....
- ٥٥..... الطعن في شرعية الأنظمة.....
- ٥٥..... تغييرهم للمنكر باليد.....
- ٥٥..... تكفيرهم للمجتمعات.....
- ٥٦..... استباحة دماء السياح.....
- ٥٧..... حكم الخروج على الحاكم الذين يقتربون المعاصي والكبائر - الشيخ عبد العزيز بن باز.....
- ٥٨..... الشيخ ابن عثيمين يُوضِّح شروط الخروج على الحاكم.....
- ٦٠..... أجوبة على بعض الأسئلة التي وردت للدكتور البوطي رحمه الله.....
- ٦١..... الراجح في مسألة الخروج على الحاكم أصولياً: ٢٠١١/٩/١٩.....
- ٦١..... هل صحيح أن حديث وإن جلد ظهرك معلول لا يؤخذ به؟: ٢٠١٣/١/٢٠.....
- ٦٢..... هل يعد خروج سيدنا الحسين على يزيد خروجاً على الحاكم؟: ٢٠١١/٧/٣٠.....
- ٦٢..... الاستطاعة من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٢٠١٢/٥/٣٠.....
- ٦٣..... ضابط الخروج على الحاكم: ٢٠١١/٧/٤.....
- ٦٣..... التوفيق بين حديثين شريفيين: ٢٠١٢/٦/٢٠.....
- ٦٣..... كيف نوفق بين حديث تسمع وتطيع وحديث ومن قتل دون نفسه فهو شهيد؟: ٢٠١١/١٠/٥.....
- ٦٤..... هل يُستدل بكلام سيدنا أبي بكر في إباحة الخروج على الحاكم؟: ٢٠١٢/١٠/٣٠.....
- ٦٤..... متى تثبت الإمامة الشرعية للحاكم؟: ٢٠١١/١٠/٥.....
- ٦٥..... الطريقة السلمية لتغيير الحاكم: ٢٠١١/١٢/١٢.....
- ٦٥..... هل يوجد كفر أكثر من قتل المسلمين؟: ٢٠١١/٧/١٠.....

- ٦٦..... ما معنى كلمة الفتنة؟: ٢٠١١/٦/٢٣.....
- ٦٦..... في هذه الفتنة ما الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه؟: ٢٠١٢/٦/١٤.....
- ٦٦..... الوسيلة الأنجع في درء الفتنة: ٢٠١١/٧/٧.....
- ٦٧..... المنهج السلي في أيام الفتن!!: ٢٠١١/٦/١٤.....
- ٦٧..... الإعجاز النبوي في توقي الفتن وأسبابها: ٢٠١٢/٢/٦.....
- ٦٨..... السؤال عن السبب أولى من السؤال عن حكم النتيجة: ٢٠١١/٧/٧.....
- ٦٨..... معالجة السبب أولى من النتيجة: ٢٠١١/٦/١٤.....
- ٦٩..... لا أحب أن أدافع عن موقف من هذه الفتنة: ٢٠١٢/٥/٥.....
- ٦٩..... إنما الأعمال بالنيات: ٢٠١١/٧/١٠.....
- ٦٩..... حكم الصلاة على الصور: ٢٠١١/١٠/٥.....
- ٧٠..... حكم الخروج في المسيرات والمظاهرات عام: ٢٠١١/٧/٢٢.....
- ٧٠..... لماذا لا تبث فتوى حرمة قتل المتظاهرين على التلفاز؟: ٢٠١١/٦/١٤.....
- ٧٠..... لم أكن مؤيداً أو معارضاً وإنما محذراً من بلاء أعظم: ٢٠١٢/٢/٢٨.....
- ٧٣..... أجوبة الدكتور البوطي عن خطبته والنفير العام.....
- ٧٤..... هربت من الجيش خشية التسبب بالقتل: ٢٠١٣/٣/١٢.....
- ٧٤..... لماذا تحول الحكم من الاعتزال إلى الدفاع عن البلاد؟: ٢٠١٣/٣/١٢.....
- ٧٥..... النفير العام متى يجب والمقصودون منه: ٢٠١٣/٣/١٢.....
- ٧٥..... تطبيق صورة النفير العام اليوم كل بحسب ما أقامه الله به: ٢٠١٣/٣/١٢.....
- ٧٦..... هل يتعارض النفير اليوم مع حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما؟: ٢٠١٣/٣/١٢.....
- ٧٧..... مقالات وخطب متفرقة.....
- ٧٨..... إلى هواة الأخيصة الكاذبة - د. محمد سعيد رمضان البوطي.....
- ٨٠..... عندما يغدو الإسلام خادماً للسياسة... وليس العكس.....
- ٨١..... التاريخ يعيد نفسه، والموقف بقي ثابتاً على الرغم من الأذى والتهديد - مقتطفات من كتاب (وهذه مشكلاتنا).....
- ٨٢..... الهوى المقنع بالدين .. بلاء خطير - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٩٨٧/٥/٢٩.....
- ٨٥..... الجبناء الذين يستأجرون الجرأة من أعدائهم - د. محمد سعيد رمضان البوطي: تشرين الثاني ٢٠٠١.....
- ٨٧..... عندما يتحول الإسلام إلى أداة بيد السياسة - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠١٢/١٢/٧.....
- ٩٠..... إنهم يصرون على خنق الإسلام بحبال الجهاد - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠١٣/١/٤.....
- ٩٢..... هذا ما قلته في مهرجان الإمام عليّ كرم الله وجهه - د. محمد سعيد رمضان البوطي: ١٩٩١.....

- ٩٨..... الفتن وخطورتها، وكيفية النجاة منها
- ٩٩..... الفتن التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٩٨٢/٢/٢٦
- ١٠٢..... واقع المسلمين والفتن - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٩٨٢/٣/١٢
- ١٠٥..... من الذي يجب علي اتباعه في مثل هذه الأيام - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٩٨٣/٤/١
- ١٠٧..... واقعنا الحالي وخطأ الحكام و المحكومين والحل لهذه الأزمة - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٩٩١/٢/١٥
- ١١٠..... الفتنة هي الباب الذي يدخل منه العدو إلى ديار المسلمين - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠٠٥/٣/١١
- ١١٢..... كلمة وجهها الدكتور البوطي إلى الإسلاميين في الجزائر أيام الفتنة في تسعينيات القرن الماضي
- ١١٦..... إن الفتنة وكلت بثلاث - د. محمد أبو الفتح البيانوني (مشاركة من الإنترنت)
- ١١٨..... العلماء والدعاة في الفتنة الشعواء - عبد الله لعريط من الجزائر
- ١٢٢..... خطورة التكفير
- ١٢٣..... حذار حذار من بدعة التكفير - خطبة جمعة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٢٠١١/٧/١
- ١٢٦..... بيان من هيئة كبار علماء السعودية
- ١٢٩..... التحذير من خطر التكفير - للشيخ حسن بن محمد الهدار
- ١٣٣..... خطورة التكفير - خطبة جمعة للدكتور محمد توفيق رمضان البوطي ٢٠١٣/٦/٢٨
- ١٣٦..... أساليب العدو في استغلال الشعوب وخداعهم
- ١٣٧..... الأسافين البريطانية لتفتيت الوحدة الإسلامية - خطبة جمعة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٢٠٠٣/٩/٥
- ١٤١..... أن الأوان أن ندرك الحقيقة - د. محمد سعيد رمضان البوطي: ٢٠١١/٦/٦
- ١٤٣..... قصة الطابور المستأجر لتشويه الإسلام - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠١٢/١١/٢
- ١٤٦..... من خفايا الثورة الفرنسية - للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله
- ١٥٠..... قصص وعبر من التاريخ
- ١٥١..... لماذا لم يشغل بديع الزمان النورسي فكره بالحرب - بديع الزمان النورسي
- ١٥٣..... كيف تصرف الإمام العز والإمام النووي في ظروف شبيهة بظروفنا اليوم - الدكتور أسامة السيد الأزهري
- ١٥٥..... منهج العلماء الريانيين في مواجهة الأزمات (١) - د. نصح الشامي
- ١٥٩..... منهج العلماء الزناتيين في مواجهة الأزمات (٢) - كيف تأخر سقوط دولة الإسلام في الهند مائتي سنة؟ - د. نصح الشامي
- ١٦٣..... عبرة من التاريخ - الشيخ: علي بن يحيى الحدادي حفظه الله
- ١٦٥..... أين أنت يا شيخ حسن حبنكة، ألم يرث حكمتك إلا البوطي؟ للأستاذ بدر الدين الخراط
- ١٦٦..... وصول عبد الملك بن مروان إلى الحكم ومقتل عبد الله بن الزبير - الكامل في التاريخ لابن الأثير
- ١٧٢..... فتنة ابن الأشعث وأخذ العبر منها - خطبة للشيخ سلطان العيد

- ١٧٩ ..... فتنة خلق القرآن ومحنة الإمام أحمد بن حنبل - البداية والنهاية لابن كثير.
- ١٨٣ ..... رأس النفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول. ومعاملة المنافق في الإسلام للدكتور البوطي.
- ١٨٣ ..... عبد الله بن أبيّ بن سلول - موقع إسلام ويب
- ١٨٥ ..... معاملة المنافق في الإسلام - فقه السيرة للدكتور البوطي.
- ١٨٧ ..... أخيراً
- ١٨٨ ..... موقف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي من منتقديه: ٢٠١١/٥/١٢





## مقدمة

لقد تعرضت الأمة على مر العصور إلى عدة أزمات وعدة فتن، ومما لم يعد هناك شك فيه أن ما تتعرض له سوريا الآن هو فتنة أيضاً، وللنجاة منها علينا أن ندرس الفتن السابقة وأقوال العلماء فيها ومواقفهم، بل إن النجاة كل النجاة (أي النجاة بالدين) هي بتطبيق أوامر المصطفى عليه الصلاة والسلام التي أمرنا أن نتبعها إن أدركتنا إحدى تلك الفتن وهو الذي قال:

"إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"

وقد قرن عليه الصلاة والسلام بين طاعة ولي الأمر (فيما لا معصية فيه وإن جار كما في أحاديث أخرى) وبين تجنب الفتنة كما في الحديث، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة سأتى على ذكرها إن شاء الله في هذه السلسلة، سأنقلها من كتب الصحاح مع تعليق العلماء عليها، حتى لا يقال أي أفهم الحديث كما أشتهي أن أفهمه، على الرغم من وضوح معانيها.

والغاية من هذه الطاعة كما سيأتي هي جمع الكلمة ودرء الفتنة وحقن الدماء، لا الركون إلى الظلم أو المداهنة، فهذا شيء وذاك شيء آخر، والفرق واضح، وهذا ينطبق على أي حاكم مسلم طالما استتب له أمر الحكم بأي وسيلة من الوسائل التي بينها العلماء والتي سيأتي ذكرها لاحقاً.

وعلى فرض أنه تم مخالفة هذه الأحاديث واستتب أمر الحكم لآخر فالطاعة واجبة له أيضاً، بغض النظر عن الذنب الذي تلبس به هذا الحاكم الجديد وأنصاره بخروجه على سابقه طالما أن الأمر قد استتب له.

وما دعاني إلى نقل هذه الأحاديث أمران: الأول تسهيل الاستشهاد بها عن طريق وضع الرابط فقط، والثاني هو أن البعض لا يكلف نفسه عناء التأكد من الحديث الذي نذكره له فيفترض (بحسب علمه الغزير كما يعتقد) أننا نحرفه بسبب سوء حفظنا أو أننا نفهمه على غير معناه.

وسأبدأ بنقل الحديث الموجود في هذه المقدمة وشرحه للإمام النووي.

## حديث ١ : إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه...

روى مسلم في صحيحه: حدثنا زهير بن حرب وإسحق بن إبراهيم قال إسحق أخبرنا وقال زهير حدثنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال:

دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خبائه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر.

فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول: "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" قال: فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله وواعصه في معصية الله.

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير وأبو سعيد الأشج قالوا: حدثنا وكيع ح وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية كلاهما عن الأعمش بهذا الإسناد نحوه وحدثني محمد بن رافع حدثنا أبو المنذر إسماعيل بن عمر حدثنا يونس بن أبي إسحق الهمداني حدثنا عبد الله بن أبي السفر عن عامر عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة الصائدي قال رأيت جماعة عند الكعبة فذكر نحو حديث الأعمش.

### شرح الإمام النووي:

قوله: (ومنا من ينتضل) هو من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

قوله: (ومنا من هو في جشره) هو بفتح الجيم والشين، وهي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها.

قوله: (الصلاة جامعة) هو بنصب الصلاة على الإغراء، وجامعة على الحال.

قوله صلى الله عليه وسلم: (وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً) هذه اللفظة رويت على أوجه: أحدها وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة: (يرقق) بضم الياء وفتح الراء. ويقافين، أي: يصير بعضها رقيقاً، أي: خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقاً، وقيل: معناه يشبه بعضها بعضاً، وقيل: يدور بعضها في بعض، ويذهب ويحيى، وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويتها، والوجه الثاني (فيرقق) بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة، والثالث: (فيدقق) بالبدال المهملة الساكنة وبالفاء المكسورة أي: يدفع ويصب، والدقق الصب.

قوله صلى الله عليه وسلم: (وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان يلزم ألا يفعل مع الناس إلا ما يجب أن يفعلوه معه.

قوله صلى الله عليه وسلم: (إن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) معناه: ادفعوا الثاني، فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله ولا ضمان فيه، لأنه ظالم متعد في قتاله.

قوله: (فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾ { إلى آخره) المقصود بهذا الكلام: أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأول، وأن الثاني يقتل، فاعتقد هذا القائل هذا الوصف في معاوية لمنازعته علياً - رضي الله عنه -، وكانت قد سبقت بيعة علي فرأى هذا أن نفقة معاوية على أجناده وأتباعه في حرب علي ومنازعته ومقاتلته إياه، من أكل المال بالباطل، ومن قتل النفس، لأنه قتال بغير حق، فلا يستحق أحد مالا في مقاتلته.

قوله: (أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله) هذا فيه: دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد.

قوله: (عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة الصائدي) هكذا هو في جميع النسخ بالصاد، والذال المهملة، وكذا نقله القاضي عياض عن جميع النسخ، وقال: وهو غلط، وصوابه (العائدي) بالعين والذال المعجمة، قاله ابن الحباب والنسابة هذا كلام القاضي. وقد ذكره البخاري في تاريخه والسمعاني في الأنساب فقال: هو (الصائدي) ولم يذكر غير ذلك، فقد اجتمع مسلم والبخاري والسمعاني على (الصائدي) قال السمعياني: هو منسوب إلى (صائد) بطن من همدان، قال: وصائد اسم كعب بن شرحبيل بن شراحبيل ابن عمرو بن حشم بن حاسد بن حشيم بن حوان بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد ابن سهلان بن سلمة بن ربيعة بن أحبار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

**حديث ٢: ... فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا...**

روى البخاري في صحيحه: حدثنا إسماعيل حدثني ابن وهب عن عمرو عن بكير عن بسر بن سعيد عن جنادة بن أبي أمية قال:

دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله حدث بحدِيث ينفَعك اللهُ به سمعته من النبي صلى اللهُ عليه وسلم، قال:

دعانا النبي صلى اللهُ عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كُفراً بواحدكم من الله فيه برهان.

**جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري:**

**قوله:** (حدثنا إسماعيل) هو ابن أبي أويس.

**قوله:** (عن عمرو) هو ابن الحارث وعند مسلم "حدثنا عمرو بن الحارث".

**قوله:** (عن بكير) هو ابن عبد الله بن الأشج، وعند مسلم "حدثني بكير".

**قوله:** (عن بسر) بضم الموحدة وسكون المهملة، ووقع في بعض النسخ بكسر أوله وسكون المعجمة وهو تصحيف، وجنادة بضم الجيم وتخفيف النون، ووقع عند الإسماعيلي من طريق عثمان بن صالح "حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو أن بكيرا حدثه أن بسر بن سعيد حدثه أن جنادة حدثه".

**قوله:** (دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله حدث بحدِيث) في رواية مسلم "حدثنا" وقولهم "أصلحك الله" يحتمل أنه أراد الدعاء له بالصلاح في جسمه ليعافي من مرضه أو أعم من ذلك، وهي كلمة اعتادوها عند افتتاح الطلب.

**قوله:** (دعانا النبي صلى اللهُ عليه وسلم فبايعناه) ليلة العقبة كما تقدم إيضاحه في أوائل كتاب الإيمان أول الصحيح.

**قوله:** (فقال فيما أخذ علينا) أي اشترط علينا.

**قوله:** (أن بايعنا) بفتح العين (على السمع والطاعة) أي له (في منشطنا) بفتح الميم والمعجمة وسكون النون بينهما (ومكرهنا) أي في حالة نشاطنا وفي الحالة التي نكون فيها عاجزين عن العمل بما نؤمر به.

ونقل ابن التين عن الداودي أن المراد الأشياء التي يكرهونها، قال ابن التين: والظاهر أنه أراد في وقت الكسل والمشقة في الخروج ليطابق قوله منشطنا. قلت: ويؤيده ما وقع في رواية إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن عبادة عند أحمد "في النشاط والكسل".

**قوله:** (وعسرنا ويسرنا) في رواية إسماعيل بن عبيد "وعلى النفقة في العسر واليسر" وزاد "وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

**قوله:** (وأثرة علينا) بفتح الهمزة والمثلثة وقد تقدم موضع ضبطها في أول الباب، والمراد أن طواعيتهم لمن يتولى عليهم لا تتوقف على إصالحهم حقوقهم بل عليهم الطاعة ولو منعهم حقهم.

**قوله:** (وأن لا ننازع الأمر أهله) أي الملك والإمارة، زاد أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة "وإن رأيت أن لك - أي وإن اعتقدت أن لك - في الأمر حقاً فلا تعمل بذلك الظن بل اسمع وأطع إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة، زاد في رواية حبان أبي النضر عن

جنادة عند ابن حبان وأحمد "وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك" وزاد في رواية الوليد بن عباد عن أبيه "وأن تقوم بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم" وسيأتي في كتاب الأحكام.

**قوله:** (إلا أن تروا كفرةً بواحاً) بموحدة ومهمله "قال الخطابي: معنى قوله بواحاً يريد ظاهراً بادياً، من قولهم باح بالشيء يبوح به بوحاً وبواحاً إذا أذاعه وأظهره" وأنكر ثابت في الدلائل بواحاً وقال: إنما يجوز بوحاً بسكون الواو وبواحاً بضم أوله ثم همزة ممدودة، وقال الخطابي: من روه بالراء فهو قريب من هذا المعنى، وأصل البراح الأرض الفقراء التي لا أنيس فيها ولا بناء، وقيل البراح البيان يقال برح الخفاء إذا ظهر، وقال النووي: هو في معظم النسخ من مسلم بالواو وفي بعضها بالراء. قلت: ووقع عند الطبراني من رواية أحمد بن صالح عن ابن وهب في هذا الحديث كفرةً صراحاً، بصاد مهمله مضمومة ثم راء، ووقع في رواية حبان أبي النضر المذكورة "إلا أن يكون معصية الله بواحاً" وعند أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة "ما لم يأمروك بإثم بواح" وفي رواية إسماعيل بن عبيد عند أحمد والطبراني والحاكم من روايته عن أبيه عن عبادة "سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله" وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبد الله عن عبادة رفعه "سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون ويفعلون ما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة".

**قوله:** (عندكم من الله فيه برهان) أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل، قال النووي: المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم انتهى. وقال غيره: المراد بالإثم هنا المعصية والكفر، فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر، والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية، فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف، ومحل ذلك إذا كان قادراً والله أعلم. ونقل ابن التين عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر. وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلّفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه.

**حديث ٣: من كره من أميره شيئاً فليصبر ...**

روى البخاري في صحيحه: حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن الجعد عن أبي رجاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية.

**جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري:**

حديث ابن عباس من وجهين في الثاني التصريح بالتحديث والسماع في موضعي العنينة في الأول.

**قوله:** (عبد الوارث) هو ابن سعيد، والجعد هو أبو عثمان المذكور في السند الثاني، وأبو رجاء هو العطاردي واسمه عمران.

**قوله:** (من كره من أميره شيئاً فليصبر) زاد في الرواية الثانية "عليه".

**قوله:** (فإنه من خرج من السلطان) أي من طاعة السلطان، ووقع عند مسلم "فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان" وفي الرواية الثانية "من فارق الجماعة" وقوله "شبراً" بكسر المعجمة وسكون الموحدة وهي كناية عن معصية السلطان ومحاربه، قال ابن أبي جمرة: المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكفي عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق.

**قوله:** (مات ميتة جاهلية) في الرواية الأخرى "فمات إلا مات ميتة جاهلية" وفي رواية لمسلم "فميتته ميتة جاهلية" وعنده في حديث ابن عمر رفعه "من خلع يداً من طاعة لقي الله ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" قال الكرمانى: الاستثناء هنا بمعنى الاستفهام الإنكاري أي ما فارق الجماعة أحد إلا جرى له كذا، أو حذفت "ما" فهي مقدر، أو "إلا" زائدة أو عاطفة على رأي الكوفيين، والمراد بالميتة الجاهلية وهي بكسر الميم حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهلياً، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد، ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه قوله في الحديث الآخر "من فارق الجماعة شبراً فكأما خلع ريقه الإسلام من عنقه" أخرجه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان ومصححا من حديث الحارث بن الحارث الأشعري في أثناء حديث طويل، وأخرجه البزار والطبراني في "الأوسط" من حديث ابن عباس وفي سننه خليل بن دعلج وفيه مقال، وقال "من رأسه" بدل "عنقه" قال ابن بطلال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث الذي بعده.

### حديث ٤ : ...تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

لهذا الحديث عدة روايات في الصحاح أذكر روايتين هنا والبقية لاحقاً إن شاء الله.

روى مسلم في صحيحه (وكذلك البخاري):

حدثني محمد بن المثني حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول سمعت حذيفة بن اليمان يقول:

كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت:

يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟

قال: نعم.

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم وفيه دخن.

قلت: وما دخنه؟

قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها.

فقلت: يا رسول الله صفهم لنا.

قال: هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

### شرح الإمام النووي:

قوله: (قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: نعم، فقلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن) قال أبو عبيد وغيره: (الدخن) بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة، أصله: أن تكون في لون الدابة كدورة إلى

سواد، قالوا: والمراد هنا أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفاء. قال القاضي: قيل: المراد بالخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

قوله بعده: (تعرف منهم وتنكر) المراد: الأمر بعد عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه.

قوله صلى الله عليه وسلم: (ويهدون بغير هديي) الهدي: الهيئة والسيره والطريقة.

قوله صلى الله عليه وسلم: (دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها) قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة. وفي حديث حذيفة هذا: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته، وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية. وفيه: معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي هذه الأمور التي أخبر بها وقد وقعت كلها.

### رواية أخرى:

روى مسلم في صحيحه:

وحدثني محمد بن سهل بن عسكر التميمي حدثنا يحيى بن حسان ح وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا يحيى وهو ابن حسان حدثنا معاوية يعني ابن سلام حدثنا زيد بن سلام عن أبي سلام قال:

قال حذيفة بن اليمان: قلت يا رسول الله إنا كنا بشر، فحاء الله بخر فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟

قال: نعم. قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟

قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟

قال: نعم. قلت: كيف؟

قال: يكون بعدي أئمة لا يهدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.

قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

### شرح الإمام النووي:

قوله: (عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان) قال الدارقطني: هذا عندي مرسل؛ لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة، وهو كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأول، وإنما أتى مسلم بهذا متتابعة كما ترى؛ وقد قدمنا في الفصول وغيرها أن الحديث المرسل إذا روي من طريق آخر متصلاً تبيننا به صحة المرسل، وجاز الاحتجاج به، ويصير في المسألة حديثان صحيحان.

### حديث ٥: ... تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ...

سأذكر هنا نفس الحديث الذي ذكرته سابقاً والذي يحمل الرقم ٤، ولكن برواية البخاري وشرح الإمام ابن حجر العسقلاني، ويكاد هذا الشرح يكون جامعاً لكل ما تم ذكره لما فيه من التفصيل، فمن لا يريد اتباع ما فيه فليعذرنا على الأقل إن كنا نريد اتباع العلماء.

روى البخاري في صحيحه:

حدثنا محمد بن المثني حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول:

كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت:

يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم.

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم وفيه دخن.

قلت: وما دخنه؟

قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله صفهم لنا.

قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فما تأمري إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وفي فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر:

قوله: (حدثنا ابن جابر) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر كما صرح به مسلم في روايته عن محمد بن المثني شيخ البخاري فيه.

**قوله:** (حدثني بسر) بضم الموحدة وسكون المهملة (ابن عبيد الله) بالتصغير تابعي صغير، والسند كله شاميون إلا شيخ البخاري والصحابي.

**قوله:** (مخافة أن يدركني) في رواية نصر بن عاصم عن حذيفة عند ابن أبي شيبه "وعرفت أن الخير لن يسبقني".

**قوله:** (في جاهلية وشر) يشير إلى ما كان من قبل الإسلام من الكفر وقتل بعضهم بعضاً ونهب بعضهم بعضاً وإتيان الفواحش.

**قوله:** (فجاءنا الله بهذا الخير) يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش، زاد مسلم في رواية أبي الأسود عن حذيفة "فنحن فيه"

**قوله:** (فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم) في رواية نصر بن عاصم "فتنة وفي رواية سبيع بن خالد عن حذيفة عند ابن أبي شيبه" فما العصمة منه؟ قال: سيف. قال: فهل بعد السيف من تقية؟ قال: نعم هدنة. " والمراد بالشر ما يقع من الفتن من بعد قتل عثمان وهلم جرأً أو ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة.

**قوله:** (قال: نعم، وفيه دخن) بالمهملة ثم المعجمة المفتوحين بعدها نون وهو الحقد، وقيل الدغل، وقيل فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب. يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كدر. وقيل المراد بالدخن الدخان ويشير بذلك إلى كدر الحال، وقيل الدخن كل أمر مكروه. وقال أبو عبيد يفسر المراد بهذا الحديث، الحديث الآخر "لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه" وأصله أن يكون في لون الدابة كدورة فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض.

**قوله:** (قوم يهدون) بفتح أوله (بغير هديي) بياء الإضافة بعد الياء للأكثر وبياء واحدة مع التنوين للكشميهني، وفي رواية أبي الأسود "يكون بعدي أئمة يهدون بمهادي ولا يستنون بسنتي".

**قوله:** (تعرف منهم وتنكر) يعني من أعمالهم، وفي حديث أم سلمة عند مسلم "فمن أنكر برئ ومن كره سلم".

**قوله:** (دعاة) بضم الدال المهملة جمع داع أي إلى غير الحق.

**قوله:** (على أبواب جهنم) أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم، كما يقال لمن أمر بفعل محرم: وقف على شفير جهنم.

**قوله:** (هم من جلدتنا) أي من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا، وفيه إشارة إلى أنهم من العرب. وقال الداودي: أي من بني آدم. وقال القاسبي: معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون، وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الأصل غشاء البدن، قيل ويؤيد إرادة العرب أن السمرة غالبية عليهم واللون إنما يظهر في الجلد، ووقع في رواية أبي الأسود "فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس" وقوله "جثمان" بضم الجيم وسكون المثناة هو الجسد ويطلق على الشخص.

قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان، والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز، والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده، فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور. قلت: والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله "الزم جماعة المسلمين وإمامهم" يعني ولو جار ويوضح ذلك رواية أبي الأسود "ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك" وكان مثل ذلك كثيراً في إمارة الحجاج ونحوه.

**قوله:** (تلازم جماعة المسلمين وإمامهم) بكسر الهمزة أي أميرهم، زاد في رواية أبي الأسود "تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني "فإن رأيت خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك، فإن لم يكن خليفة فالهرب".

**قوله:** (ولو أن بعض) بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة أي ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه. وتعض بالنصب للجميع، وضبطه الأشيري بالرفع، وتعقب بأن جوازه متوقف على أن يكون "أن" التي تقدمته مخففة من الثقيلة وهنا لا يجوز ذلك لأنها لا تلي "لو" نبه عليه صاحب المغني، وفي رواية عبد الرحمن ابن قرط عن حذيفة عند ابن ماجه "فلأن تموت وأنت عاض على جدل خير لك من أن تتبع أحداً منهم" والجدل بكسر الجيم وسكون المعجمة بعدها لام عود ينص لتحتك به الإبل.

**وقوله:** "وأنت على ذلك أي العض"، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا. قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر: "عضوا عليها بالنواجذ" ويؤيد الأول قوله في الحديث الآخر "فإن مت وأنت عاض على جدل خير لك من أن تتبع أحداً منهم" وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم "دعاة على أبواب جهنم" ولم يقل فيهم "تعرف وتنكر" كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة. قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله لما قتل عثمان "عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة". وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم: المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين. قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها، ويؤيده رواية عبد الرحمن بن قرط المتقدم ذكرها.

قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله في عباده كيف أقام كلا منهم فيما شاء؛ فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعلموا بما ويلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليحجته ويكون سبباً في دفعه عن أراد الله له النجاة، وفيه سعة صدر النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه، ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية، ويؤخذ منه أن من أدب التعليم أن يعلم التلميذ من أنواع العلوم ما يراه مائلاً إليه من العلوم المباحة، فإنه أجدد أن يسرع إلى تفهمه والقيام به وأن كل شيء يهدي إلى طريق الخير يسمى خيراً وكذا بالعكس. ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً بخلاف الكتب والسنة وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعه، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو ضيع.

## حديث ٦: ... فالزمه وإن نهك جسمك وأخذ مالك ...

سأذكر هنا نفس الحديث الذي ذكرته سابقاً والذي يحمل الرقم ٤ وكذلك الرقم ٥، ولكن برواية الإمام أحمد، وهو الحديث الشهير عن الصحابي حذيفة بن اليمان، ولشرحه يرجى الرجوع إلى تلك الأحاديث، أو قراءة تعليق الإمام أحمد بعد الحديث.

روى الإمام أحمد في مسنده:

حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي التياح قال: سمعت صخرأ يحدث عن سبيع قال:

أرسلوني من ماء إلى الكوفة أشتري الدواب فأتينا الكناسة فإذا رجل عليه جمع قال: فأما صاحبي فانطلق إلى الدواب وأما أنا فأتيتته فإذا هو حذيفة فسمعتة يقول:

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الخير وأسأله عن الشر،

فقلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟

قال: نعم.

قلت: فما العصمة منه؟

قال: السيف أحسب أبو التياح يقول السيف أحسب قال.

قلت: ثم ماذا؟

قال: ثم تكون هدنة على دخن.

قال قلت: ثم ماذا؟

قال: ثم تكون دعاة الضلالة.

قال: فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه وإن نهك جسمك وأخذ مالك فإن لم تره فاهرب في الأرض ولو أن تموت وأنت عاض بجذلة شجرة.

قال قلت: ثم ماذا؟

قال: ثم يخرج الدجال.

قال قلت: فيم يجيء به معه؟

قال: بنهر أو قال ماء ونار فمن دخل نهره حط أجره ووجب وزره ومن دخل ناره ووجب أجره وحط وزره.

قال قلت: ثم ماذا؟

قال: لو أنتجت فرساً لم تركب فلوها حتى تقوم الساعة.

قال شعبة وحدثني أبو بشر في إسناد له عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

قلت يا رسول الله ما هدنة على دخن؟

قال: قلوب لا تعود على ما كانت.

حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثني أبو التياح حدثني صخر بن بدر العجلي عن سبيع بن خالد الضبعي فذكر مثل معناه، وقال: وحط أجره وحط وزره. قال: وإن نهك ظهرك وأخذ مالك.

حدثنا يونس حدثنا حماد عن أبي التياح عن صخر عن سبيع بن خالد الضبعي فذكره وقال: وإن نهك ظهرك وأكل مالك وقال وحط أجره وحط وزره.

وفي رواية أخرى للإمام أحمد:

حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن خالد بن خالد اليشكري قال:

خرجت زمان فتحت تستر حتى قدمت الكوفة فدخلت المسجد فإذا أنا بملقة فيها رجل صدع من الرجال حسن الثغر يعرف فيه أنه من رجال أهل الحجاز، قال فقلت: من الرجل؟ فقال القوم أو ما تعرفه؟ فقلت: لا. فقالوا هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فقعدت وحدثت القوم فقال:

إن الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر فأنكر ذلك القوم عليه، فقال لهم: إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك، جاء الإسلام حين جاء فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية وكنت قد أعطيت في القرآن فهماً فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير فكنت أسأله عن الشر.

فقلت: يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟

فقال: نعم.

قال قلت: فما العصمة يا رسول الله؟

قال: السيف.

قال قلت: وهل بعد هذا السيف بقية؟

قال: نعم تكون إمارة على أقداء وهدنة على دخن.

قال قلت: ثم ماذا؟

قال: ثم تنشأ دعاة الضلالة فإن كان لله يومئذ في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة.

قال قلت: ثم ماذا؟

قال: يخرج الدجال بعد ذلك معه نحر ونار من وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع في نحره وجب وزره وحط أجره.

قال قلت: ثم ماذا؟

قال: ثم ينتج المهرب فلا يركب حتى تقوم الساعة الصدع من الرجال الضرب.

وقوله فما العصمة منه قال السيف كان قتادة يضعه على الردة التي كانت في زمن أبي بكر.

وقوله إمارة على أقداء وهدنة يقول صلح.

وقوله على دخن، يقول على ضغائن. قيل لعبد الرزاق ممن التفسير؟ قال عن قتادة زعم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان قال سمعت زيد بن وهب يحدث عن حذيفة حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحدثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر فذكر الحديث حدثنا به حدثنا أبو عوانة حدثنا قتادة عن نصر بن عاصم عن سبيع بن خالد قال قدمت الكوفة زمن فتحت تستر فذكر مثل معنى حديث معمر وقال حط وزره.



## حديث ٧: ... وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة

روى مسلم في صحيحه - رواية أولى:-

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أخبرنا عيسى بن يونس حدثنا الأوزاعي عن يزيد بن يزيد بن جابر عن رزيق بن حيان عن مسلم بن قرظة عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم.

قيل: يا رسول الله، أفلا ننايهم بالسيف؟

فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة.

### شرح الإمام النووي:

قوله: (عن رزيق بن حيان) اختلفوا في تقديم الرء على الزاي وتأخيرها على وجهين، ذكره البخاري وابن أبي حاتم والدارقطني وعبيد الغني بن سعيد المصري وابن ماكولا وغيرهم من أصحاب المؤلف بتقدم الرء المهمل، وهو الموجود في معظم نسخ صحيح مسلم، وقال أبو زرعة الرازي والدمشقي: بتقدم الزاي المعجمة. والله أعلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم)، معنى يصلون: أي يدعون.

قوله: (عن مسلم بن قرظة) بفتح القاف والرء وبالظاء المعجمة، وقد سبق في الباب قبله شرح هذه الأحاديث.

### وفي رواية أخرى أيضاً في صحيح مسلم:

حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أخبرني مولى بني فزارة وهو رزيق بن حيان أنه سمع مسلم بن قرظة ابن عم عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعت عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليهم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم.

قالوا قلنا: يا رسول الله أفلا ننايهم عند ذلك؟

قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعة.

قال ابن جابر فقلت يعني لرزيق حين حدثني بهذا الحديث الله يا أبا المقدم لحدثك بهذا أو سمعت هذا من مسلم بن قرظة يقول: سمعت عوفاً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. فجتنا على ركبتيه واستقبل القبلة فقال إي والله الذي لا إله إلا هو لسمعت من مسلم بن قرظة يقول سمعت عوف بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري حدثنا الوليد بن

مسلم حدثنا ابن جابر بهذا الإسناد وقال رزيق مولى بني فزارة قال مسلم ورواه معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن مسلم بن قرظلة عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

### شرح الإمام النووي:

قوله: (فجثا على ركبته واستقبل القبلة) هكذا هو في أكثر النسخ (فجثا) بالثاء المثناة، وفي بعضها (فجذا) بالذال المعجمة وكلاهما صحيح، فأما بالثاء فيقال منه: جثا على ركبته يجثو، وجثا، يجثى، جثوا، وجثا فيهما، وأجثاه غيره، وتجاثوا على الركب، جثى، وجثي بضم الجيم وكسرهما، وأما (جذا) فهو الجلوس على أطراف أصابع الرجلين ناصب القدمين، وهو الجاذي، والجمع جذا مثل نائم ونيام. قال الجمهور: الجاذي أشد استيفازاً من الجاثي، وقال أبو عمرو: هما لغتان.



## حديث ٨: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ...

روى مسلم في صحيحه - رواية أولى:

حدثني عمرو الناقد والحسن الحلواني وعبد بن حميد قال عبد أخبرني وقال الآخران حدثنا يعقوب وهو ابن إبراهيم بن سعد حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب حدثني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعد به.

### شرح الإمام النووي:

قوله صلى الله عليه وسلم: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد منها ملجأ فليعد به) وفي رواية: (ستكون فتنة القائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم) أما (تشرف) فروى على وجهين مشهورين: أحدهما بفتح المثناة فوق والشين والراء، والثاني يشرف بضم الياء وإسكان الشين وكسر الراء، وهو من الإشراف للشيء، وهو الانتصاب والتطلع إليه والتعرض له. ومعنى (تستشرفه) تقلبه وتصرعه. وقيل: هو من الإشراف بمعنى الإشفاء على الهلاك، ومنه أشفى المريض على الموت وأشرف.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ومن وجد منها ملجأ) أي عاصماً وموضعاً يلتجئ إليه، ويعتزل فليعد به، أي: فليعتزل فيه.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (القاعد فيها خير من القائم ... إلى آخره) فمعناه بيان عظيم خطرهما. والحث على تجنبها والهروب منها، ومن التشبث في شيء، وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها.

### رواية أخرى لنفس الحديث في صحيح الإمام مسلم:

حدثني أبو كامل الجحدري فضيل بن حسين حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان الشحام قال:

انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكره وهو في أرضه فدخلنا عليه فقلنا: هل سمعت أباك يحدث في الفتن حديثاً؟ قال: نعم، سمعت أبا بكره يحدث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه. قال فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت. قال فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصنفين أو إحدى الفئتين فضررتني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار.

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا حدثنا وكيع ح وحدثني محمد بن المنثري حدثنا ابن أبي عدي كلاهما عن عثمان الشحام بهذا الإسناد حديث ابن أبي عدي نحو حديث حماد إلى آخره وانتهى حديث وكيع عند قوله إن استطاع النجاء ولم يذكر ما بعده.

## شرح الإمام النووي:

قوله صلى الله عليه وسلم: (يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر) قيل: المراد كسر السيف حقيقة على ظاهر الحديث؛ ليسد على نفسه باب هذا القتال، وقيل: هو مجاز، والمراد ترك القتال، والأول أصح. وهذا الحديث والأحاديث قبله وبعده مما يحتج به من لا يرى القتال في الفتنة بكل حال. وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة، فقالت طائفة: لا يقاتل في فتن المسلمين، وإن دخلوا عليه بيته، وطلبوا قتله، فلا يحوز له المدافعة عن نفسه؛ لأن الطالب متأول، وهذا مذهب أبي بكر الصحابي رضي الله عنه وغيره. وقال ابن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهم وغيرهما: لا يدخل فيها، لكن إن قصد دفع عن نفسه. فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام. وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام: يجب نصر المحق في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى: { فقاتلوا التي تبغي . . . } الآية. وهذا هو الصحيح، وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق، أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد، واستطال أهل البغي والمبطلون. والله أعلم.

قوله: (أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصنفين، فضريني رجل بسيفه. أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال يبوء بإثمك وإثمك، ويكون من أصحاب النار) معنى (يبوء به) يلزمه، ويرجع، ويحتمله. أي يبوء الذي أكرهك بإثمك في إكراهك، وفي دخوله في الفتنة، وإثمك في قتلك غيره، ويكون من أصحاب النار، أي مستحقاً لها. وفي هذا الحديث رفع الإثم عن المكره على الحضور هناك. وأما القتل فلا يباح بالإكراه. بل يأثم المكره على الأمور به بالإجماع. وقد نقل القاضي وغيره فيه الإجماع قال أصحابنا: وكذا الإكراه على الزنا، لا يرفع الإثم فيه. هذا إذا أكرهت المرأة حتى مكنت من نفسها. فأما إذا ربطت، ولم يمكنها مدافعتها، فلا إثم. والله أعلم.

## حديث ٩: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ...

روى مسلم في صحيحه قال:

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم حدثنا عمي عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث حدثني بكير عن بسر بن سعيد عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان.

## شرح الإمام النووي:

قوله صلى الله عليه وسلم: (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) هكذا هو لمعظم الرواة وفي معظم النسخ (بواحاً) بالواو، وفي بعضها (براحاً) والباء مفتوحة فيهما، ومعناها: كفراً ظاهراً، والمراد بالكفر هنا المعاصي، ومعنى عندكم من الله فيه برهان: أي: تعلمونه من دين الله تعالى. ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم.

وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين. وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا يعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه يعزل، وحكي عن المعتزلة أيضاً، فغلط من قائله، مخالف للإجماع. قال العلماء: وسبب عدم انزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه.

قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تتعدد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها، قال: وكذلك عند جمهورهم البدعة، قال: وقال بعض البصريين: تتعدد له، وتستدام له لأنه متأول، قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه، وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها، ويفر بدينه، قال: ولا تتعدد لفساق ابتداء، فلو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا يعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله؛ للأحاديث الواردة في ذلك قال القاضي: وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع، وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسن وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية، وقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث، وتأول هذا القائل قوله: ألا ننازع الأمر أهله في أئمة العدل، وحجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق، بل لما غير من الشرع وظاهر من الكفر، قال القاضي: وقيل: إن هذا الخلاف كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم. والله أعلم.

## حديث ١٠ : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ...

روى الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد والنسائي، والرواية لمسلم:

حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا جرير يعني ابن حازم، حدثنا غيلان بن جرير عن أبي قيس بن رباح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفني لذي عهد عهده فليس مني ولست منه. وحدثني عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن غيلان بن جرير عن زياد بن رباح القيسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بنحو حديث جرير وقال لا يتحاش من مؤمنها.

## شرح الإمام النووي:

قوله: (عن أبي قيس بن رباح هو) بكسر الراء وبالمتناة، وهو زياد بن رباح القيسي المذكور في الإسناد بعده، وقاله البخاري بالمتناة وبالموحدة، وقاله الجماهير بالمتناة لا غير.

قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية) هي بكسر الميم، أي: على صفة موثم من حيث هم فوضى لا إمام لهم.

قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن قاتل تحت راية عمية) هي بضم العين وكسرهما لغتان مشهورتان، والميم مكسورة مشددة، والياء مشددة أيضاً، قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق بن راهويه: هذا كتقاتل القوم للعصية.

قوله صلى الله عليه وسلم: (يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة) هذه الألفاظ الثلاثة بالعين والصاد المهملتين، هذا هو الصواب المعروف في نسخ بلادنا وغيرها، وحكى القاضي عن رواية العذري بالعين والضاد المعجمتين في الألفاظ الثلاثة، ومعناها: أنه يقاتل لشهوة نفسه وغضبة لها، ويؤيد الرواية الأولى الحديث المذكور بعدها: يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة، ومعناه: إنما يقاتل لعصبة لقومه وهواه.

قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها) وفي بعض النسخ: (يتحاشى) بالياء، ومعناه: لا يكثرث بما يفعله فيها، ولا يخاف وباله وعقوبته.

## شرح سنن النسائي للسندي:

قوله: (من خرج من الطاعة) أي طاعة الإمام، (وفارق الجماعة) أي جماعة المسلمين المجتمعين على إمام واحد، (ميتة) بكسر الميم حالة الموت، (جاهلية) صفة بتقدير أي كميته أهل الجاهلية ويحتمل الإضافة والمراد مات كما يموت أهل الجاهلية من الضلال وليس المراد الكفر، (يضرب برها) بفتح الباء وتشديد الراء، (لا يتحاشى) أي لا يترك، (ولا يفني لذي عهدها) أي لا يفني لذمي ذمته، (فليس مني) أي فهو خارج عن سنتي، (تحت راية عمية) بكسر عين وحكى ضمها وبكسر الميم المشددة وبمثناة تحتية مشددة هي الأمر الذي لا يستبين وجهه كقاتل القوم لعصية، قيل قوله تحت راية عمية كناية عن جماعة مجتمعين على أمر مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل، وفيه أن من قاتل تعصباً لا لإظهار دين ولا لإعلاء كلمة الله وإن كان المعصوب له حقاً كان على الباطل، (فقتله) بكسر القاف الحالة من القتل.

## أحاديث أخرى

روى الإمام أحمد في مسنده قال:

حدثنا عبد الصمد وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بين يدي الساعة الهرج. قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل. قالوا: أكثر مما نقتل؟ إنا لنقتل كل عام أكثر من سبعين ألفاً. قال: إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً. قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباءً من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء. قال عفان في حديثه: قال أبو موسى: والذي نفسي بيده ما أجد لي ولكم منها مخرجاً إن أدركتني وإياكم إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها لم نصب منها دماً ولا مالاً.

روى الإمام البخاري في صحيحه وكذلك الإمام مسلم:

حدثنا مسدد حدثنا عميد الله بن موسى عن الأعمش عن شقيق قال كنت مع عبد الله وأبي موسى فقالا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج والهرج القتل.

روى الإمام أحمد في مسنده والإمام مالك في الموطأ قال:

قرأت على عبد الرحمن بن مهدي مالك عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك عن جابر بن عتيك أنه قال: جاءنا عبد الله بن عمر في بني معاوية، قرية من قرى الأنصار، فقال لي: هل تدري أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجداً هذا؟ فقلت: نعم. فأشرت له إلى ناحية منه. فقال: هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه؟ فقلت: نعم. قال: فأخبرني بهم. فقلت: دعا بأن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم، ولا يهلكهم بالسنين، فأعطيهما. ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها. قال: صدقت فلا يزال الهرج إلى يوم القيامة.

روى الإمام مسلم في صحيحه قال:

حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن أبي يعفور عن أبيه عن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه.

يقول النووي: وقوله صلى الله عليه وسلم: (يريد أن يشق عصاكم) معناه: يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقه، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس.



## مواضيع وأبحاث خاصة بالإمارة

## أمر الأمراء والسلاطين ونهيه عن المنكر - الإمام الغزالي

### الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين ونهيه عن المنكر:

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريف، وثانيه الوعظ، وثالثه التحشيش في القول، ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة.

والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتيان الأوليان وهما: التعريف والوعظ.

وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر، وأما التحشيش في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بملاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك" وقال صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: "قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق" ولما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله. وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيه عن المنكر ما نقل علماء السلف، وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام، ونقتصر الآن على حكايات يعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم.

\*\*\* من كتاب: إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي

## وعظ السلاطين - من خواطر ابن الجوزي

ينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالح في التلطف ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم.

فإن السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة فإذا جرى نوع توبيخ لهم كان إذلالاً وهم لا يحتملون ذلك.

وإنما ينبغي أن يمزج وعظه بذكر شرف الولاية وحصول الثواب في رعاية الرعايا وذكر سير العادلين من أسلافهم.

ثم لينظر الواعظ في حال الموعوظ قبل وعظه.

فإن رأى سيرته حميدة كما كان منصور بن عمار وغيره يعظون الرشيد وهو يبكي.

وقصده الخير زاد في وعظه ووصيته.

وإن رآه ظالماً لا يلتفت إلى الخير وقد غلب عليه الجهل اجتهد في أن لا يراه ولا يعظه.

لأنه إن وعظه خاطر بنفسه وإن مدحه كان مدهناً.

فإن اضطر إلى موعظته كانت كالإشارة وقد كان أقوام من السلاطين يلينون عند الموعظة ويحتملون الواعظين.

حتى أنه قد كان المنصور يواجه بأنك ظالم فيصبر.

وقد تغير الزمان وفسد أكثر الولاة وداهنهم العلماء ومن لا يداهن لا يجد قبولاً للصواب فيسكت.

وقد كانت الولايات لا يسألها إلا من أحكمته العلوم وثقافته التجارب فصار أكثر الولاة يتساوون في الجهل فتأتي الولاية على من ليس من أهلها.

ومثل هؤلاء ينبغي الحذر منهم والبعد عنهم فمن ابتلى بوعظهم فليكن على غاية التحرز فيما يقول ولا ينبغي أن يغتر بقولهم عظنا فإنه لو قال كلمة لا توافق أغراضهم ثارت حراراتهم.

وليحذر مذكر السلطان أن يعرض له بأرباب الولايات فإنهم إذا سمعوا بذلك صار الواعظ مقصوداً لهم بالإهلاك خوفاً من أن يعتبر السلطان أحوالهم فتفسد أمورهم.

والبعد في هذا الزمان عنهم أصلح والسكوت عن الموعظ لهم أسلم.

فمن اضطر لتلطف غاية التلطف وجعل وعظه للعوام وهم يسمعون ولا يعنيه من بشيء والله الموفق.

\*\*\* من كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي

## مسائل في أحكام الإمام - الإمام النووي

يذكر الإمام النووي مسائل في أحكام الإمام وهي:

- تجب طاعة الإمام في أمره ونهيه ما لم يخالف حكم الشرع، سواء كان عادلاً أو جائراً.
- لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليميهما.
- إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة، فجاء آخر، فقهره، انعزل الأول، وصار القاهر الثاني إماماً.
- لا يجوز خلع الإمام بلا سبب.
- أسباب عزل الإمام.

أما في تفصيل ذلك يقول:

إحداها: تجب طاعة الإمام في أمره ونهيه ما لم يخالف حكم الشرع، سواء كان عادلاً أو جائراً.

الثانية: لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليميهما، وقال الأستاذ أبو إسحق: يجوز نصب إمامين في إقليمين، لانه قد يحتاج إليه، وهذا اختيار الإمام، والصحيح الذي عليه الجمهور هو الأول، فإن عقدت البيعة لرجلين معاً، فالبيعتان باطلتان، وإن ترتبتا فالثانية باطلة، ثم إن جهل الثاني ومبايعوه بيعة الأول، لم يعزروا، وإلا فيعزرون، ولو عرف سبق أحدهما ولم يتعين، أو شككنا في معيتهما وتعاقبهما، فليكن كما سبق في الجمعيتين، ولو سبق أحدهما: وتعين، واشتبه، وقف الأمر حتى يظهر، فإن طالت المدّة، ولم يكن الانتظار، فقد ذكر الماوردي أنه تبطل البيعتان، وتستأنف بيعة لأحدهما، وفي جواز العدول إلى غيرهما خلاف. قلت: الأصح المنع. والله أعلم

قال الماوردي: ولو ادعى كل واحد أنه الأسبق، لم تسمع دعواه، ولم يحلف الآخر، لأن الحق للمسلمين، ولو قطعاً التنازع، وسلم أحدهما الأمر للآخر، لم تثبت الإمامة له، بل لا بد من بيعة بسبقه، قال: ولو أقر أحدهما بسبق صاحبه، خرج منها المقر، ولا تثبت للآخر إلا بيعة، فإن شهد له المقر مع آخر، قبلت شهادته إن كان يدعي اشتباه الأمر قبل الإقرار، وإن كان يدعي التقديم، لم تسمع للتكاذب في قوله.

الثالثة: إذا ثبتت الإمامة بالقهر والغلبة، فجاء آخر، فقهره، انعزل الأول، وصار القاهر الثاني إماماً

الرابعة: لا يجوز خلع الإمام بلا سبب، فلو خلعه، لم ينخلع، ولو خلع الإمام نفسه، نظر، إن خلع لعجزه عن القيام بأمر المسلمين لهرم أو مرض ونحوهما، انعزل، ثم إن ولي غيره قبل عزل نفسه، انعقدت ولايته، وإلا فيبايع الناس غيره، وإن عزل نفسه بلا عذر، ففيه أوجه: أصحها: لا ينعزل، وبه قطع صاحب البيان وغيره، والثاني: ينعزل، لان إلزامه الاستمرار قد يضر به في آخرته ودينه، والثالث وبه قطع البغوي: إن لم يظهر عذر، فعزل نفسه ولم يول غيره، أو ولي من هو دونه، لم ينعزل، وإن ولي مثله، أو أفضل، ففي الانعزال وجهان، وهل للإمام عزل ولي العهد؟ قال المتولي: نعم، والماوردي: لا، لأنه ليس نائباً له بل للمسلمين. قلت: قول الماوردي أصح.

قال الماوردي: فلو عزله الإمام، وعهد إلى ثان، ثم عزل المعهود إليه أولاً نفسه، فعهد الثاني باطل، ولا بد من استئنافه. والله أعلم

الخامسة: سبق في باب الأوصياء أن الإمام لا ينعزل بالفسق على الصحيح، ولا ينعزل بالإغماء لانه متوقع الزوال، وينعزل بالمرض الذي ينسيه العلوم، وبالجنون، قال الماوردي: فلو كان يجن ويفيق، وزمن الإفاقة أكثر، ويمكن فيه من القيام بالأمر، لم ينعزل، وينعزل بالعمى والصمم والخرس، ولا ينعزل بثقل السمع، وتمتمة اللسان، وفي منعهما ابتداء الولاية خلاف، والأصح أن قطع إحدى اليدين أو الرجلين، لا يؤثر في الدوام وبالله التوفيق.

قلت: ومما يتعلق بالباب مسائل:

**إحداها:** قال الماوردي: لو أسر الإمام، لزم الأمة استنقاذه، وهو على إمامته ما دام مرجو الخلاص بقتال أو فداء، فإن أيس منه، نظر، ان أسره كفار، خرج من الإمامة، وعقدوها لغيره، فإن عهد بالإمامة وهو أسير، نظر إن كان بعد اليأس من خلاصه، لم يصح عهده لأنه عهد بعد انزاله، وإن عهد قبل اليأس، صح عهده لبقاء ولايته، وتستقر إمامة المعهود إليه باليأس خلاص من العاهد لانزاله، ولو خلص من أسره، نظر إن خلص بعد اليأس، لم تعد إمامته، بل تستقر لولي عهده، وإن خلص قبل اليأس، فهو على إمامته، وأما إذا أسره بغاة من المسلمين، فإن كان مرجو الخلاص، فهو على إمامته، وإن لم يرج وكانت البغاة لا إمام لهم، فالأسير على إمامته، وعلى أهل الاختيار أن يستنبوا عنه إن لم يقدر هو على الاستنابة، فإن قدر، فهو أحق بالاستنابة، فإن خلع الأسير نفسه، أو مات، لم يصير المستناب إماماً، وإن كان للبغاة الذين أسروه إمام نصبوه، خرج الأسير من الإمامة إن أيس من خلاصه، وعلى أهل الاختيار في دار العدل عقد الإمامة لمن يصلح لها، فإن خلص الأسير، لم يعد إلى الإمامة لخروجه منها.

**المسألة الثانية:** تجب نصيحة الإمام بحسب القدرة.

**الثالثة:** يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين، قال الماوردي: ويقال أيضاً: خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال البغوي في شرح السنة: ويقال له أمير المؤمنين وإن كان فاسقاً، وقد أوضحت ذلك وما يتعلق به في أواخر كتاب الأذكار. والله أعلم

\*\*\* من كتاب: روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي

## بيان طرق انعقاد الإمامة العظمى - الإمام النووي

يقول الإمام النووي بأن الإمامة العظمى تنعقد بثلاثة طرق هي: البيعة، استخلاف الإمام من قبل وعهده إليه، القهر والاستيلاء.

أما في تفصيل ذلك، يقول:

وتنعقد الإمامة بثلاثة طرق، هي:

**الطريق الأول، البيعة:** كما بايعت الصحابة أبا بكر رضي الله عنهم، وفي العدد الذي تنعقد الإمامة ببيعتهم ستة أوجه، أحدها: أربعون، والثاني: أربعة، والثالث: ثلاثة، والرابع: اثنان، والخامس: واحد، فعلى هذا يشترط كون الواحد مجتهداً.

وعلى الأوجه الأربعة يشترط أن يكون في العدد المعتمد مجتهد لينظر في الشروط المعتمدة، ولا يشترط أن يكون الجميع مجتهدين، والسادس وهو الأصح: أن المعتمد بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس الذين يتيسر حضورهم، ولا يشترط اتفاق أهل الحل والعقد في سائر البلاد والأصقاع، بل إذا وصلهم خبر أهل البلاد البعيدة، لزهم الموافقة والمتابعة، وعلى هذا لا يتعين للاعتبار عدد، بل لا يعتبر العدد، حتى لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع، كفت بيعته لانعقاد الإمامة، ويشترط أن يكون الذين يبايعون بصفة الشهود، وذكر في البيان في اشتراط حضور شاهدين البيعة، وجهين. قلت: الأصح: لا يشترط إن كان العاقدون جمعاً، وإن كان واحداً، اشترط الأشهداء، وقد قال إمام الحرمين في كتابه الإرشاد: قال أصحابنا: يشترط حضور الشهود لثلا يدعى عقد سابق، ولأن الإمامة ليست دون النكاح، لكن اختيار الإمام انعقادها بواحد، وذكر الماوردي أنه يشترط في العاقدين: العدالة والعلم والرأي، وهو كما قال. والله أعلم.

ويشترط لانعقاد الإمامة أن يجيب المبايع، فإن امتنع، لم تنعقد إمامته، ولم يجبر عليها. قلت: إلا أن لا يكون من يصلح إلا واحد، فيجبر بلا خوف. والله أعلم.

**الطريق الثاني، استخلاف الإمام من قبل، وعهده إليه:** كما عهد أبو بكر إلى عمر رضي الله عنهما، وانعقد الاجماع على جوارزه، والاستخلاف أن يعقد له في حياته الخلافة بعده، فإن أوصى له بالإمامة، فوجهان حكاهما البغوي، ولو جعل الأمر شورى بين اثنين فصاعداً بعده، كان كالأستخلاف، إلا أن المستخلف غير متعين، فيتشاورون، ويتفقون على أحدهم، كما جعل عمر رضي الله عنه الأمر شورى بين ستة، فاتفقوا على عثمان رضي الله عنه.

وذكر الماوردي أنه يشترط في المعهود إليه شروط الإمامة من وقت العهد إليه حتى لو كان صغيراً أو فاسقاً عند العقد، بالغاً عدلاً عند موت العاهد، لم يكن إماماً، إلا أن يبايعه أهل الحل والعقد، وقد يتوقف في هذا. قلت: لا توقف فيه، فالصواب الجزم بما ذكره الماوردي، والفرق بينه وبين الوصي ظاهر. والله أعلم.

وذكر الماوردي أنه إذا عهد إلى غائب مجهول الحياة، لم يصح، وإن كان معلوم الحياة، صح، فإن مات المستخلف وهو بعد غائب، استقدمه أهل الاختيار، فإن بعدت غيبته وتضرر المسلمون بتأخير النظر في أمورهم، اختار أهل الحل والعقد نائباً له يبايعونه بالنيابة دون الخلافة، فإذا قدم انعزل النائب.

وأنه إذا عزل الخليفة نفسه، كان كما لو مات، فتنقل الخلافة إلى ولي العهد، ويجوز أن يفرق بين أن يقول: الخلافة بعد موتي لفلان، أو بعد خلافتي. قلت: توقف إمام الحرمين في كتابه الإرشاد في انعزال الإمام بعزله نفسه. والله أعلم.

وذكر الماوردي أنه يجوز العهد إلى الوالد والولد، وفيه مذهبان آخران، أحدهما: المنع، كالتزكية والحكم لهما، والثاني: يجوز للوالد دون الولد، لشدة الميل إليه، وأن ولي العهد لو أراد أن ينقل ما إليه من العهد إلى غيره، لم يجوز، وأنه لو عهد إلى جماعة مرتبين، فقال الخليفة: بعد موتي

فلان، وبعد موته فلان، وبعد موته فلان، جاز، وانتقلت الخلافة إليهم على ما رتب، كما رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراء جيش مؤتة، وأنه لو مات الأول في حياة الخليفة، فالخلافة للثاني، ولو مات الأول والثاني في حياته، فهي للثالث، وأنه لو مات الخليفة وبقي الثلاثة أحياء، فانتصب الأول للخلافة، ثم إن أراد أن يعهد بها إلى غير الآخرين، فالظاهر من مذهب الشافعي رحمه الله جوازه، لأنها لما انتهت إليه صار أملك بما بخلاف ما إذا مات ولم يعهد إلى أحد، فليس لأهل البيعة أن يبايعوا غير الثاني، ويقدم عهد الأول على اختيارهم وأنه ليس لأهل الشورى أن يعينوا واحداً منهم في حياة الخليفة إلا أن يأذن لهم في ذلك، فإن خافوا انتشار الأمر بعده استأذنه، فإن أذن، فعلوه، وأنه يجوز للخليفة أن ينص على من يختار خليفة بعده، كما يجوز أن يعهد إلى غيره، ثم لا يصح إلا اختيار من نص على أنه يختار، كما لا يصح إلا تقليد من عهد إليه، وأنه إذا عهد إلى غيره بالخلافة، فالعهد موقوف على قبول المعهود إليه، واختلف في وقت قبوله، فقيل: بعد موت الخليفة، والأصح أن وقته ما بين عهد الخليفة وموته، قال صاحب التتمة: وإذا امتنع المعهود إليه من القبول ببيع غيره، وكأنه لا عهد، وكذا إذا جعل الأمر شورى، فترك القوم الاختيار لا يجبرون عليه، وكأنه لم يجعل الأمر إليهم.

قلت: ومما ذكره الماوردي في الأحكام السلطانية من هذا، أنه لو جمع شروط الإمامة اثنان، استحسب لأهل العقد أن يعقدوها لأسنهما، فإن عقدها للآخر، جاز، فإن كان أحدهما أعلم، والآخر أشجع، روعي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت، فإن دعت الحاجة إلى زيادة الشجاعة لظهور البغاة وأهل الفساد، كان الأشجع أحق، وإن دعت إلى زيادة العلم لسكون الفتن، وظهور البدع، كان الأعم أحق، وأنه لو تنازعا اثنان، فقد قال بعض الفقهاء: يقدح ذلك فيهما فيعدل إلى غيرهما، والذي عليه الجمهور: أنه لا يقدح، لأن طلب الخلافة ليس مكروهاً، ثم هل يقرع بينهما عند التساوي، أم يقدم أهل الاختيار من شأؤوا بلا قرعة؟ فيه خلاف، وأن الخليفة إذا أراد العهد، لزمه أن يجتهد في الأصلح، فإذا ظهر له واحد، جاز أن ينفرد بعقد بيعته من غير حضور غيره، ولا مشاوره أحد، وأن المعهود إليه إذا استعفى، لم يبطل عهده حتى يعفى، فإن وجد غيره، جاز استعفاؤه، وخرج من العهد باجتماعهما، وإن لم يوجد غيره، لم يجز إعفاؤه ولا استعفاؤه، ويبقى العقد لازماً. والله أعلم

وأما الطريق الثالث، فهو القهر والاستيلاء: فإذا مات الإمام، فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعه، وقهر الناس بشوكته وجنوده، انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعاً للشرائط بأن كان فاسقاً، أو جاهلاً، فوجهان، أصحهما: انعقادها لما ذكرناه، وإن كان عاصياً بفعله.

\*\*\* من كتاب: روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي

## انعقاد الإمامة بالقهر والغلبة - د. وهبة الزحيلي

مقدمة:

(كُتبت هذه المقدمة بتاريخ ١٦/١١/٢٠١١ وأعيد إدراجها هنا للأهمية)

في البداية -والكلام لي- أنا أنقل في هذا المكان وفي غيره أقوال العلماء الخاصة بالخروج على الحاكم الظالم (أو الجائر) وكذلك حكم انعقاد الإمامة بالقهر والغلبة وأتجاوز واجبات الحاكم، لا لأني أدافع عن هذا الحاكم أو ذاك فليس هذا شأنني، ولا لأني أنكر ما يجري من ظلم أو فساد، ولكن هذه الأمور أصبح الكل يتكلم فيها وكل ما سأقوله عنها أصبح محفوظاً عن غيب عند الطفل الصغير.

ولكن انتشرت فكرة أن هذا الظلم والفساد هو مبرر للخروج على الحاكم، وأن بعض الحكام قد ورثوا الحكم وراثته أو أنهم استولوا عليه استيلاءً، وبناءً على هذا فإن حكمه غير شرعي ويجب نزع منه انتزاعاً! وكما سنرى فإن هذا خلاف الإجماع الذي نقله لنا الإمام النووي والإمام ابن حجر.

إذن أنا لا أنكر الظلم أو الفساد، ولا أنكر القتل وإن كنت أرى أنه نتيجة عدم انصياعنا لما قرره الفقهاء كما سيأتي؛ وكيف أنكر هذا إن كنت من المتضررين، ولكن الحكم الشرعي عندي فوق أهوائي الشخصية، ومصصلحة الأمة فوق مصلحتي الشخصية، خاصة ما نراه الآن من حشد دولي صليبي يهودي ضدنا -بحجة أنه ضد النظام- وهو يتعدى على هذا الذي يجري حالياً، وما نرى من الاقتتال في الشوارع والذي يذهب ضحيته مدنيون، فلا يقولون قائل أني أدافع عن أحد أو أتجاوز أخطاء أحد، ولكن لكل مشكلة حل، وكل حل يجب أن ينضبط بضوابط الشرع أو أن لا يقحم فيه إقحاماً للتدليس على الناس.

أضيف إلى هذه المقدمة اليوم أي بعد سنة ونصف تقريباً، أن الأمور قد توضحت وأن ما يجري هو حرب بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، حرب خارجية تستهدف سوريا، وتستنزف إمكانياتها، أدواتها خوارج هذا العصر، ومعروف من هم الخوارج. ومع هذا فإن هناك بعض المضللين الذين تحكمهم أهوائهم وعصبياتهم ما زالوا يظنون أن ما يجري هو ثورة، ربما لأن هذا الظن يدغدغ مشاعرهم، وما سأنقله موجه لهؤلاء الذين يدعون الجهاد والدفاع عن الدين، فليقرؤوا إذن ما يقول العلماء ولينفذوا إن كانوا صادقين. ما سأنقله هو قول المذاهب الأربعة التي تمثل أهل السنة والجماعة، أما من اختار لنفسه مذهب هيلاري كانتون وأربها حول شرعية الرئيس ومتى تسقط فليهنأ به، وليقابل ربه بتعبده بهذا المذهب.

سأنقل الآن ما نقله العلامة الموسوعي الدكتور وهبة الزحيلي في موسوعته "الفقه الإسلامي وأدلته - الجزء الثامن" عن حكم انعقاد الإمامة بالقهر والغلبة، وواجب الرعية تجاه هذا الإمام، وسأفترض في نقاشي أن التورث -على حد تعبير البعض- هو كالأستيلاء -وهو ليس كذلك- تتجاوزاً، ولنفكر في العبرة من انعقاد هذه الإمامة والتي ذكرها في عرضه للحكم، ولكن بعد أن نضع أهواءنا جانباً ونفكر بعقولنا واضعين مصلحة الأمة فوق مصالحنا الشخصية.

كما أدعو إلى العودة إلى ما نقلته من أحاديث الإمارة والفتن من الصحاح وشرح العلماء عليها مثل الإمام النووي وابن حجر، وإلى أقوال العلماء من أمثال الغزالي وابن الجوزي في آداب نصح الحكام وخاصة الظلمة. وكذلك أدعو إلى دراسة مواقف بعض العلماء من الفتن كالإمام الحسن البصري والإمام أحمد وغيرهما.

يقول الدكتور:

### انعقاد الإمامة بالقهر والغلبة:

رأى فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم أن الإمامة **تتعقد بالتغلب والقهر**، إذ يصير المتغلب إماماً دون مبايعة أو استخلاف من الإمام السابق وإنما بالاستيلاء، وقد يكون مع التغلب المبايعة أيضاً فيما بعد (١).

قال ابن المنذر (٢): والذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عن دينه ودمه وماله وعرضه ومظلمته، إذا أريد ظلماً، بغير تفصيل، إلا أن كل من يحفظ عنه من علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان، للآثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره، وترك القيام عليه.

وعبارة الحنفية في هذا الشأن هي كما قال الدهلوي: **تتعقد الخلافة باستيلاء رجل جامع للشروط على الناس، وتسلبه عليهم كسائر الخلفاء بعد النبوة. ثم إن استولى من لم يجمع الشروط (أي المطلوبة لتولي الإمامة) لا ينبغي أن يبادر إلى المخالفة؛ لأن خلعه لا يتصور غالباً إلا بحروب ومضايقات، وفيها من المفسدة أشد مما يرجح من المصلحة.** «وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فقيل: أفلا نابذهم؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وقال: إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان» (٣)

يظهر من هذا الكلام أن القهر حالة استثنائية غير متفقة مع الأصل الموجب لكون السلطة قائمة بالاختيار، وإقرارها فيه مراعاة لحال واقعة للضرورة ومنعاً من سفك الدماء.

وعبارة المالكية كما قال الدسوقي: اعلم أن الإمامة العظمى تثبت بأحد أمور ثلاثة:

إما بإيضاء الخليفة الأول المتأهل لها؛ وإما بالتغلب على الناس؛ لأن من اشتدت وطأته بالتغلب، وجبت طاعته، ولا يراعى في هذا شروط الإمامة؛ إذ المدار على درء المفساد، وارتكاب أخف الضررين؛ وإما ببيعة أهل الحل والعقد: وهم من اجتمع فيهم ثلاثة أمور: العلم بشروط الإمام، والعدالة، والرأي.

وشروط الإمام: الحرية والعدالة والفتانة وكونه قرشياً، وكونه ذا نجدة وكفاية في المعضلات. وبيعة أهل الحل تكون بالحضور والمباشرة بصفقة اليد، وإشهاد الغائب منهم. **ويكفي العامي اعتقاد أنه تحت أمره، فإن أضمر خلاف ذلك فسق، ودخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام: «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية» (٤).**

وقال ابن حجر (٥): **أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليه، لحديث البخاري عن عبادة: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان».**

(١) حجة الله البالغة للدهلوي: ٢/١١١، حاشية ابن عابدين: ٣/٣١٩ وما بعدها، مغني المحتاج: ٤/١٣٠-١٣٢، الأحكام السلطانية لأبي يعلى: ص ٦ وما بعدها، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ٤/٢٩٨، غاية المنتهى: ٣/٤٨٨.

(٢) تلخيص الحبير: ٤/١٥، المغني: ٧/٦٣٨ وما بعدها.

(٣) ورد ذلك في رواية للبخاري من حديث رواه البخاري ومسلم والموطأ والنسائي عن عبادة بن الصامت (جامع الأصول: ١/١٦٥ - ١٦٦).

(٤) رواه مسلم في باب الإمارة.

(٥) فتح الباري: ١٦/١١٢.

#### تعليق:

أذكر أن البعض -من العامة- قد استهزأ من الدكتور البوطي عندما ذكر أن الخروج عليهم (أي على الحكام الظلمة) سيؤدي إلى مفسدة عظيمة، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأن الضرر لا يزال بضرر أشد منه.

وكما قرأنا فإن ما قاله هو قول علماء السلف ولم يبتدع شيئاً من عنده، فليثق الله من يستهزئ بالعلماء وخير له أن يصمت.

ولا أدري إن كان هؤلاء المستهزئون قد شاهدوا هذه المفاسد أم أن الحقد واتباع الهوى ما زال جاثماً على صدورهم! وأنا لا أتكلم عن من يتقاضى أجوراً عن استهزائه هذا.



## البغاة: تعريف البغي وأحكام البغاة - د. وهبة الزحيلي

مقدمة:

ملاحظة: المقدمة من كلامي وليست للدكتور.

كثر الحديث مؤخراً عن البغي والبغاة، وحكم قتالهم خاصة بعد التطور الذي حصل على الساحة، فقد تم الإعلان رسمياً عن الجيش السوري الحر بعد أن كان يعمل متخفياً، كما أنه تم المطالبة علناً بتدخل القوات الصليبية اليهودية لقتال الباغي (كما يقولون) بعد التحضير لهذا كل هذه المدة، والآن حان الوقت بعد التطورات التي حدثت على الساحات الأخرى.

أقول كثر الحديث حول البغي وأنه يجب قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، وبالتالي فإن الخروج المسلح أصبح واجباً ولا بأس بأن يكون تحت راية الصليب، فالهدف هو دفع البغاة وقتالهم كما تقول الآية.

ولكن ما البغي؟، ومن هم البغاة؟، هذا ما لم أقرأ عنه عند هؤلاء فقررت الرجوع إلى المراجع المختصة ونقل أحكام البغي هنا لعلنا نفهم ما يجري، ونضع أعمالنا في ميزان الشرع الصحيح الذي أتى به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لا الشرع الذي تمليه علينا أهواؤنا وأمزجتنا.

أنقل هنا عن العلامة الدكتور وهبة الزحيلي، من موسوعته الفقهية (الفقه الإسلامي وأدلته - الجزء السابع).

٢٠١١/١١/٢٨

أولاً. تعريف البغي:

البغي لغة: إما الطلب كما في قوله تعالى: { ما كنا نبيغ } [الكهف: ٦٤/١٨] أو التعدي. وهو في اصطلاح الفقهاء كما عرفه ابن عرفة المالكي: الامتناع من طاعة من تثبت إمامته في غير معصية بمغالبة، ولو تأولاً (١). والبغي حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من نزع يده من طاعة إمامه، فإنه يأتي يوم القيامة، ولا حجة له، ومن مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية» (٢)، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «من حمل علينا السلاح فليس منا» (٣).

وعرف الخنفيه البغاة: بأنهم قوم لهم شوكة ومنعة، خالفوا المسلمين في بعض الأحكام بالتأويل، وظهروا على بلدة من البلاد، وكانوا في عسكر، وأجروا أحكامهم، كالخوارج وغيرهم. أما الخوارج أو الحرورية: فهم قوم خرجوا على علي واستحلوا دمه ودماء المسلمين وأموالهم وسبي نساءهم، وكفروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا أن كل ذنب كفر (٤)، وكانوا متشددين في الدين تشدداً زائداً.

وأما غيرهم من البغاة فلم يستبيحوا ما استباحه الخوارج من دماء المسلمين وسبي ذراريهم.

وعرف المالكية البغاة: بأنهم الذين يقاتلون على التأويل، مثل الطوائف الضالة كالخوارج وغيرهم، والذين يخرجون على الإمام، أو يمتنعون من الدخول في طاعته؛ أو يمتنعون حقاً وجب عليهم كالزكاة وشبهها (٥). وعرفهم الخنابلة بقولهم: هم الخارجون على إمام ولو غير عدل، بتأويل سائغ ولهم شوكة، ولو لم يكن فيهم مطاع. ويحرم الخروج على الإمام ولو غير عدل (٦).

والفرق بين الباغي والمحارب: أن المحارب يخرج فسقاً وعصياناً على غير تأويل، والباغي: هو الذي يحارب على تأويل، فيقتل ويأخذ المال، وإذا أخذ الباغي ولم يتب، فإنه لا يقام عليه حد الخرابة، ولا يؤخذ منه ما أخذ من المال وإن كان موسراً، إلا أن يوجد بيده شيء بعينه، فيرد إلى صاحبه (٧). ويكون للبغاة قوة ومنعة في مكان يتحصنون فيه.

### ثانياً. أحكام البغاة:

#### (١) - قتالهم واستتابتهم:

إذا لم يكن للبغاة منعة، فللإمام أن يأخذهم ويحبسهم حتى يتوبوا.

وإن تأهبوا للقتال، وكان لهم منعة (مكان محصن) وشوكة (سلاح)، يدعوهم الإمام إلى التزام الطاعة، ودار العدل، والرجوع إلى رأي الجماعة أولاً، كما يفعل مع أهل الحرب. فإن أبوا ذلك قاتلهم أهل العدل حتى يهزموهم ويقتلوهم، ويجوز قتل مدبريهم وأسراهم، والإجهاز على جريحهم عند الحنفية خلافاً لجمهور الفقهاء (٨). ولا يبدؤهم الإمام بالقتال حتى يبدؤوه؛ لأن قتالهم لدفع شرهم. ودليل هذه الأحكام: هو قوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين} [الحجرات: ٩/٤٩] وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه:

"إنك تقاتل على التأويل، كما تقاتل على التنزيل" (٩).

ولا بأس أن يقاتل البغاة بسلاحهم، ويرتفق بجيولهم إن احتاج المسلمون إليه؛ لأن للإمام أن يفعل ذلك في مال العادل عند الحاجة، ففي مال الباغي أولى.

وأما أموالهم: فيحبسها عنهم الإمام إلى أن يزول بغيتهم، فإذا زال ردها إليهم؛ لأن أموالهم لا تحتل بالملك بالاستيلاء لكونهم مسلمين (١٠).

#### (٢) - ضمان ما أتلّفوه من الأنفس والأموال:

قال الحنفية والمالكية والحنابلة، والشافعية في أظهر القولين عندهم: لا يضمن البغاة المتأولون ما أتلّفوه حال القتال من نفس ولا مال، بدليل ما روى الزهري، فقال: «كانت الفتنة العظمى بين الناس، وفيهم البدريون، فأجمعوا -أي في وقائعهم كوقعة الجمل وصغين- على ألا يقام حد على رجل استحله فرجاً حراماً بتأويل القرآن، ولا يقتل رجل سفك دمًا حراماً بتأويل القرآن، ولا يغرم مال أتلّفه بتأويل القرآن» (١١)؛ ولأن البغاة طائفة متمتعة بالحرب بتأويل سائغ، فلم تضمن ما أتلّفت على الأخرى كأهل العدل، ولأن تضمينهم يفضي إلى تنفيرهم عن الرجوع إلى الطاعة، فلا يشرع كتضمين أهل الحرب.

واتفق العلماء أيضاً على أنه لا إثم ولا كفارة على أهل العدل بقتلهم أهل البغي، ولا يضمنون ما أتلّفوه عليهم، لخبر الزهري السابق، ولأن العادل قد فعل ما أمر به، وقتل من أحل الله قتله، وأمر بمقاتلته. وكذلك الأموال مهددة كالأنفس، لأنهم إذا لم يضمنوا الأنفس، فالأموال أولى (١٢).

وإذا أتلّف البغاة أو العادلون مال بعضهم بعضاً، قبل تمكن المنعة للبغاة، أو بعد انضمامهم، فإنهم يضمنون ما أتلّفوه من الأنفس والأموال، لأنهم حينئذ من أهل دار الإسلام، فتكون الأنفس والأموال معصومة.

وما جباه أهل البغي من البلاد التي غلبوا عليها من الخراج والعشر، لم يأخذها الإمام ثانياً؛ لأن ولاية الأخذ له باعتبار الحماية، ولم يحمهم. فإن صرف البغاة هذا المال في حقه، أجزأ من أخذ منه لوصول الحق إلى مستحقه، وإن لم يكونوا صرفوه في حقه، أفني أهله فيما بينهم وبين الله تعالى أن يعيدوا دفعه؛ لأنه لم يصل إلى مستحقه (١٣).

### ٣ - عقوبة جرائم البغاة:

إذا قطع البغاة الطريق على أهل العدل من المسافرين، فلا يجب عليهم الحد؛ لأنه يدعون إباحة أموالهم عن تأويل، ولهم منعة.

ولو سرق الباغي مال العادل لا يقطعه الإمام، لعدم ولايته على دار البغي، ولخبر الزهري السابق الذكر. وفي الجملة: لا تقام الحدود على البغاة عند الحنفية، لعدم ولاية الإمام على دار البغي. ويوافقهم المالكية والحنابلة في عدم ضمان ما أتلّفوه حال الحرب من نفس أو مال، ولا تقام عليهم الحدود (١٤).

وقال الشافعي: يقطع الباغي إذا أصاب شيئاً من أموال المسلمين، ولو في داره؛ لأنه جان، فيستوي في حقه وجود المنعة وعدمها؛ لأن الجاني يستحق التغليظ دون الخفيف.

وإذا سرق الباغي مال العادل في دار الإسلام يقطع، وإن استحلّه؛ لأنه لا منعة له (١٥). وفي الجملة: حكم البغاة عند الشافعية في ضمان النفس والمال والحد في غير حال الحرب حكم أهل العدل. وإن ارتكب الباغي جريمة القتل: الصحيح عندهم أنه لا يتحتم قتله، ويجوز العفو عنه، لقول علي بعد أن جرحه ابن ملجم: أطعموه واسقوه واحبسوه، فإن عشت فأنا ولي دمه، أعفو إن شئت، وإن شئت استقدت (١٦).

### ٤ - الفرق بين قتال البغاة وقتال المشركين:

البغاة باتفاق أئمة المذاهب كما عرفنا: هم الذين يخرجون على الإمام يبغون خلعه، أو منع الدخول في طاعته، أو يبغون منع حق واجب بتأويل في ذلك كله. وبهذا التأويل يمتازون عن المخاريين.

ويفترق حكم قتالهم عن قتال المشركين بأحد عشر وجهاً عند المالكية كما أبان القرافي المالكي (١٧):

وهي أن يقصد بالقتال ردعهم لا قتلهم، ويكف عن مدبرهم، ولا يجhez على جريحهم، ولا يقتل أسراهم، ولا تغنم أموالهم، ولا تسي ذراريهم، ولا يستعان على قتالهم بمشرك، ولا نوادعهم على مال، ولا تنصب عليهم الرغادات (المجانيق)، ولا تحرق عليهم البساتين، ولا يقطع شجرهم. والمعتمد في المذهب المالكي: أن للإمام أن يقاتل البغاة بالسيف والرمي بالنبل والمنجنيق والتغريق والتحريق وقطع الميرة (التموين) والماء عنهم إلا أن يكون فيهم نسوة أو ذراري، فلا نرميهم بالنار، ولا نسي ذراريهم وأموالهم؛ لأنهم مسلمون.

وقتال الحريين المشركين كقتال البغاة إلا في خمسة أوجه:

يقاتلون أي الحريون مدبرين، ويجوز تعمد قتلهم، ويطالبون بما استهلكوا من دم أو مال في الحرب وغيرها، ويجوز حبس أسراهم لاستبراء أحوالهم، وما أخذوه من الخراج والزكاة لا يسقط عنمن كان عليه كالغاصب إذا أخذ ذلك.

### الحاشية:

(١) حاشية الدسوقي: ٤/٢٩٨.

(٢) الأحاديث في هذا المعنى كثيرة: منها: ما أخرجه مسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية..» الحديث، ومنها: ما رواه الحاكم عن ابن عمر بلفظ: «من خرج من الجماعة فقد خلع ربة الإسلام من عنقه حتى يراجعه، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن ميتته ميتة جاهلية» ومنها: ما رواه أحمد والشيخان عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتته جاهلية». وفي لفظ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً، فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية» ومنها: ما روي عن أبي ذر ومعاوية وأبي الدرداء وغيرهم كثير (راجع جامع الأصول: ٤/٢٥٦، مجمع الزوائد: ٥/٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، نيل الأوطار: ٧/١٧١، ١٧٣).

(٣) أخرجه أحمد والشيخان من حديث ابن عمر، وأبي موسى الأشعري، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وسلمة بن الأكوع. (راجع نيل الأوطار: ٧/١٧٣، سبل السلام: ٣/٢٥٧).

(٤) فتح القدير: ٤/٤٠٨ وما بعدها، تحفة الفقهاء: ٣/٢٥١ الطبعة الأولى، حاشية ابن عابدين: ٣/٣٣٨.

(٥) القوانين الفقهية: ص ٣٦٣.

(٦) غاية المنتهى: ٣/٣٤٨ وما بعدها.

(٧) المقدمات الممهدة: ٣/٢٣٦.

(٨) حاشية الدسوقي: ٤/٣٠٠، مغني المحتاج: ٤/١٢٧، المغني: ٨/١١٤، الكتاب مع اللباب: ٤/١٥٤ وما بعدها.

(٩) رواه أحمد وإسناده حسن عن أبي سعيد الخدري قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» وفي رواية «إن منكم» ثم في بعض الروايات عين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المقصود بهذا الخطاب، وهو سيدنا علي (راجع مجمع الزوائد: ٦/٢٤٤، ٩/١٣٣).

(١٠) المبسوط: ١٠/١٢٤ وما بعدها، البدائع: ٧/١٤٠ وما بعدها، فتح القدير: ٤/٤٠٩ وما بعدها، تبين الحقائق: ٣/٢٩٥، الكتاب مع اللباب: ٤/١٥٥.

(١١) ذكره أحمد في رواية الأثرم واحتج به (راجع نيل الأوطار: ٧/١٦٩).

(١٢) المبسوط: ١٠/١٢٨، البدائع: ٧/١٤١، فتح القدير: ٤/٤١٤، بداية المجتهد: ٢/٤٤٨، حاشية الدسوقي: ٤/٣٠٠، القوانين الفقهية: ص ٣٦٤، المهذب: ٢/٢٢٠، مغني المحتاج: ٤/١٢٥، المغني: ٨/١١٣، كشاف القناع: ٤/١٢٨، شرح مسلم للنووي: ٧/١٧٠، غاية المنتهى: ٣/٣٥١.

(١٣) الكتاب مع اللباب: ٤/١٥٦.

(١٤) القوانين الفقهية: ص ٣٦٤، المغني: ٨/١١٣.

(١٥) البدائع: ٧/١٤١، تحفة الفقهاء: ٣/٢٥٢، المهذب: ٢/٢٢١.

(١٦) المهذب: ٢/٢٢١، مغني المحتاج: ٤/١٢٩، ٢/٢٧٧ وما بعدها.

(١٧) الفروق: ٤/١٧١، وانظر أيضاً القوانين الفقهية: ص ٣٦٤، الشرح الكبير: ٤/٢٩٩.

#### البغاة: د. محمد سعيد رمضان البوطي

وهنا ملاحظة مهمة من كتاب الجهاد للدكتور البوطي فيها مزيد من الإيضاح:

"والبغاة، فيما أجمع عليه الفقهاء، هم فئة خرجت على إمام المسلمين بمقاتلته أو بمنعه حقاً من الحقوق التي يجب أداؤها إليه، معتمدين على رأي اجتهادي في تبرير عملهم، وقد توفرت لهم شوكة ومنعة وفيهم زعيم مطاع.

هذه الشروط الثلاثة محل اتفاق من الفقهاء لتسمية الفئة الخارجة فئة باغية. وهي ليست شروطاً لتبرير خروجهم وعملهم في ميزان الشرع، كما قد يظن. وإنما هي شروط لآداب وقيود معينة يجب أن تلتزم بها الدولة في قتالهم..

من هذه الآداب والقيود أنه لا يجوز للدولة تعقب المنهزمين منهم بالقتل، إلا أن يكون انضمامهم صورياً للتحيز إلى فئة لهم، وأنه لا يجوز الإجهاز على الجريح منهم ولا مصادرة أموالهم، وإن أُجذوا لا يجوز أن يعاقبوا بالقتل، كما لا يجوز قتل أسراهم بل يؤدبون بالسجن ونحوه إلى أن يتوبوا، ولا يقام عليهم القصاص في قتل الأنفس كما لا يغرمون بدفع الديات ونحوها.

فأما لو خرجوا على إمام المسلمين، دون الاعتماد على رأي اجتهادي له وجه يمكن قبوله ولو بوجه ضعيف، أو دون أن تكون لهم شوكة وزعيم مطاع فيهم. فليس على الدولة أن تنتقيد في مقاومتهم بشيء من تلك الضوابط والآداب. بل يعدون عندئذ من أهل الحراية، وبوسع الدولة أن تعاملهم كمعاملتهم."

انتهى الاقتباس ويمكن الرجوع إلى الكتاب لمزيد من التفصيل.

إذن تسمية الخارجين على الحاكم بغاةً بعد تحقق الشروط الثلاثة فيهم، ليس تبريراً لعملهم فتجب مقاومتهم، ولكن إن اجتمعت هذه الشروط فيهم فعلى الدولة التقيد بقيود معينة تم ذكرها عند مقاومتهم، هذه القيود غير موجودة عند مقاومتها للمحاربين.

## الإجماع، ومسألة الخروج على الحاكم

سأتناول في هذا الموضوع النقاط التالية:

- تعريف الإجماع باختصار.
- إن وقع الإجماع في عصر من العصور على مسألة اجتهادية، فهل ينقضه اجتهاد لاحق؟ وما موقفنا من هذا الاجتهاد المخالف اللاحق؟
- هل يمكن أن يكون الإجماع على مسألة كانت خلافية في الأصل؟ وإن وقع فما موقفنا من الرأي السابق المخالف؟
- هل أجمع الفقهاء في عصر من العصور على تحريم الخروج على الحاكم وإن كان جائزاً؟ وهل أجمعوا على وجوب طاعة السلطان المتغلب بالقوة؟ ومن الذي نقل هذا الإجماع؟
- ما تطبيق ما قلناه في البداية على مخالفة هذا الإجماع؟
- على فرض عدم وجود الإجماع في هذه المسألة كما يقول البعض، ماذا قال المخالفون وهل وضعوا شروطاً، وهل يلتزم بهذه الشروط من يستدلون بأقوالهم؟
- ما موقفنا إن كان هناك اجتهادان أحدهما سيؤدي إلى فتن وحروب، والآخر لن يؤدي إلى ذلك؟
- هل ابتدع الدكتور البوطي رحمه الله في موقفه من الفتنة في سوريا رأياً جديداً، أم أنه كان المدافع عن منهج السلف الصالح والمطبق له على أفضل وجه؟
- بماذا رد الدكتور البوطي رحمه الله على من قال أن لا إجماع في هذه المسألة بدليل ما نُقل على لسان الإمام الجويني، أو بدليل بعض الحوادث التاريخية التي استدلوا بها؟

**الإجماع في اصطلاح الأصوليين:** هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد عليه الصلاة والسلام بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي.

أي أن الإجماع لا بد فيه من الاتفاق على أمر من الأمور، وأن يكون صادراً من المجتهدين الذين تتوافر لديهم أهلية الاجتهاد، فلا عبرة بقول العوام ومن ليس أهلاً للنظر في استنباط الأحكام الشرعية، وأن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين، ولا ينعقد في حال حياة النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يكون إلا على حكم شرعي كالوجوب أو الحرمة أو الصحة أو الفساد، فلا يعول على الإجماع في الأمور اللغوية أو القضايا العقلية أو الدنيوية...

ولالإجماع أركان وشرائط منها أن يعتمد المجمعون على مستند شرعي في إجماعهم من نص أو قياس. وقد يكون الإجماع صريحاً أو سكوتياً.

فإذا انعقد الإجماع على النحو السابق المطلوب، بأن اتفقت آراء المجتهدين جميعاً في عصر من العصور على حكم واحد في واقعة، صار الحكم ملزماً واجب الاتباع ولا تجوز مخالفته، وليس لأهل عصر تال أن ينقضوه؛ لأن الحكم الشرعي أصبح حكماً قطعياً لا مجال لمخالفته ولا لنسخه، وثبت المراد به على سبيل اليقين، كالقرآن والسنة.

(عن الدكتور وهبة الزحيلي - الوجيز في أصول الفقه - بتصرف واختصار)

إذن الإجماع قد يعقد في مسألة كانت خلافية من قبل ثم يتفق مجتهدو عصر لاحق عليها، فيصبح اتفاقهم هذا وإجماعهم عليها حكماً شرعياً لا تجوز مخالفته أو نقضه بعد هذا، فإن وجد اجتهاد مخالف بعد الإجماع أو قبله فإنه لا يعتد به.

ولا يعني الإجماع إجماع جميع المجتهدين في جميع العصور على هذه المسألة كما يفهم البعض. كما أن الإجماع لا يكون إلا ممن توافرت لديهم صفات المجتهد وهي معروفة، فلا عبرة بقول أو فعل العامة من الناس ولا حتى طلبة العلم.

وقد نقلت سابقاً عن الإمام النووي وهو من أكثر علماء المسلمين فقهاً وورعاً وصدقاً وعن الإمام ابن حجر العسقلاني وهو كذلك أيضاً أنهم قالوا أن هناك إجماعاً على تحريم الخروج على الحاكم ولو كان جائراً لما في ذلك من فتن وسفك للدماء، وعلى وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء. (راجع شرح صحيح مسلم للإمام النووي وفتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر).

وأنقل هنا ما قاله الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم (أنقله من كتاب فقه الجهاد صفحة ١٠٦٢ للدكتور القرضاوي الذي استدل به على جماعات العنف في تحريم الخروج على الحاكم، مع أدلة كثيرة جداً ذكرها)، قال:

"لو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخفيفه؛ للأحاديث الواردة في ذلك. قال القاضي: وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع، وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسن وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية، وقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث، وتأول هذا القائل قوله: "ألا ننازع الأمر أهله" في أئمة العدل، وحجة الجمهور: أن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق، بل لما غير من الشرع وظاهر من الكفر، قال القاضي: وقيل: إن هذا الخلاف كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم. والله أعلم."

بعد هذا الذي قاله الإمام النووي، لا يعني أن يأتي أحد ما ثم يحاول أن ينفي الإجماع في مسألة كهذه مع أن الأحاديث والأدلة الخاصة بها واضحة وصریحة، ويكفي أن يعترف هؤلاء أن جمهرة عظيمة من المجتهدين قالوا بتحريم الخروج على الحاكم ولو كان جائراً. والعجب كل العجب ممن يدعي أن من يقول بتحريم الخروج على الحاكم ولو كان جائراً هو الذي حرق الإجماع!!

مع هذا سأفرض أنه ليس في المسألة إجماع وأن الإمام النووي (وغيره) كان يبالغ، سأفرض هذا، إذن فليعدرنا هؤلاء الإخوة إن أخذنا بقول الأكثرية من المجتهدين الذين حرّموا هذا الفعل، وقول الباقيين (إن كان هؤلاء فعلاً في العصر الذي قيل أنه العصر الذي حصل فيه الإجماع) الذين حرّموا الخروج أيضاً إن تسبب في فتن كما ذكر أعلاه، فليعدرنا وليكفوا ألسنتهم عن العلماء الذين أخذوا بهذا القول فيتهمونهم تارة بالمداينة وتارة بالجهل وتارة أخرى بالتلاعب، لأن هذا الاتهام سيوجه مباشرة إلى أكثر مجتهدي الأمة، إن لم نقل جميعهم.

بل أقول أن عليهم أن يراجعوا أنفسهم أولاً وليسألوها: لو وُجد في مسألة ما خلاف، أحد الرأيين الاجتهاديين سيؤدي إلى فتن، والرأي الآخر لا يؤدي إلى ذلك، فأی الرأيين علينا أن نأخذ؟! هذا إن وجد الخلاف كما فرضنا، فحتى الذين قالوا بجواز الخروج اشتروا عدم التسبب بفتن وحروب ولا أدري لماذا يغفل هؤلاء الإخوة هذا الشرط، أم أن هذا الشرط لم يتحقق بعد!! .

طبعاً لا يوجد عاقل إلا ويجيب أن الواجب الأخذ بالقول الذي لا يتسبب بفتن طالما أن القولين اجتهاديان، وهذا بحد ذاته حكم شرعي أياً كانت المسألة.

على كل حال، هذا جواب الدكتور البوطي رحمه الله على أحد الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع، قال:

"الإجماع الذي أكده الإمام النووي أسبق من الاجتهاد الذي نقله سعد التفتازاني عن الجويني وإذا وقع الإجماع بطلت الاجتهادات اللاحقة المخالفة. على أن الاجتهاد إذا ناقض الصحيح الثابت من كلام رسول الله، يكون ذلك الاجتهاد باطلاً بالاتفاق. وقد صح فيما رواه مسلم وغيره من حديث حذيفة أن رسول الله قال: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بمهاديتي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنس) قال حذيفة: فقلت: (كيف نصنع يا رسول الله إن أدركنا ذلك؟) قال: (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع) على أن الإمام الغزالي تلميذ للجويني، ولم نجد في كتاب الوسيط وغيره هذا النقل عن الجويني، بل أكد على ما نقله النووي، مع العلم بأن النووي متأخر عنه."

وهذا ما قاله في الرد على من أنكروا الإجماع أو ربما أنكروا الحكم كله بتحريم الخروج على الحاكم مستدلين ببعض الحوادث التاريخية، قال:

"إن خروج الحسين وابن الزبير وابن عباس وغيرهم على يزيد، ليس من نوع الخروج على الحاكم الذي استقر له الحكم. ولم يقل أحد من المؤرخين أو الفقهاء ذلك. بل من الثابت أن الذين خرجوا على يزيد، إنما خرجوا عليه قبل أن تتم له البيعة الشرعية وقبل أن تستقر له الغلبة، ذلك أنه دعا الناس إلى بيعته، وكان قد أوصى والده الناس قبل وفاته بالبيعة له، ولكن جميع أهل الحجاز وسائر أهل العراق وفئات من أهل الشام رفضوا مبايعته، وكان في مقدمتهم هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم. إذن لم يكن موقفهم خروجاً على إمام استقرت في الناس إمامته، بل كانوا يمارسون حقهم في البيعة أو عدم البيعة له، بين يدي دعوته الناس إلى مبايعتهم له. يعلم هذا أي مثقف له زاد من الثقافة يسير."

أما خروج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان، فقد كان خروجه من نوع البغي كما قرر الفقهاء، وللبغي قيود وشروط شرعية معروفة في الباب الفقهي المخصص لذلك وليس بينه وبين خروج الناس إلى المسيرات وهتافات التجريح والسب والتسقيط والخطط الكامنة وراءه أي علاقة أو شبهة."

أخيراً، أقول هذا متجاهلاً أن ما يجري اليوم في سوريا هو حرب خارجية معلنة من المسيحية المتهودة بأدوات داخلية يتم تحريضها ودعمها مادياً وإعلامياً وعسكرياً وسياسياً، وقد أصبح هذا واضحاً وليس قابلاً للنقاش، نعم تجاهلت كل هذا وافترضت أن ما يجري هو فعلاً ثورة على الظلم وطلباً للحرية.

فإن سأل سائل يتحرّق فعلاً على الإسلام ويريد الجهاد، إن سأل عن الحل، أقول: تابع سلسلة دروس الجهاد للدكتور البوطي رحمه الله لتعرف كيف يكون الجهاد، وكيف يأتي النصر، ففيها إجابة شافية.

## الخلل في فقه الخروج على الحكام - د. يوسف القرضاوي

يقع الخلل عند جماعات العنف في فقه الخروج على الحكام: فهو يتمثل في أنهم يرون وجوب الخروج على الحكام المعاصرين في البلاد الإسلامية، ما داموا لا يحكمون بما أنزل الله، وما داموا يوالون أعداء الله، وما داموا يعادون الدعاة إلى الله، وما داموا قد فرضوا أنفسهم على شعوبهم بغير رضاها واختيارها.

ومن هنا كان واجب النصيحة في الدين، وفرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب مقاومة الظلمة، وتغيير المنكر بالقوة أو باليد لمن استطاع، وغير ذلك من عمومات القرآن والسنة، كلُّها توجب الخروج على هؤلاء الحكام الظلمة - أو الكفرة - وتطهير بلاد المسلمين من شرِّهم وفسادهم، حتى لا تعمُّ نعمتهم الناس جميعاً، كما قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: ٢٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه: أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب من عنده" [١].

### الصبر على جور الأئمة

وأوَّدُّ أن أبدأ حديثي هنا: بأي من الذين يطالبون حكام المسلمين أن يطبّقوا شرع الله في جميع جوانب الحياة، ولا يعطّلوا بعضه ويأخذوا بعضه، كما قال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]. ولا يكونوا كبنِي إسرائيل، الذين قرَّعهم الله تعالى بقوله: {أَفْتُونُونِي بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: ٨٥].

ولا أرى أن وضع الحكم في معظم الأقطار الإسلامية: وضع يرضى عنه الله ورسوله والمؤمنون، بل هناك مخالفات شتَّى لشريعة الإسلام: في مجالات عدَّة، لا يجوز السكوت عليها: في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والثقافة، وغيرها. وخصوصاً: مجالات العدل والشورى والحريات العامة، وحقوق الإنسان، ولا سيما الفئات الضعيفة والمسحوقَة من بني الإنسان! وإن كنا نعتز أن هذه المخالفات الشرعية: متفاوتة في كمِّها وكيفها من بلد إلى آخر. وهذا يوجب علينا: أن نعمل على إصلاحها - ما استطعنا - بالنصح والدعوة والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: بالرفق والحكمة، والجدال بالتي هي أحسن، وتقديم البدائل الشرعية الصالحة للتطبيق المعاصر، بدل المحرّمات القائمة، وتوعية الشعوب وتربيتها، وتجميعها لتسوق الحكام إلى التغيير السلمي، بدلاً من الفتن والمصادمات المسلحة.

ولكننا نخالف جماعات العنف في حمل السلاح، والخروج على الحكام بالقوة المادية، بدعوى أن هذا واجب ديني، وفريضة شرعية: لما ذكروه من أدلة واعتبارات تؤيد وجهة نظرهم.

فقد غفل هؤلاء - من جماعات العنف - عن أمر مهم، وهو أن الذي ذكروه هنا من النصوص، يدخل في باب العمومات والمطلقات، التي خصّصتها أو قيّدتها نصوص أخرى، جاءت تأمر بالصبر على جور الأئمة، ومظالم الأمراء، وإن جاروا على حقوق الأفراد بأخذ المال، وضرب الظهر، ما لم يظهر منهم كفر بواح عندنا فيه من الله برهان. وما ذلك إلا للإبقاء على وحدة الأمة واستقرار الدولة، والحرص على حقن الدماء، وسلامة الأرواح والأموال، والخشية من أن تفتح أبواب فتن لا تسدُّ، وأن تفتق فتوق يصعب رتقها. وقد شدّدت الأحاديث في هذا الجانب، حتى لا يسارع أهل الورع وأهل الحماس، بالخروج على السلطان الشرعي: بكلِّ ما يرونه مخالفاً، وإن لم يكن من الضروريات أو القطعيّات في الدين.

ولقد أثبت التاريخ الحافل قديماً وحديثاً: أن (الخروجات المسلّحة) على الأمراء والحكام، لم يقدر لها النجاح، وباءت بالإخفاق، إلا ما ندر، ولم تكسب الأمة من ورائها شيئاً إلا الفتن والاضطراب، وزعزعة الأمن، وسفك الدماء في غير طائل.

## نظرة في الأحاديث الواردة

وحسبنا أن نلقي نظرة سريعة على الأحاديث، التي ذكرها صاحب (منتقى الأخبار) وشرحها الشوكاني في (نيل الأوطار)، تحت عنوان:

(باب الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والكف عن إقامة السيف)

عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ: فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَيْراً فَمَاتَ فَمِيتَةً جَاهِلِيَةً" [٢].

وفي لفظ: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ: شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْراً فَمَاتَ عَلَيْهِ: إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَةً" متفق عليه [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ: وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خَلَفَاءُ فَيَكْتُمُونَ". قالوا: فما تأمرنا؟ قال: "فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، ثُمَّ أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ". متفق عليه [٤].

قال الشوكاني: (قوله: "مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَيْراً": كناية عن معصية السلطان ومحاربتة. قال ابن أبي جهمرة: المراد بالمفارقة: السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكفَى عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق).

قوله: "فميتته جاهلية" وفي رواية لمسلم: "فميتته ميتة جاهلية" وفي أخرى له، من حديث ابن عمر: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ: لَقِيَ اللَّهَ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ: مَاتَ مِيتَةً الْجَاهِلِيَّةَ" [٥].

والمراد بالميتة الجاهلية: أن يكون حاله في الموت: كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً. ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره؛ ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي، وإن لم يكن جاهلياً، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير. فظاهره غير مراد. ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه: ما أخرجه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان وصححه؛ من حديث الحارث بن الحارث الأشعري، من حديث طويل، وفيه: "مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَيْراً: فَكَأَنَّمَا خَلَعَ رِيقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ" [٦].

قوله: "فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ": فيه دليل على أنه يجب على الرعية الوفاء ببيعة الإمام الأول ثم الأول، ولا يجوز لهم المبايعة للإمام الآخر قبل موت الأول. قوله: "ثُمَّ أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ": أي ادفعوا إلى الأمراء حَقَّهُمْ، الذي لهم المطالبة به وقبضه، سواء كان يختص بهم أو يعم، وذلك من الحقوق الواجبة في المال: كالزكاة، وفي الأنفس: كالخروج إلى الجهاد.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خيار أئمتكم: الذين تحببهم ويحببونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم". قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننايذهم عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة". رواه مسلم [٧]. (قلت: استدلت الدكتور القرضاوي بهذا الحديث مرة أخرى على عكس هذا المعنى بعد أن أسقط منه الجزء الأخير !!)

وعن حذيفة بن اليمان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس". قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع، وإن ضرب

ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع". رواه أحمد ومسلم [٨]. (قلت: هذا الحديث الذي ضعفه الدكتور القرضاوي على قناة الجزيرة، وهو يستدل به هنا على أنه حديث صحيح !!)

وعن عَرَفَجَةَ الأشجعي قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ أتاكم وأمركم جميع - على رجل واحد - يريد: أن يشقَّ عصاكم، أو يفرِّق جماعتكم: فاقتلوه". رواه أحمد ومسلم [٩].

وعن عبادة بن الصامت قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة: في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله: إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم فيه من الله برهان". متفق عليه [١٠].

قال الشوكاني: وفي الباب أحاديث غير هذه، بعضها تقدّم في باب براءة ربّ المال بالدفع إلى السلطان الجائر، في كتاب الزكاة. وبعضها مذكور في غير هذا الكتاب. من ذلك حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: "مَنْ خرج من الجماعة، فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه حتى يراجعه، ومَنْ مات وليس عليه إمام جماعة: فإن ميتته ميتة جاهلية" [١١]. عن الحارث بن الحارث الأشعري، ورواه الحاكم: من حديث معاوية أيضاً [١٢]، والبخاري: من حديث ابن عباس [١٣].

وأخرج مسلم، من حديث أبي هريرة بلفظ: "مَنْ خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، فميتته جاهلية" [١٤].

وأخرج أيضاً مسلم نحوه، عن ابن عمر وفيه قصة [١٥].

وأخرج الشيخان، من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ: "مَنْ حمل علينا السلاح فليس منا" [١٦]، وأخرجه أيضاً من حديث ابن عمر [١٧]، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة [١٨]، وسلمة بن الأكوع [١٩].

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم، من حديث أبي ذر: "مَنْ فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه" [٢٠].

وأخرج البخاري، من حديث أنس: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، رأسه زبيبة: ما أقام فيكم كتاب الله تعالى" [٢١].

وأخرج الشيخان، من حديث أبي هريرة: "مَنْ أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومَنْ يطع الأمير فقد أطاعني، ومَنْ يعص الأمير فقد عصاني" [٢٢].

وأخرج الشيخان وغيرهما، من حديث ابن عمر: "على المرء المسلم: السمع والطاعة فيما أحبّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية: فلا سمع ولا طاعة" [٢٣].

وأخرج الترمذي، من حديث ابن عمر: "ألا أخبركم بخير أمرائكم وشرارهم؟ خيارهم: الذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشرار أمرائكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" [٢٤].

وأخرج الترمذي، من حديث أبي بكر: "مَنْ أهان سلطان الله في الأرض: أهانه الله تعالى" [٢٥].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهذا طرف منها.

وقوله: "خيار أئمتكم ... إلخ": فيه دليل على مشروعية محبة الأئمة، والدعاء لهم، وأن مَنْ كان من الأئمة محباً للرعية ومحبوباً لديهم، وداعياً لهم ومدعوّاً له منهم، فهو من خيار الأئمة، ومَنْ كان باغضاً لرعيته مبغوضاً عندهم، يسبُّهم ويسبُّونه، فهو من شرارهم، وذلك لأنه إذا عدل فيهم وأحسن القول لهم: أطاعوه وانقادوا له وأثنوا عليه، فلما كان هو الذي تسبَّب بالعدل وحسن القول إلى المحبة والطاعة والثناء

منهم: كان من خيار الأئمة، ولما كان هو الذي يتسبب أيضاً بالجور والشتم للرعية: إلى معصيتهم له وسوء القالة منهم فيه: كان من شرار الأئمة.

قوله: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة": فيه دليل على أنه: لا يجوز مناظرة الأئمة بالسيف مهما كانوا مقيمين للصلاة، ويدل ذلك بمفهومه على جواز المناظرة عند تركهم للصلاة. وحديث عبادة بن الصامت المذكور، فيه دليل على أنها لا تجوز المناظرة، إلا عند ظهور الكفر البواح.

قوله: "فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعه يوماً من طاعة": فيه دليل على أن من كره بقلبه ما يفعله السلطان من المعاصي: كفاه ذلك، ولا يجب عليه زيادة عليه. وفي الصحيح: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه"، ويمكن حمل حديث الباب، وما ورد في معناه: على عدم القدرة على التغيير باليد واللسان، ويمكن أن يجعل مختصاً بالأمر إذا فعلوا منكراً، لما في الأحاديث الصحيحة: من تحريم معصيتهم ومنازعتهم، فكفى في الإنكار عليهم مجرد الكراهة بالقلب؛ لأن في إنكار المنكر عليهم باليد واللسان: تظاهراً بالعصيان، وربما كان ذلك وسيلة إلى المناظرة بالسيف.

قوله: "في جثمان إنس" بضم الجيم وسكون المثناة: أي لهم قلوب كقلوب الشياطين وأجسام كأجسام الإنس.

قوله: "وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك: فاسمع وأطع": فيه دليل على وجوب طاعة الأمراء، وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم، فيكون هذا مخصصاً لعموم قوله تعالى: {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤]. وقوله: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: ٤٠].

قوله: "وأثرة علينا": والمراد: أن طاعتهم لمن يتولى عليهم، لا تتوقف على إيصالهم حقوقهم، بل عليهم الطاعة ولو منعوهم حقهم.

قوله: "وأن لا ننازع الأمر أهله": أي الملك والإمارة، زاد أحمد في رواية: "وإن رأيت أن لك في الأمر حقاً، فلا تعمل بذلك الظن، بل اسمع وأطع، إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة.

قوله: "إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم فيه من الله برهان": أي نص آية أو خبر صريح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه: أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل.

قال النووي: (المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك: فأنكروا عليهم، وقولوا بالحق حيثما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم: فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين.

قال النووي: وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا يعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور - في كتب الفقه - لبعض أصحابنا: أنه يعزل، وحكي عن المعتزلة أيضاً: فغلط من قائله، مخالف للإجماع. قال العلماء: وسبب عدم انعزله وتحريم الخروج عليه: ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله: أكثر منها في بقائه.

قال القاضي عياض: أجمع العلماء أن الإمامة لا تتعد لکافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر: انعزل، قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها. قال: وكذلك - عند جمهورهم - المبتدع، قال: وقال بعض البصريين: تعتقد له وتستدام له؛ لأنه متأول. قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع، أو بدعة: خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه، وخلعه ونصب إمام عادل ما أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز: لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها، ويفرّ بدينه.

قال: ولا تتعقد لفاسق ابتداء، فلو طرأ على الخليفة فسق، قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب.

وقال جماهير أهل السنة، من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين: لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يُخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخفيفه؛ للأحاديث الواردة في ذلك، قال القاضي: وقد ادّعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع، وقد ردّ عليه بعضهم هذا: بقيام الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية، وقيام جماعة عظيمة - من التابعين والصدر الأول - على الحجاج مع ابن الأشعث، وتأوّل هذا القائل قوله: "ألا ننازع الأمر أهله"، في أئمة العدل. وحجّة الجمهور: أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرّد الفسق، بل لما غير من الشرع، وظاهر من الكفر، قال القاضي: وقيل: إن هذا الخلاف كان أولاً، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم. والله أعلم [٢٦].

ونقل الحافظ في الفتح: (إذا كانت المنازعة - في الولاية - فلا ينازعه بما يقدر في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية، فإذا لم يقدر في الولاية: نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق، ويتوصّل إلى تنبئ الحق له بغير عنف، ومحل ذلك إذا كان قادراً.

قال الحافظ: ونقل ابن التين عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور: أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم: وجب، وإلا، فالواجب: الصبر. وعن بعضهم: لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً، فاختلّفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح: المنع إلا أن يكفر، فيجب الخروج عليه.

قال ابن بطال: إن حديث ابن عباس المذكور - في أول الباب - حُجّة في ترك الخروج على السلطان، ولو جار.

قال في الفتح: وقد أجمع الفقهاء: على وجوب طاعة السلطان المتعلّب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك؛ بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث [٢٧] انتهى.

قال الشوكاني: وقد استدلّ القائلون بوجوب الخروج على الظلمة، ومنابتهم بالسيف، ومكافحتهم بالقتال، بعمومات من الكتاب والسنة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك ولا ريب: أن الأحاديث التي ذكرها المصنّف في هذا الباب وذكرناها: أخص من تلك العمومات مطلقاً، وهي متواترة المعنى، كما يعرف ذلك من له أنسة بعلم السنة، ولكنه لا ينبغي لمسلم: أن يحطّ على من خرج من السلف الصالح - من العترة وغيرهم - على أئمة الجور، فإنهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم، وهم أتقى الله وأطوع لسنة رسول الله من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم. ولقد أفرط بعض أهل العلم كالكرامية ومن وافقهم في الجمود على أحاديث الباب، حتى حكموا بأن الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه: باغ على الحمير السكير الهاتك لحرم الشريعة المطهّرة يزيد بن معاوية، فيا لله العجب من مقالات تقعشّر منها الجلود، ويتصدّع من سماعها كل جلود [٢٨] انتهى.

### تخريج الأحاديث

[١] - سبق تخريجه.

[٢] - سبق تخريجه.

[٣] - سبق تخريجه.

- [٤] - متفق عليه: رواه البخاري في الأنبياء (٣٤٥٥)، ومسلم في الإمامة (١٨٤٢)، كما رواه أحمد في المسند (٧٩٦٠)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٧١).
- [٥] - رواه مسلم في الإمامة (١٨٥١)، والبيهقي في الكبرى كتاب قتال أهل البغي (١٥٦/٨).
- [٦] - رواه أحمد في المسند (١٧٨٠٠)، وقال مخرّجه: حديث صحيح وهذا إسناد حسن، والترمذي في الأمثال (٢٨٦٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن خزيمة في الصيام (١٩٥/٣) وابن حبان في التاريخ (١٢٤/١٤) والحاكم في الصوم (٥٨٢/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤).
- [٧] - رواه مسلم في الإمامة (١٨٥٥)، وأحمد في المسند (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.
- [٨] - رواه مسلم في الإمامة (١٨٤٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٧/٤)، كما رواه أحمد في المسند (٢٣٤٢٥)، وأبو داود في الفتن (٤٢٤٤).
- [٩] - رواه مسلم في الإمامة (١٨٥٢)، والطبراني في الكبير (١٤٤/١٧)، ولم أجده في أحمد.
- [١٠] - سبق تحريجه.
- [١١] - رواه الحاكم في الإيمان (١٥٠/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
- [١٢] - عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ فارق الجماعة شبرا دخل النار". رواه الحاكم في العلم (٢٠٥/١)، وسكت عنه هو والذهبي.
- [١٣] - عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ فارق المسلمين قيد شبر فقد خلع ريقه الإسلام من عنقه ومن مات ليس عليه إمام فميتته جاهلية". رواه الطبراني في الأوسط (٣٦١/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه خليل بن دعلج وهو ضعيف (٤٠٤/٥).
- [١٤] - رواه مسلم في الإمامة (١٨٤٨).
- [١٥] - سبق تحريجه، جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا الأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: إني لم آتك لأجلس أتيئك لأحدنك حديثا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ خلع يدا من طاعة"...
- [١٦] - متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٧١)، ومسلم في الإيمان (١٠٠)، كما رواه الترمذي (١٤٥٩)، وابن ماجه (٢٥٧٧)، كلاهما في الحدود.
- [١٧] - متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٧٠)، ومسلم في الإيمان (٩٨)، كما رواه أحمد في المسند (٤٤٦٧)، والنسائي في تحريم الدم (٤١٠٠).
- [١٨] - رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، أحمد في المسند (٨٣٥٩)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٧٥).

[١٩] - رواه مسلم في الإيمان (٩٩)، وأحمد في المسند (١٦٥٠٠)، عن سلمة بن الأكوع، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السيف فليس منا".

[٢٠] - سبق تخريجه.

[٢١] - رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٢)، وأحمد في المسند (١٢١٢٦)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٦٠)، عن أنس.

[٢٢] - سبق تخريجه.

[٢٣] - سبق تخريجه.

[٢٤] - سبق تخريجه.

[٢٥] - رواه أحمد في المسند (٢٠٤٣٣)، وقال محرّجوه: إسناده ضعيف، والترمذي في الفتن (٢٢٢٤)، وقال: حديث حسن غريب، والطيالسي في المسند (١٢١/١)، والبيهقي في الكبرى كتاب قتال أهل البغي (١٦٣/٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨١٢)، عن أبي بكرة.

[٢٦] - صحيح مسلم بشرح النووي (٥٠٧/٤).

[٢٧] - فتح الباري (٢٩٥/١٦، ٢٩٦).

[٢٨] - نيل الأوطار (٤٠/٩). طبعة مكتبة الكليات الأزهرية.



## نظرات في فقه جماعات العنف - د. يوسف القرضاوي

إن العنف الذي تمارسه بعض الجماعات التي تنسب للإسلام، إنما هو إفراز لفلسفة معينة تبناها هذه الجماعات، وثمره لفقه خاص له وجهته ومفاهيمه وأدلته التي تستند إليها هذه الفئة من الناس.

ومن نظر إلى جماعات العنف القائمة اليوم في عالمنا العربي مثلاً وجد لها فلسفتها ووجهة نظرها وفقهها الذي تدعيه لنفسها وتسند به بالأدلة من القرآن والسنة ومن أقوال بعض العلماء.

صحيح أنها تعتمد على المتشابهات وتدع المحكمات، وتستند إلى الجزئيات وتهمل الكليات، وتمسك بالظواهر وتغفل المقاصد، كما تغفل ما يعارض هذه الظواهر من نصوص وقواعد، وكثير ما تضع الأدلة في غير موضعها، وتخرجها عن سياقها وإطارها، ولكن -على أية حال- لها فقه مزعوم يبرر العنف، ويروج لدى بعض الأغرار من الشباب والسطحيين من الناس الذين يقفون عند السطوح ولا يغوصون في الأعماق، وأساسه فقه الخوارج قديماً الذين كانوا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

### البداية بالأوطان!

بدأت هذه الجماعات العنف في داخل أوطانها أنفسها، أي العنف ضد الأنظمة الحاكمة. فعلى أي أساس بررت ذلك وأجازته من الوجهة الشرعية، في نظرها على الأقل؟

إن فقه جماعات العنف يقوم على أن الحكومات المعاصرة حكومات كافرة، لأنها لم تحكم بما أنزل الله، واستبدلت بشريعته المنزلة من الخالق القوانين التي وضعها المخلوق، وبهذا وجب الحكم عليهم بالكفر والردة، والخروج من الملة، ووجب قتالها حتى تدع السلطة لغيرها، إذ كفرت كفراً بواحاً عندهم فيه من الله برهان.

ويؤكد فقه هذه الجماعات كفر هذه الأنظمة الحاكمة بأمر آخر، وهو أنها توالي أعداء الله من الكفار الذين يكيدون للمسلمين، وتعادي أولياء الله من دعاة الإسلام الذين ينادون بتحكيم شرع الله تعالى، وتضطهدهم وتؤذيهم، والله تعالى يقول: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) [المائدة: ٥١].

والحكومات المعاصرة تعارض هذه التهم بدعاوى مختلفة، منها: أنها تعلن أن دينها الرسمي هو الإسلام، وأنهم ينشئون المساجد لإقامة الصلاة، ويعينون الأئمة والخطباء والمؤذنين، ويؤسسون المعاهد الدينية، والكليات الشرعية، ويوظفون الوعاظ ومدرسي الدين في المدارس وغيرها، ويحتفلون برمضان وعيدي الفطر والأضحى، ويذيعون تلاوة القرآن في الإذاعات والتلفازات، إلى غير ذلك من المظاهر الدينية، التي تثبت إسلامية الدولة بوجه من الوجوه.

كما أن بعض دساتير هذه البلاد يعلن أن الشريعة مصدر رئيس أو المصدر الرئيس للتقنين، وبعضها يعتذر بضعفه أمام قوى الضغط الغربي، وبعضها وبعضها...

### فهمهم لابن تيمية

كما تعتمد جماعات العنف على فتوى الإمام ابن تيمية في قتال كل فئة تمتنع عن أداء شريعة ظاهرة متواترة من شرائع الإسلام، كالصلاة أو الزكاة أو الحكم بما أنزل الله في الدماء والأموال والأعراض أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى آخره. وهو ما اعتمد عليه كتاب (الفريضة الغائبة) لجماعة الجهاد في مصر، وجعل هذه الفتوى الأساس النظري لقيام تلك الجماعة، وتسويغ أعمالها كلها.

ويستدلون أيضاً بقتال أبي بكر ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم لمناعي الزكاة، فكيف بمن يمتنعون عن تطبيق أكثر أحكام الشريعة، برغم مطالبة جماهير الناس بها، بل هم أشد الناس خصومة لهؤلاء، وتضييقاً عليهم، ومعاداة لهم؟!!

ونسى هؤلاء أن الذي يقاتل هذه الفئة الممتنعة ولي الأمر، وليس عموم الناس، وإلا أصبح الأمر فوضى!

### الظعن في شرعية الأنظمة

وتعتمد جماعات العنف أيضاً على أن هذه الأنظمة غير شرعية، لأنها لم تقم على أساس شرعي من اختيار جماهير الناس لها، أو اختيار أهل الحل والعقد، وبيعة عموم الناس، فهي تفتقد الرضا العام، الذي هو أساس الشرعية، وإنما قامت على أسنة الرماح بالتغلب والسيف والعنف. وما قام بقوة السيف يجب أن يقاوم بسيف القوة، ولا يمكن أن يقاوم بسيف القلم!

ونسى هؤلاء ما قاله فقهاؤنا من قديم: إن التغلب هو إحدى طرائق الوصول إلى السلطة، إذا استقر له الوضع ودان له الناس.

وهذا ما فعله عبد الملك بن مروان، بعد انتصاره على ابن الزبير رضي الله عنه، وقد أقره الناس، ومنهم بعض الصحابة مثل ابن عمر وأنس وغيرهما، حقناً للدماء ومنعاً للفتنة، وقد قيل: سلطان غشوم خير من فتنة تدوم. وهذا من واقعية الفقه الإسلامي، ورعايته لتغير الظروف.

### تغييرهم للمنكر باليد

وترى جماعات العنف كذلك أن هذه المنكرات الظاهرة السافرة -التي تبيحها هذه الحكومات- من الخمر والميسر والزنا والخلاعة والمجون والربا وسائر المخطورات الشرعية: يجب أن تغير بالقوة لمن يملك القوة، وهي ترى أنها تملكها، فلا يسقط الوجوب عنها إلى التغيير باللسان بدل اليد، كما في الحديث الشهير: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" رواه مسلم.

ويغفل هؤلاء الضوابط والشروط اللازمة لتغيير المنكر بالقوة التي قررها العلماء.

### تكفيرهم للمجتمعات

وبعض هذه الجماعات تنظر إلى المجتمع كله أنه يأخذ حكم هذه الأنظمة التي والاهها ورضي بها، وسكت عنها، ولم يحكم بكفرها، والقاعدة التي يزعمونها: أن من لم يكفر الكافر فهو كافر!

وبهذا توسعوا وغلوا في التكفير وكفروا الناس بالجملة.

وعلى هذا لا يزالون من يقتل من هؤلاء المدنيين الذين لا ناقة لهم في الحكومة ولا جمل؛ لأنهم كفروا فحلت دماؤهم وأموالهم!

كما يرون بالنظر إلى الأقليات غير المسلمة أنهم نقضوا العهد بعدم أدائهم للحزبية، وبتأييدهم لأولئك الحكام المرتدين وأنظمتهم الوضعية، ولرفضهم للشريعة الإسلامية، وبهذا لم يعد لهم في أعناق المسلمين عهد ولا ذمة، وحل دمهم ومالهم. وبهذا استحلوا سرقة محلات الذهب من الأقباط في مصر، كما استحلوا سرقة بعض المسلمين أيضاً.

## استباحة دماء السياح

وهم يرون أن السياح وأمثالهم الذين يدخلون بلاد المسلمين بتأشيرات رسمية، وترخيصات قانونية، والذين يعدّهم الفقهاء (مستأمنين) ولو كانت دولهم محاربة للمسلمين، يرون هؤلاء مستباحي الدم، لأنهم لم يأخذوا الإذن من دولة شرعية؛ لأن بلادهم نفسها محاربة للإسلام، فلا عهد بينهم وبين المسلمين. والواجب أن يقاتل هؤلاء ويقتلوا، فلا عصمة لدمائهم وأموالهم!

وكذلك يقول هؤلاء عن الدول الغربية -التي يقيم بعض هؤلاء فيها- وقد أعطتهم حق الأمان أو حق اللجوء السياسي لمن طردوا من بلادهم الأصلية، فأوتهم هذه الدول من تشرد، وأطعمتهم من جوع، وأمنتهم من خوف، يقول هؤلاء بكل جرأة وتبجح: "إن هذه الدول كلها كافرة محاربة للإسلام وأمته، ويجب أن نقاتلهم جميعاً حتى يُسلموا فيسلموا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون".

ولما سئل بعضهم عن إقامته في هذه البلاد، قال: "إنها كدورة المياه، نستخدمها للضرورة رغم نجاستها! وهؤلاء الكفار دماءهم حلال، وأموالهم حلال للمسلمين، بنصوص الدين".

ويذكرون هنا آيات وأحاديث يضعونها في غير موضعها، فإذا واجهتهم بغيرها من الآيات والأحاديث التي هي أكثر منها وأظهر وأصرح، قالوا لك: هذه نسختها آية السيف!

هذا هو فقه جماعات العنف باختصار، الذي على أساسه ارتكبوا ما ارتكبوا من مجازر تشيب لهولها الولدان، وتقشعر من بشاعتها الأبدان، ضد مواطنيهم من مسلمين وغير مسلمين، وضد السياح وغيرهم من الأجانب المسلمين.

وهو بلا ريب فقه أعوج، وفهم أعرج، يعتوره الخلل والخطل من كل جانب. ويحتاج من فقهاء الأمة إلى وقفة علمية متأنية لمناقشتهم في أفكارهم هذه، والرد عليهم فيما أخطؤوا فيه في ضوء الأدلة الشرعية من القرآن والسنة وإجماع الأمة.

## حكم الخروج على الحكام الذين يقتربون المعاصي والكبائر - الشيخ عبد العزيز بن باز

س١ - سماحة الشيخ: هناك من يرى أن اقتراف بعض الحكام للمعاصي والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتب عليه ضرر للمسلمين في البلد، والأحداث التي يعاني منها عالمنا الإسلامي كثيرة، فما رأي سماحتكم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [١]، فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر، وهم الأمراء والعلماء، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أن هذه الطاعة لازمة، وهي فريضة في المعروف. والنصوص من السنة تبين المعنى، وتقيد إطلاق الآية بأن المراد طاعتهم في المعروف، ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون في المعصية، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة" ولقوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية" وقال صلى الله عليه وسلم: "على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" وسأله الصحابة رضي الله عنهم - لما ذكر أنه يكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون - قالوا: فما تأمرنا؟ قال: "أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم" قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، وقال: "إلا أن تروا كفرةً بواحاً عنكم من الله فيه برهان"، فهذا يدل على أنه لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور، ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفرةً بواحاً عندهم من الله فيه برهان؛ وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً، وشرّاً عظيماً، فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم، ولا نصر المظلوم، وتحتل السبل ولا تأمن، فيترب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير، إلا إذا رأى المسلمون كفرةً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شرّاً أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة. والقاعدة الشرعية المجمع عليها: (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشد منه، بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه) أما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، فإذا كانت هذه الطائفة التي تريد إزالة هذا السلطان الذي فعل كفرةً بواحاً عندها قدرة تزيله بها، وتضع إماماً صالحاً طيباً من دون أن يترتب على هذا فساد كبير على المسلمين، وشر أعظم من شر هذا السلطان فلا بأس، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير، واختلال الأمن، وظلم الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال... إلى غير هذا من الفساد العظيم، فهذا لا يجوز، بل يجب الصبر، والسمع والطاعة في المعروف، ومناصحة ولاة الأمور، والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير. هذا هو الطريق السوي الذي يجب أن يسلك؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

س٢ - لو افترضنا أن هناك خروجاً شرعياً لدى جماعة من الجماعات، هل هذا يبرر قتل أعوان هذا الحاكم وكل من يعمل في حكومته مثل الشرطة والأمن وغيرهم؟

سبق أن أخبرتك أنه لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين: أحدهما: وجود كفر بواحا عندهم من الله فيه برهان. والشرط الثاني: القدرة على إزالة الحاكم إزالة لا يترتب عليها شر أكبر منه، وبدون ذلك لا يجوز.

## الشيخ ابن عثيمين يُوضِّح شروط الخروج على الحاكم

عن جُنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا: أصلحك الله، حَدَّثْ بحديث ينفَعك الله به سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: دعانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايَعنا، فكان فيما أَخَذَ علينا: "أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعَسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ" [متفق عليه: أخرجه البخاري في (الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»: ٧٠٥٥ و٧٠٥٦) وبنحوه مسلم في (الإمارة: ٤٧٧١)].

وقوله: (أثرة علينا) هذا هو المهم، فأثرة علينا، يعني: أن نسمع ونطيع مع الأثرة علينا، يعني: الاستئثار علينا، مثال ذلك: أننا أمرنا بشيء واستأثر علينا ولاية الأمر، بأن كانوا لا يفعلون ما يأمرونا به، ولا يتركون ما ينهوننا عنه، أو استأثروا علينا بالأموال، وفعلوا فيها ما شاءوا، ولم يتمكن من أن نفعل مثل ما فعلوا، فهذا من الأثرة، وأشياء كثيرة من الأثرة والاستئثار غير ذلك، فنحن علينا أن نسمع ونطيع حتى في هذه الحال. وقوله: «وأن لا ننازع الأمر أهله» أي: لا نحاول أن نجعل لنا سلطة ننازعهم فيها، ونجعل لنا من سلطتهم نصيباً؛ لأن السلطة لهم، فلا ننازعهم. وقوله: «إلا أن تروا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ» ففي هذه الحال ننازعهم، لكن هذا يكون بشروط:

**الشرط الأول:** في قوله: «أن تروا» أي: أنتم بأنفسكم، لا بمجرد السماع؛ لأننا ربما نسمع عن ولاية الأمور أشياء فإذا تحققنا لم نجد لها صحة، فلا بد أن نرى نحن بأنفسنا مباشرة، سواء كانت هذه الرؤية رؤية علم أو رؤية بصر، المهم: أن نعلم.

**الشرط الثاني:** في قوله: «كُفْرًا» أي: لا فسوقاً فإننا لو رأينا فيهم أكبر الفسوق فليس لنا أن ننازعهم الأمر إلا أن نرى كُفْرًا.

**الشرط الثالث:** في قوله: «بَوَاحًا» أي: صريحاً ليس فيه تأويل، فإن كان فيه تأويل ونحن نراه كُفْرًا، ولكن هم لا يرونه كُفْرًا، سواء كانوا لا يرونه باجتهاد منهم أو بتقليد من يرونه مجتهداً، فإننا لا ننازعهم ولو كان كُفْرًا، ولهذا كان الإمام أحمد يقول: إن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، والمأمون كان يقول: القرآن مخلوق، ويدعو الناس إليه ويجلس عليه، ومع ذلك كان يدعوهم بأمر المؤمنين؛ لأنه يرى بأن القول بِخَلْقِ الْقُرْآنِ بالنسبة له ليس بَوَاحًا، وليس صريحاً، فلا بد أن يكون هذا الكفر صريحاً لا يحتمل التأويل، فإن كان يحتمل التأويل فإنه لا يصلح لنا أن ننازع الأمر أهله.

**الشرط الرابع:** في قوله: «عندنا فيه من الله برهان» أي دليل قاطع، بأنه كُفْرٌ، لا مجرد أن نرى أنه كُفْرٌ، ولا مجرد أن يكون الدليل محتملاً لكونه كُفْرًا أو غير كُفْرٍ، بل لابد أن يكون الدليل صريحاً قاطعاً بأنه كُفْرٌ.

فانظر إلى هذه الشروط الأربعة، فإذا تمت الشروط الأربعة فحينئذ ننازعه، لأنه ليس له عذر، ولكن هذه المنازعة لها شروط.

**الشرط الخامس:** أن يكون لدينا قدرة وهذه مهمة جداً، يعني: لا أن ننازعه فنخرج إليه بالسكاكين ومحاجين الحمير، وهو عنده الدبابات، والقذائف، وما أشبه ذلك، فلو أننا فعلنا هذا لَكُنَّا سفهاء، وهذا حرام علينا، لأنه يَضُرُّ بنا، وَيَضُرُّ بَعِيْرِنَا أيضاً، ولأنه يؤدي في النهاية إلى محو ما نريد أن يكون السلطان عليه، لأن السلطان كما هو معلوم ذو سلطة يريد أن تكون كلمته هي العليا، فإذا رأنا ننازعه أَخَذَتْهُ العزّة بالإثم، واستمر فيما هو عليه وزاد عليه، فيكون نزاعنا له زاد الطين بلّةً، فلا يجوز أن ننازعه إلا ومعنا قدرة وقوة على إزاحته وإلا فلا. وبناءً على ذلك نعرف خطأ من يتصرفون تصرفاً لا تنطبق عليه هذه الشروط، لأننا نشاهد الواقع الآن، فهل الذين يقومون باسم الإسلام على دولة متمكنة عندها من القوات ما عندها، ولها من الأنصار، أنصار الباطل، كثيرون، ثم نقوم نحن وليس عندنا ولا ربع ما عندهم ما الذي يحصل من النتيجة؟

الجواب: أنه تحصل نتيجة عكسية سيئة، ونحن لا نكر أن يكون هذا نواة لمستقبل بعيد لكننا لا ندري، والإنسان ينظر إلى ما كان بين يديه. أما المستقبل فقد يقول قائل: أنا أخطط الآن لهذه الثورة وأقدّم عليها، فإن لم أجح فيها تكونُ خطةً للمستقبل، لعل أحداً من الناس يفعل. فنقول: إن هذا احتمال، ثم لو قُدِّر أنه فعل كما فعلتْ فالنتيجة واحدة، فإذاً لا بد أن نصبر حتى تكون لنا القدرة على المنازعة والإزاحة، والمسألة خطيرة جداً، والإنسان ليتخذ عبرة من الواقع السابق، والواقع الحاضر القريب ويتعظ، والأمثلة ربما تكون في نفوسكم الآن وإن لم تُمتثلْ بها، فهي واضحة.

فلو مشينا على ما بايع به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن نرى كفراً بواحدنا عندنا فيه من الله برهان، ثم أضفنا إلى هذه الشروط الأربعة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، في هذا الحديث شرطاً ذكره الله في القرآن، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أيضاً وهو القدرة، فهذه لا بد منها في كل واجب فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وبالإمكان أن الإنسان إذا رأى ما تم فيه الشروط في سلطانه أن يُنازعَ لكن لا مقابلة وجهاً لوجه، ولكن من طرق يسمونها الناس "دبلوماسية" يستطيع أن يصل إلى العمق في جهات ما، ويتوصل إلى غايته.

أما المجاهدة كما يفعله بعض الناس فهذه ليست من الدين في شيء أبداً، وإن كان الإنسان عنده حُشْنُ النية، وعنده عمل صالح وعبادة وعلم لكن ليس عنده حكمة، والحكمة قال الله فيها: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الأبواب} [البقرة: ٢٦٩].

ثم هناك طريق آخر غير المنازعة لا ندري لعل الله يحدث به خيراً، وهي المناصحة، والمناصحة بالطرق الحكيمة القوية، بأن يجتمع -مثلاً- من لهم كلمة عند السلطان وزلفى -أي قربة منه- يجتمعون ويدرسون الوضع دراسة متأنية راسخة عميقة، لأن الدراسة السريعة أو السطحية لا يحصل فيها شيء، فلا بد من دراسة متأنية عميقة، والدراسة لا تكون دراسةً معايبٍ فقط، لأن السلطان إذا ذُكرتْ معايبه ولم تُذكرْ محاسنه يقول: هذا كافر بالنعمة، ولكن اذكر المحاسن والمساوي.

وإذا ذكرتْ المساوي لا يكفي أيضاً أن تضعها بين يدي السلطان هكذا مفتوحة مغلقة، مفتوحة في الإطلاع عليها، مغلقة في الخروج منها، ولكن اذكرها مفتوحة ليطّلع عليها، ثم اذكرها مفتوحة ليخرج منها، بأن تقول: هذا حرام وهذا لا يجوز شرعاً، هذا إذا نُقِدَ فإن الله سبحانه وتعالى يُفسدُ الأمر به، ولكن عندك الطريقة الأخرى فافعل هكذا فهو خير، ثم تذكر منافع هذا الشيء.

وهذه الطريقة علمنا الله إياها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففي القرآن قال الله تعالى: {يا أيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا} [البقرة: ١٠٤]. فلما نهاهم عن المحذور، بيّن لهم المباح، فلا تقولوا: {راعنا} لكن قولوا: {انظرننا}. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي جاء له بتمر جيد فقال: إني آخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، قال له: "بع الرديء بالدرهم، واشترى بالدرهم جيداً" [أخرجه البخاري (٢٢٠١)، ومسلم (١٥٩٣)] لم يقل: هذا ربا وسكت بل أطلعهُ على المعايب وبيّن له ما يُخرُجُ به منها. فهذا قد يجعل الله فيه خيراً مع حسن النية والحكمة في إيصال النصيحة إلى ولي الأمر.

لكن -ماشاء الله- بعض الشباب يُحبُّون الشيء السريع فيخرج على السلطان، فيحصل عليه من الضرر ما تسمعون به في الإذاعات، وأسأل الله عز وجل لهم الهداية، والرسول صلى الله عليه وسلم رَسَمَ لنا خطاً مستقيماً جيّداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى كلام الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى في شرح صحيح البخاري.



أجوبة على بعض الأسئلة التي وردت للدكتور البوطي رحمه الله

## الراجع في مسألة الخروج على الحاكم أصولياً: ٢٠١١/٩/١٩

س. سيدي الفاضل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - حفظه الله - نقل الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في شرحه لصحيح مسلم إجماع المسلمين على حرمة الخروج على الحاكم وقتاله وإن كان فاسقاً ظالماً، ولكنني قرأت في كتاب شرح المقاصد للسعد التفتازاني نقلاً عن إمام الحرمين الجويني يقول فيه: "وإذا جار إمام الوقت فظهر ظلمه وغشمه ولم يرفعوا لراجر عن سوء صنيعه بالقول، فأهل الحل والعقد التواطؤ على رده ولو بشهر السلاح ونصب الحروب" (٢/٢٧٢ طبعة باكستان) فكيف يتم التوفيق بين نقل الإجماع للإمام النووي وما ذكره الإمام الجويني؟ ..... جزاكم الله عنا كل خير.

ج. الإجماع الذي أكدته الإمام النووي أسبق من الاجتهاد الذي نقله سعد التفتازاني عن الجويني وإذا وقع الإجماع بطلت الاجتهادات اللاحقة المخالفة. على أن الاجتهاد إذا ناقض الصحيح الثابت من كلام رسول الله، يكون ذلك الاجتهاد باطلاً بالاتفاق. وقد صح فيما رواه مسلم وغيره من حديث حذيفة أن رسول الله قال: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدايتي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنس) قال حذيفة فقلت (كيف نصنع يا رسول الله إن أدركنا ذلك؟) قال: (تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع) على أن الإمام الغزالي تلميذ للجويني، ولم نجد في كتاب الوسيط وغيره هذا النقل عن الجويني، بل أكد على ما نقله النووي، مع العلم بأن النووي متأخر عنه.

## هل صحيح أن حديث وإن جلد ظهرك معلول لا يؤخذ به؟: ٢٠١٣/١/٢٠

س. إلى فضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي جزاكم الله عنا ألف خير. تعليقاً على الحديث الشريف "وإن جلد ظهرك وأخذ مالك". بعض العلماء المشهورين في هذا العصر يبررون الخروج على الحاكم بأن هذا الحديث ليس صحيحاً، وأنه من المرسلات. أيضاً يقولون أن مسلم له نوعان من الأحاديث.. أحاديث أصول وهي أحاديث صحيحة وأحاديث متبوعات وهي أحاديث غير موثوق بها، وإن هذا الحديث هو ضمن الأحاديث المتبوعة. أيضاً يدعون أن القرآن يحوي على الكثير من الآيات التي تحض على محاربة الظلم. وبهذا يبررون الخروج على الحاكم الظالم. فما رأيكم بهذا التفسير جزاكم الله عنا ألف خير. السلام عليكم.

ج. حديث رسول الله الذي يرويه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان، وفيه (تسمع وتطيع وإن جلد ظهرك وأخذ مالك) ليس مرسلًا، وليس من التعاليق، بل هو من أصح ما اتفق عليه أئمة الحديث. ومعناه موجود في حديث آخر مما اتفق عليه الأئمة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (أعطوهم ما لهم وسلوا الله مالكم) وموجود في حديث آخر متفق عليه من حديث ابن عباس، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (من كره من أميره شيئاً فليصبر فإن من خرج على السلطان شبراً فمات، مات ميتة جاهلية).

هذا الكلام شيء، والعمل على ليّ الأحاديث وإخضاعها لهوى النفس شيء آخر. وهذا التلاعب يشبه تلاعب من يقول إن "الاجتناب" المقصود في قول الله عن الخمر (فاجتنبوه)، هو الأمر بوضعه في الجانب، وليس معناه الترك!!.. وإذا هيمنت الأهواء على الإنسان فما أيسر أن يرى الباطل حقاً والحق باطلاً.

## هل يعد خروج سيدنا الحسين على يزيد خروجاً على الحاكم؟: ٢٠١١/٧/٣٠

س. يا شيخنا الفاضل: ألم يثر الحسين بن علي رضي الله عنهما على يزيد بن معاوية وابن الزبير على حكم الأمويين وسعيد بن جبير والإمام الشعبي على الحجاج (ويومها كانت الدولة تحكم بشرع الله) وغيرهم من الأئمة الذين خرجوا بالسيف ليس بالمظاهرات. أفلم يكن هؤلاء يعرفون الحكم الشرعي في الخروج على الحاكم المسلم؟ أسئلة أرجو من فضيلتكم تفصيل القول فيها لأن الكثيرين يستدلون بها في جواز الخروج على الحاكم المسلم.

ج. إن خروج الحسين وابن الزبير وابن عباس وغيرهم على يزيد، ليس من نوع الخروج على الحاكم الذي استقر له الحكم. ولم يقل أحد من المؤرخين أو الفقهاء ذلك. بل من الثابت أن الذين خرجوا على يزيد، إنما خرجوا عليه قبل أن تتم له البيعة الشرعية وقبل أن تستقر له الغلبة، ذلك أنه دعا الناس إلى بيعته، وكان قد أوصى والده الناس قبل وفاته بالبيعة له، ولكن جميع أهل الحجاز وسائر أهل العراق وفئات من أهل الشام رفضوا مبايعته، وكان في مقدمتهم هؤلاء الذين ذكرت أسماءهم. إذن لم يكن موقفهم خروجاً على إمام استقرت في الناس إمامته، بل كانوا يمارسون حقهم في البيعة أو عدم البيعة له، بين يدي دعوته الناس إلى مبايعتهم له. يعلم هذا أي مثقف له زاد من الثقافة يسير.

أما خروج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان، فقد كان خروجه من نوع البغي كما قرر الفقهاء، وللبغي قيود وشروط شرعية معروفة في الباب الفقهي المخصص لذلك وليس بينه وبين خروج الناس إلى المسيرات وهتافات التجريح والسب والتسقيط والخطط الكامنة وراءه أي علاقة أو شبه.

## الاستطاعة من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٢٠١٢/٥/٣٠

س. سؤالي إلى سيدي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي أطال الله عمره. قلت في درس من الدروس أنه يجوز الخروج على الحاكم أو السلطة إذا رأيتم كفراً بواحاً لا يقبل الظن كما جاء في الحديث، ولو فرضنا أننا رأينا كفراً بواحاً، والله الحمد لم نره في رئيسنا، وقمنا بالخروج والثورة على هذه السلطة، أليس هذا رمي بأنفسنا إلى التهلكة لأن أي سلطة كما تعلم اليوم تملك القوة والجيش والدبابات ولا تسمح بأي ثورة أو محاولة ثورة، والشعب كما تعلم ياسيدي لا يملك القدرة والقوة على إزالة هذا النظام بالقوة، فكيف يتأتى لنا الخروج؟ أليس الصبر والدعاء وإصلاح أنفسنا أفضل من هدر الدماء وهتك الأعراض وتهجير الناس والفتن التي لا تعد ولا تحصى من جراء هذا الخروج كما حصل في ليبيا اليوم التي أصبحت دويلات متصارعة؟ وهذا رأي بعض العلماء السابقين بأنه لا يجوز الخروج إلا إذا كان عند الشعب القدرة، وكان البديل موجود ومعروف في إيمانه وصدقه. جزاكم الله كل خير. أرجو الإجابة لأنني وجهت هذا السؤال أكثر من مرة ولم تتم الإجابة.

ج. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيّد وجوب إنهاء المنكر بالاستطاعة، فإذا كان الخروج على الحاكم المتلبس بالكفر البواح يتسبب عنه فتنة كالتى تقول، فمعنى ذلك أن الاستطاعة معدومة. وعندئذ لا يجب الإنكار بل لعله يكون محرماً، ويتحول الحكم إلى وجوب للإنكار باللسان ضمن حدود الاستطاعة أيضاً.

## ضابط الخروج على الحاكم: ٢٠١١/٧/٤

س. بسم الله الرحمن الرحيم، ما رأي فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بالفتوى التالية: من جانبه قال الشيخ في الأزهر "إن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن السلطان ظل الله في الأرض فأجّلوه وعظّموه وإن كان عادلاً فله الأجر وعليكم الشكر وإن كان جائراً فعليه الوزر وعليكم الصبر". واستدرك الشيخ "لكن ما حدث في مصر وهي بلد الخير والأمان وهي البلد الوحيد الذي ذكر في القرآن بعد مكة شاء قدرها أن تبلى بحكام لم يعرفوا رباً ولا ديناً، وشاء لها الله أن يهيء لها شباباً ورجالاً يثورون ضد الظلم وسرقة مقدرات هذا البلد العظيم فكان من حقهم أن يبحثوا عن حقوقهم، فخرجوا وأسقطوا الحاكم في ثورة بيضاء ولم يعتدوا على أحد، بل خرجت عليهم آليات النظام السابق وقتلتهم بالرصاص الحي ودهستهم بالسيارات وهم عزل، فهؤلاء الشباب لا شك أنهم شهداء عند الله ونحسبهم من الأخيار ونسأل الله لهم الرحمة". وتابع الشيخ "أما ما قاله الداعية الكويتي من عدم الخروج على الحاكم فهذا ينطبق على الحاكم العادل مثل الخليفة عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء الراشدين".

ج. إن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن الخروج على الحاكم العادل حصراً، كعمر بن الخطاب بل نهى عن الخروج على أي حاكم لم يعلن على الناس الكفر البواح. ألم يقل فيما رواه مسلم وغيره: "إنها ستكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون، ولا يستنون بسنتي ولا يهتدون بهدائتي قلوب شياطين في جثمان إنس" قال له أبو حذيفة: فبم تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك تسمع وتطيع" فهل هؤلاء عادلون من أمثال عمر؟!..

## التوفيق بين حديثين شريفيين: ٢٠١٢/٦/٢٠

س. سيدي الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: السلام عليك وأتمنى أن يديمك الله ذخراً لهذه الأمة. عندي سؤال يحيرني حول حديثين اثنين: الأول: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها ستكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون، ولا يستنون بسنتي ولا يهتدون بهدائتي قلوب شياطين في جثمان إنس. قال له حذيفة: فبم تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك تسمع وتطيع". والثاني يقول فيه: في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: "أن رجلاً قال: يا رسول الله أرأيت رجلاً يريد أن يأخذ مالي؟ قال: قاتله. قال: فإن قتلتني؟ قال: فأنت شهيد، قال: فإن قتلته؟ قال: فهو في النار". كيف ندع الحاكم يأخذ مالنا في الحديث الأول ونقاتل من يأخذه منا في الحديث الثاني؟ الرجاء الرد. وجزاكم الله كل خير.

ج. ألا تلاحظ الفرق بين واجب الانقياد لما قد يطلبه ولي أمر المؤمنين في الحديث الذي ذكرته، وبين حق المسلم في الدفاع عن ماله وأهله، عندما يعتدي عليه إنسان مثله؟.. عليك أن تعطي ولي الأمر ما يطلبه منك ولو كان هو عاصياً في ذلك، ولك أن تمنع غيرك من أخذ مالك، ولو استلزم ذلك قتله أو التضحية بنفسك.

## كيف نوفق بين حديث تسمع وتطيع وحديث ومن قتل دون نفسه فهو شهيد؟: ٢٠١١/١٠/٥

س. فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي المحترم حمّاه الله. كيف نوفق بين الحديث تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك وبين الحديث من قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد؟ فالحديث الأول يشجع على السمع والطاعة، والثاني يشجع على الدفاع عن النفس والعرض والمال، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عدم ذكر العرض في الحديث الأول

هل يسوغ عدم الطاعة لولي الأمر ومواجهة من يريد هتك العرض كما يحدث في بعض المناطق من بلدنا الجريح الآن ولكم جزيل الشكر والثواب.

ج. ليس معنى وجوب طاعة ولي الأمر، أن نطيعه في ارتكاب معصية أمرك بها. بل القاعدة هي "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" فإذا أمرك ولي الأمر بمعصية أياً كانت لا تجوز طاعته في ذلك، وإنما معنى تسمع وتطيع في كلام رسول الله أن لا تخرج عليه بالتمرد على حكمه، وأن تلي أوامره فيما لا معصية لك فيه، حتى وإن كان هو عاصياً في ذلك كأخذه لمالك وكضربه لظهره كما قال رسول الله. وحديث رسول الله "من قتل دون ماله فهو شهيد" مخصّص بحديث "تسمع وتطيع وإن ظهره وإن أخذ مالك" والقاعدة تقول "ما من عام إلا وقد خصّص".

### هل يُستدل بكلام سيدنا أبي بكر في إباحة الخروج على الحاكم؟: ٢٠١٢/١٠/٣٠

س. فضيلة العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، حفظه الله ونفعنا بعلمه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، بعض العلماء يستدلون بقول سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- عند تسلمه الخلافة: (أطيعوني ما أطع الله ورسوله، فإن عصي الله ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم)، ليحيزوا الخروج على الحاكم، ويقولون بأن معصية: القتل وسفك الدماء وذبح الأطفال بالسكاكين، تكفي للخروج على الحاكم. ثم يستشهدون بكلام أحد العلماء حيث يقول: "إن الحاكم يأخذ شرعيته من خلال أدائه لواجباته تجاه الأمة، من حماية مصالحها، وحماية أرواح أبنائها، وصيانة أعراضها، وكف البلاء عنها. فإذا لم يقوم الحاكم بهذه الواجبات سقطت شرعيته وبالتالي سقطت طاعته. فما بالنا إذا كان الحاكم هو الذي يعتدي على الأرواح والأعراض والأطفال والنساء"، وعليه: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فهل هذا الاستدلال وكلام هذا العالم صحيحين؟ أفيدونا، بارك الله فيكم وجزاكم الله خيراً.

ج. قال أبو بكر: (فإن عصيت الله ورسوله لا طاعة لي عليكم) ولم يقل إن عصيت الله ورسوله اخرجوا عليّ. وهذا الذي قاله أبو بكر هو الذي قاله العلماء جميعاً ولم يقل أحد من العلماء إن الحاكم إذا أمر بمعصية تجب طاعته فيها، ولم يقل إن الحاكم إذا عصى الله يجب أن تقتدي به فيها، بل تم الإجماع على أن الحاكم لا يجوز أن يطاع في معصية أمر بها.. ولكن لا يجوز في الوقت ذاته الخروج عليه، ولا شأن لي بالخذلقات المتعلقة بما وراء ذلك.

### متى تثبت الإمامة الشرعية للحاكم؟: ٢٠١١/١٠/٥

س. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحبكم في الله سيدي البوطي حفظك الله، إن سمحتم لي استشكل في مسألة ضابط الخروج عن الحاكم في حالة طغيانه وجوره، أعلم الأحاديث التي تتحدث عن السمع لولي الأمر وإن كان فاسقاً، لكن هناك شبهة تقول أن هذا الولي استتب له الأمر عن غير شوري في ظل غياب انتخابات نزيهة وشفافة، وبالتالي فهو ولي كالعاصب، وما بني على باطل فهو باطل، وأليس في السمع لولي الأمر الظالم الجائر تربية على الخنوع واستخذاء جاء الدين لينشلنا من رقه؟ والسلام عليكم

ج. لماذا لا تدرس ولو موجزاً لأحكام الفقه الإسلامي، ما دمت مصراً على المناقشة في مسأله وأحكامه. لو درست موجزاً لهذه الأحكام لعلمت أن الإمامة الشرعية تثبت للإمام بوحدة من ثلاث طرق: البيعة الشرعية المباشرة له /العهد إليه بأن يقترحه الخليفة الذي قبله لتولي الحكم بعد موته.. / الاستيلاء بالقوة إذا استتب له الحكم بموت الحاكم الذي قبله أو بعزله. فهذه الحالة الثالثة، قد يعصى الحاكم فيما أقدم

عليه من الغلبة بالقهر، ولكن يجب على الرعية أو الناس الانقياد له، فيما لا يخالف الشرع، مع وجوب مخالفته في كل ما هو مخالف للشرع بالإجماع، مع عدم الخروج عليه.

### الطريقة السلمية لتغيير الحاكم: ٢٠١١/١٢/١٢

س. بسم الله الرحمن الرحيم . سيدي نعود إلى التسعينيات لوقت إصدار كتاب الجهاد والأثر الذي تركه . أذكر أن كثيراً من القراء مثلي فوجئوا بالباب المتعلق بالخروج على الحاكم وضوابطه (طبعاً لقلّة زادنا من العلوم الشرعية ولعدم تداول هذه الأحكام) والآن وفي ظل هذه الأزمة التي نمر بها نرجو منكم توسيع هذا الباب ليشمل تفاصيل عن خلع الحاكم (السلمي) والتعامل مع الحاكم ومظالم أعوان الحاكم بشيء من التفصيل، وصفات الحاكم حيث تنتشر هنا وهناك أحاديث وآراء وحتى تعليقات عن مواقفك (تتضمن انتقادات وتخطيء واتهامات بالتغاضي عن أحكام فقهية بهذا الشأن). نرجو منكم إعداد هذا البحث لما فيه من كشف كثير من الشك وتوضيح الأمور الشرعية. عفواً سيدي أطلب منك هذا وكأن الساحة خالية من السادة العلماء ولكن كثرة الصمت تجعل مني متجرئاً على الطلب منك. ولكم مني جزيل الشكر.

ج. أولاً: لا وجود عقلياً لما تسميه "خلع الحاكم السلمي" لأن كلمة "الخلع" تعني الإجماع، وكلمة "السلمي" تعني المحاوراة والإقناع، ونتيجة المحاوراة والإقناع ليست الخلع، وإنما الاستقالة الذاتية عن الحكم. والمثل الذي يجسّد ذلك بدقة موقف أديب الشيشكلي (في الخمسينات من القرن الماضي) بعد أن رأى تأفف كثير من الناس من سياسته وموقف كثير من رجال الجيش منه، ومناقشتهم ومحاورتهم له، فقد أثر اعتزال الحكم وهذا ما فعل. تلك هي الطريقة السلمية التي تم اتباعها لإنهاء حكمه، وكانت الاستجابة منه لذلك طوعية لا "خلعاً" كما تقول.

ثانياً: إن أردت أن أزيد الأحكام الشرعية التي تتعلق بالفتنة القائمة اليوم والتي ذكرتها مفصلة في كتابي الجهاد، بياناً وتفصيلاً لن أجد نفسي إلا أمام شيء واحد، هو تكرير ما قد ذكرت وتأكيد.

هل في كل ما يجري اليوم شيء لم أذكر حكم الشريعة الإسلامية فيه بدقة وتفصيل؟ ثم ما هي الأحكام الفقهية التي سئلت عنها وأغضيت الطرف عنها؟

### هل يوجد كفر أكثر من قتل المسلمين؟: ٢٠١١/٧/١٠

س. تقول فضيلتكم أنه لا يجوز الخروج على الحاكم ما لم يظهر كفراً بواحاً... فأنا أسأل فضيلتكم هل يوجد كفر أكثر من قتل المسلمين والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"؟ (متفق عليه) وقال أيضاً: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. فنعت النبي من قتل مسلمين بالكفر... وكلنا يعلم من هو الذي استحل الدماء. أليست هذه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أم أننا نعيش في غربة مع وصايا النبي وأحاديثه؟ كما قتلتم فيما سبق ومتى سنقول كلمة الحق عند ذلك السلطان الجائر بل القاتل؟

ج. مناط الكفر الاعتقاد أو ما يدل على الاعتقاد كالسجود لصنم، أما قتل النفس بدون حق فمعصية كبيرة من المعاصي، إن كان القاتل مستحلاً لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلاً كان مرتكباً لكبيرة، وإذا لم نعلم عقيدة القاتل فهو مستبيح أم لا، لم يجر تكفيره بالإجماع، إن الذين قتلهم الحجاج صبراً أعداد كبيرة، ولم يكفره أحد من السلف الذين كانوا في عصره وفي مقدمتهم الحسن البصري. وإن الذي قتل

تسعة وتسعين نفساً ثم أتهم المثة، في الحديث الصحيح، لم يرتدّ بذلك حتى يحتاج إلى إسلام جديد، وإنما عصى الله بما أقدم عليه، ومن ثم لم يكن بينه وبين مغفرة الله له إلا التوبة النصوح.

أما استشهادك بحديث (لا ترجعوا بعدي كفاراً) ففي غير موضعه، ولو كنت بصيراً باللغة العربية لأدرت ذلك، إن الكفر في الحديث هو مصدر القتل وليس القتل هو مصدر الكفر وسببه كما تتوهم، لأن الكفر هو المتقدم على القتل في الحديث وليس العكس، إني أنصحك بأن تتعلم، ثم تتكلم، لا سيما في أمور الدين هذه.

### ما معنى كلمة الفتنة؟: ٢٣/٦/٢٠١١

س. إلى فضيلة الدكتور سعيد رمضان البوطي، نريد من حضرتكم تفسير معنى الفتنة لأن العلماء كلما قال لهم أحد أمر حق والقيام لأجله قالوا هذا صحيح ولكننا نخاف فتنة أكبر، لذلك لا يجوز وهكذا دائماً إلى أن وصلنا إلى أكبر الفتن من إضاعة الدين والفساد والظلم وو، وهل خوفهم الفتنة والفتنة الأكبر وما إلى ذلك ذريعة للإخلاق للحياة الدنيا والرضى بما بدأ عن الآخرة أم ماذا؟

ج. الفتنة: هي كل حالة يغيب فيها سلطان العدل، ويفلت فيها زمامه، وينجرف فيها الناس إلى التهاجر والقتل دون ضوابط ولا اختيار. وكل الفتن ذات درجة واحدة في الخطورة وتسبب الهلاك.

### في هذه الفتنة ما الموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه؟: ١٤/٦/٢٠١٢

س. أمام هذه الفتنة: إن أفصحت عن موقفي بين الناس بأني ضد الهجمة الشرسة على بلدي وأني في هذه الظرف أقف مع النظام ضد هذه الدول التي تريد استعمارنا من جديد وتفتيت بلدنا، دخلت عندئذ في مخالفة أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام من عدم التدخل في هذه الفتنة لا من قريب ولا من بعيد. أما إن التزمت الصمت وقعدت متفرجاً على ما يحدث في هذا البلد العزيز على قلبي دون أن أحاول الدفاع حتى ولو بالكلمة أدخل في عداد أولئك المتخاذلين الذين يكفيهم من احتراق بلدانهم ودمارها أن يقعدوا مع القاعدين ويتفرجوا مع المتفرجين وكأن الوطن ليس وطنهم والبلد ليس بلدهم، وهذا أيضاً لا يرضاه لنا لا الإسلام ولا الرسول صلى الله عليه وسلم. فما هو الموقف الصحيح الذي على المسلم أن يتخذه في هذه الظروف حتى لا يقع في إحدى الحالتين؟

ج. من قال لك: الحلّ هو أن تقف مع النظام؟ إننا نقول: الحلّ هو أن تحذر إخوانك ومن يلوذون بك من الاستجابة للخطة المرسومة لإزهاق الوطن والأمة، فتحذر من المسيرات وذيوها. وأن لا تدعم الداعين إلى الخروج على الدولة بثورة عليها أو أي نهج ضدها، مع واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهد استطاعتك .. هل في هذا من إشكال، أليس هذا ما يجعلك تبرا لدينك ولعرضك؟ .. إذن لماذا تتكلف التشقيق واختلاق التقسيمات والتصورات؟

### الوسيلة الأنجع في درء الفتنة: ٧/٧/٢٠١١

س. سيدي الحبيب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله ورعاه، هذه المرة الثالثة التي أرسل فيها سؤالي ورجائي وما من مجيب. وهي كلمة أسمعها منك لأنشرها بين الناس ومن ينتظر كلامك في هذه الآونة الصعبة التي تمر فيها بلادنا الحبيبة. سيدي الحبيب قرأت آخر

فتاويك عن الشيخ العرعور وغيره ممن يحاول نشر الفتنة ما استطاع إليه من سبيل ولا يهمه ما لهذا الأمر من قتل يحصل بالعباد والبلاد. ولكن أليس رجال الأمن الذين يقتلون ويشهدون الناس بكلمة التوحيد بشكل لا يرضى عنه أحد هو من الفتن التي من الواجب العمل على درئها وكف أذاها عن الناس، أم أن بيت فرفور ذنبهم مغفور؟. ساحني لسوء الأدب. كذلك كلمتك التي قلتها ووالله الذي لا إله غيره كان لها من نتيجة سيئة لا يعلمها إلا الله، ألا وهي قولك عن المتظاهرين أنهم حثالة. أنا لست مع المتظاهرين وأنا ضد المتظاهر قولاً وفعلاً والله يشهد، إلا أنني قد أمتني هذه الكلمة كما أمت الكثيرين غيري، والسبب أن ليس كل الأصابع نفس الشيء والسبب الأكبر أنها جعلت وسيلة للنيل منك بين الناس ممن هم موالين ومعارضين، وهذه كلمة ناصح ومحب فاقبلها من طالب أحبك وترى على علمك وينتظر كلمة منك يلاقي الله عليها تكون حجة عنده.

ج. أولاً: إنني لم أتناول الحديث عن أي شخص باسمه لا مادحاً ولا قادحاً، وليس ذلك من شأني، فما هي الفتوى التي قرأتها عني مما قد يتضمن اسم شخص ما؟

ثانياً: إن الله لم يوجه اللوم في قرآنه للذين يسبون الله عدواً بغير علم كما قال، وإنما وجه التحذير للمسلمين الذين يسبون الأصنام، فقال: "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله.. ذلك لأن فعلهم هو السبب فيما يقدم عليه المشركون من سب الله. فلماذا تحب أن تناقض المنهج الذي سار عليه كتاب الله، واستخرج منه علماء الشريعة مبدأ سد الذرائع؟ ترى لو استجاب هؤلاء الذين تأسف لاعتداء الأمن عليهم لأمر رسول الله القائل: "عليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة" أفكان رجال الأمن يجدون أمامهم من يعتدون عليهم؟

### المنهج السلبي في أيام الفتن!! : ٢٠١١/٦/١٤

س. السلام عليكم سيدي .. ألا يجب علينا في مثل هذه الأزمان أن يكون لنا رأي أو وجهة نظر في ما جرى ويجري هنا وهناك .. هناك من أخبرني بحديث عن النبي أنه قال في مامعناه في زمان الفتن أن يلزم المرء داره ويسكت .. أليس في ذلك سلبية وخنوع وخوف؟ .. أرجو منكم التوضيح .. أليس في قول ما يدور في خلد النسان تنفيس لمكون صدره .. لأنه لن يتحدث بشيء إلا إذا كان مقتنعاً به؟ . وجزاكم الله خيراً

ج. انظر الإجابة عن سؤالك هذا الذي تتهم فيه رسول الله بالسلبية، في تضاعيف الإجابة عن السؤالين: الأول والثاني.

وذلك عندما قلت: (وأقول لمن يتهم هذه النصيحة النبوية بالسلبية والفرار من الواجب: إن النبي صلى الله عليه وسلم لو خصَّ بهذه الوصية واحداً أو ثلة من أصحابه أو همس بها في آذانهم لأشبهه أن يكون الأمر كما يقولون. ولكنها وصية عامة أوصى بها المسلمين جميعاً عندما تحتاج مثل هذه الفتن، فما الذي تتصوره لو أنهم جميعاً انقادوا لوصية رسول الله واعتزلوا هياج الشوارع ومسيراته، وعكف كل منهم على تربية أهله وأولاده التربية المثلى؟!)

### الإعجاز النبوي في توقي الفتن وأسبابها: ٢٠١٢/٢/٦

س. فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ذكر أحد الباحثين تعليقاً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل "وإن

ظلمك"، وإنما قال: "وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" وأن هذا الحديث يدخل فيه من صور الظلم ما وازاه أو كان أدنى منه، أما ما هو فوقه - كالجناية على النفس أو العرض أو الحرمات الدينية - فلا يقاس عليه. فما رأيكم أدام الله فضلكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ج. أليس ضرب الحاكم ظهرك وأخذه مالك ظلماً؟، ومع ذلك فقد أمرك رسول الله بطاعته، وأكد ذلك في حديث آخر بقوله: (أعطوهم ما لهم، وسلوا الله ما لكم) أي أعطوه ما طلبوه منكم وإن ارتكبوا في ذلك إثماً، واطلبوا من الله أن يعوضكم خيراً، وأن يأخذ حَقكم منهم يوم القيامة. وإنما قال ذلك كله تجنباً لاندلاع الفتنة وتوقياً لأسبابها.

### السؤال عن السبب أولى من السؤال عن حكم النتيجة: ٢٠١١/٧/٧

س. السلام عليكم شيخنا الفاضل، أنتم مشايخنا الذين وضعكم الله لإثبات كلمة الحق، فأفتونا رعاكم الله. إلى شيخخي محمد سعيد رمضان البوطي أرجو أن تفتونا في أمرنا أرجوكم أرجوكم، ما حكم من أجبر على توحيد غير الله وذلك من قبل الأمن (أقسم بالله أنني لا أبلغ)؟ لي أصدقاء قد ضربوا بالعصي والهاويل على رأسهم لأنهم سألوه أليس ربك \*\*\*\* (أي رئيس الجمهورية!)، لم يجب فقد نال ما نال وهناك عدة أشخاص في السجون تعذب لنفس السبب والحالة تنتشر بشدة، أليس أنتم الآن مسؤولون عن هذه الحالات أستم أنتم من يحملون أمر أمتنا؟ أستم أنتم من يجب القضاء على الفساد الذي انتشر والذي وصل للألوهية؟ ماذا ننتظر؟ أفتنا في أمرنا شيخنا وعالمنا الفاضل ولك جزيل الشكر.

ج. لماذا تسألني عن النتيجة ولا تسألني عن سببها؟ ما سبب ملاحقة هذا الشخص وإجباره على النطق بكلمة الكفر التي تذكرها والتي زجتها بالكفر يقيناً وبالإجماع؟ أليس سبب ذلك خروج هذا الشخص مع المسيرات إلى الشارع والتهافت بإسقاط النظام وسب رئيسه والدعوة إلى رحيله؟ لماذا لا تسألني عن هذا السبب وحكمه وموقف رسول الله من هذا العمل؟ ألا تعلم - والمفروض أنك تقرأ القرآن - أن الله نهي المسلمين عن استشارة المشركين بسبب أصنامهم، ولم يتحدث عن سبب المشركين لله نتيجة لذلك؟ لماذا الإصرار على مخالفة أمر الله وأمر رسول الله، ثم التشدد بعد ذلك بالسؤال عن حكم الإسلام في حق النتيجة التي انبثقت عن هذه المخالفة؟!... استجيبوا لأمر رسول الله القائل في حق مثل هذه الفتنة (عليك بخاصة نفسك) ثم انظروا هل ستجدون من يلاحقكم إلى بيوتكم ويجركم على النطق بهذا الكفر؟

### معالجة السبب أولى من النتيجة: ٢٠١١/٦/١٤

س. السلام عليكم، ما حكم الذي يأخذ نقوداً من الدولة أو أشخاصاً منتفع منها ويقوم بفض المظاهرات السلمية بالقوة المفرطة التي تقوم من أجل المطالب الشعبية ونرجوا الجواب الشافي العاجل مع كامل احترامنا وتقديرنا وشكراً.

ج. ثبت بما لا يقبل الشك أن الخروج إلى المسيرات واستشارة الآخرين بالتهافتات المختلفة، ذريعة إلى فتنة لا مجال للتحرز منها، وكثيراً ما تتمثل هذه الفتنة بقتل أو تعذيب أو سجن لأناس لم يكونوا معرضين لشيء من ذلك لولا هذه المسيرات، وقد أوضحت لك في سؤال سابق حكم الذرائع الموصلة إلى جرائم ومحرمات، وبينت دليل حرمتها وسخط الله على الذين لا يباليون بحكم الله فيها. فلماذا تسألني عن حكم أخذ النقود لفض المسيرات، ولا تسألني عن حكم المسيرات ذاتها؟!.. المهم أن نعلم ويعلم كل مسلم أن سد الذرائع إلى الفتن والمحرمات واجب شرعي خطير بنص صريح من القرآن.

## لا أحب أن أدافع عن موقفي من هذه الفتنة: ٢٠١٢/٥/٥

س. السلام عليكم ورحمة الله، أرجو إيصال هذه الرسالة للشيخ البوطي إن أمكن. أنا موظف من مصر وفي بدايات طريق طلب العلم وأعد الشيخ البوطي هو أستاذي الأول حيث أتي قرأت جميع كتبه تقريباً، واستمعت إلى ما يزيد عن ٥٠٠ درس صوتي وما زالت إحدى أمنياتي أن ألتقي به وأطلب العلم علي يديه. ولكن بعد هذه الأحداث في سوريا وانقلاب الكثير من الناس على الشيخ البوطي، أخذت أدافع عنه مستعيناً بما سمعته منه في أثناء هذه المحنة، إلا أن الكثير من المشايخ يتهموني بأنني متعصب للشيخ وأن هذا لا يجعلني أرى الحق وإن كان واضحاً كالشمس. ويقولون أن مقاومة استثناء القتل من الطغاة هو أهم من احترام العلماء مهما علت قامتهم في العلم. أرجو منكم أن تعطوني جواباً يريح صدري فإن عقلي وقلبي مازالوا يقولون لي أن موقف شيخنا هو الحق، إلا أن إجماع الناس حولي علي الموقف المخالف قد بدأ يدخل الشكوك إلى نفسي. والله يعلم أي مستمر في الدعاء للشيخ كما أدعو لوالدي وربما أكثر.

ج. لا أحب أن أدافع عن موقفي من هذه الفتنة، وهو موقف استلهمت فيه رضا الله والتزمت فيه بموازين الشرع، فإن دفاعي عن موقفي هذا يربط أجري إن كان لي عليه أجر، ويدخلني في ساحة الرياء والنفاق. وإني لأسأل الله أن يكرمني بلقائه وأنا طاهر نقي منهما.. ولكني أقول لك ما قلته لمن انشقوا وبايعوا ما يسمى المعارضة المسلحة. وقد مارسوا أكثر من وسيلة لانضمامي إليهم. قلت لهم: ما هو البديل الأفضل؟ وما هو الطريق الآمن والنظيف إليه. فلم يتأت لأحد منهم جواباً. وما هو ذا البديل قد اتضح: خليط من ظلمات امتزج فيها الحابل بالنابل، ويد المحرك الأكبر فيه ظاهرة للعيان.

## إنما الأعمال بالنيات: ٢٠١١/٧/١٠

س. نحن نقطن في منطقة دوما لما اجتاحت الأمن والشبيحة المنطقة دخلوا على البيوت ومنهم بيتنا وقاموا بإجبارنا على السجود لصور الرئيس بشار الأسد، علماً أننا لم نشارك في أي مظاهرة منوثة للنظام، وخوفاً من القتل قمنا بالسجود للصورة، فهل نحن آثمون؟ وهل يجب علينا دفع كفارة؟ ولكم جزيل الشكر والاحترام. ونريد منك أن تدعي لنا بأن يزيح الله الغمة عنا وعن سوريا الحبيبة.

ج. جواباً عن سؤالك المحدود أقول لك: اعتبر صورة بشار الموضوعية على الأرض بمثابة بساط، وقف عليه ثم اسجد فوقه لله عز وجل. يكتب الله لك أجر السجود له بدلاً من الكفر.

## حكم الصلاة على الصور: ٢٠١١/١٠/٥

س. يا سيدي، في حالتين فقط يجوز السجود على الصورة. في حالة الإكراه المادي الناتج عن قوة القاهرة وفي هذه الحالة لا يحاسب الشخص على المعصية، والحالة الثانية وهي الصلاة على الصورة في حال عدم وجود سجادة أو ما يشابهها لأن النية هنا موجهة كلياً للصلاة الفريضة لا للصلاة على الصورة (يا سيدي إن بعض الذين يدعون العلم كأمثال عدنان العرور وغيره من عملاء أمريكا وإسرائيل يستغلون هذه الثغرات لكي يقضوا على مصداقية علماء الشام وبالأخص علماء السلوك والوسطية لكي ينشروا بدعتهم في ربوع الشام وفي جميع خطبكم وفتاويكم بخصوص هذه الأحداث لم يجدوا ثغرة واحدة إلا في هذه الفتوى التي يتكلمون بها حتى الآن)

ج. أولاً: ليس من شأنني أن أحرك لساني أو قلمي بقالة السوء في حق أي من أهل العلم على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم. ولقد أوعزت إلى القائمين بشؤون هذا الموقع (نسيم الشام) أن يلتزموا بمثل هذا الذي ألتزم به، وأعتقد أنهم ملتزمون بذلك.

ثانياً: الصورة التي تكون لجزء من كائن حيّ كرأسه أو عضو من أعضائه مثلاً، بحيث لا يحيا لو كان حقيقة، حكمه كحكم صور أشياء الطبيعة التي لا حياة فيها، فلا حرج فيها شرعاً، والصلاة فوق بساط أو سجادة عليها صور الأشجار أو ما في حكمها من أشياء الطبيعة كالنقوش والورود خلاف الأولى، والأفضل أن يكون الشيء الذي يُصلي عليه خالياً من سائر الأشكال والرسوم كي لا ينصرف المصلي بذهنه إليها (ذكره الإمام الزركشي في كتابه: إعلام المساجد في أحكام المساجد).

وبناء عليه فإن الذي يُقبل على الله بصلاة أو سجود، صلاته صحيحة أيا كان شأن البساط أو الثوب الذي يصلي عليه، وأياً كانت الصور والأشكال التي عليه، ما دامت صلاته لله عز وجل.

وحتى لو أُجبر المصلي على السجود فوق بساط عليه صورة شخص ما، فسجوده لله صحيح ومثاب عليه.

ألا ترى أن الحجاج عندما كلف أحد أعوانه أن يحوّل وجهه سعيد بن جبير (وقد عزم على قتله) عن التوجه إلى القبلة، لم يبال بذلك قائلاً: "فأينما تولوا فثم وجه الله"

والشأن في الأمرين واحد، ما دامت العبادة لله، وما دام القصد بلوغ مرضاة الله. والتنطع في هذا الأمر وأمثاله ممنوع وصدق رسول الله القائل "هلك المنتطعون".

### حكم الخروج في المسيرات والمظاهرات عام: ٢٠١١/٧/٢٢

س. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... لقد سمعنا حكم المظاهرات المعارضة للنظام من حضرتكم .... ولكن ما هو حكم المسيرات المؤيدة التي تقطع الطرق، هذا غير حالة الاحتقان الذي تسببه وخاصة عند أهالي القتلى .... فأرجو منكم يا سيدي حكمها؟؟

ج. كان الجواب عن حكم الخروج في المظاهرات جواباً عاماً، والكل داخل في حكم وجوب سد الذرائع.

### لماذا لا تبث فتوى حرمة قتل المتظاهرين على التلفاز؟: ٢٠١١/٦/١٤

س. إلى أين تذهب سوريا ... أفنتيت لأحد المتسائلين أنه لا يجوز قتل المتظاهرين ... لماذا لا تظهر على التلفزيون وتعلن وتكرر هذه الفتوى ووالله لو أعلنت هذه الفتوى على شاشة التلفاز لحقنت الكثير من الدماء من الدماء في سوريا.

ج. قلت هذا من قبل، وقلته في آخر حديث تلفزيوني لي. ألم تسمع استشهادي في هذا بقول رسول الله "وَمَنْ خَرَجَ عَلَيَّ يَضْرِبُ بَرِّهَا وَقَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَا مُؤْمِنَهَا، وَلَا يَبْقَى لِيذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي" (رواه مسلم وأحمد) هل هنالك تحذير وتحريم لما ذكرته من قبل أوضح وأقوى من هذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### لم أكن مؤيداً أو معارضاً وإنما محذراً من بلاء أعظم: ٢٠١٢/٢/٢٨

س. إلى استاذي وشيخي وحبيبي الدكتور العلامة محمد سعيد رمضان البوطي: أود أولاً أن أعبر لكم عن مدى حيي واحترامي لكم الذي لا أجد الكلمات قادرة على وصفه لكم، فكم أحبكم بالله وكم أرتاح لرؤيتكم وأطرب لصوتكم ولحديثكم الذي يدخل عقلي وقلبي ولكنه

حب دون تعصب، فهذا ما تعلمته من كتبكم التي طالما وجدت فيها علماً وتربية وأعتبرها كنزاً للعلوم الإسلامية بل والاجتماعية أيضاً، وأسأل الله تعالى أن يحفظك من كل مكروه ويطيل في عمرك ويمدك بالصحة والعافية لأني أعتبر -بعد عمر طويل- أن رحيلكم للقاء الله عز وجل لنذير شؤم وأنه بداية رفع العلم من قبل الله عن هذه الأرض، وأسأل الله أن يحشركم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعل لك مقعداً في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة وأتمنى أن يصل لكم هذا الحب الكبير لكم. ولكن لا أريد أن أطيل وأعتبر مهما كتبت فساً كون مقصراً في حقكم ومقصراً في وصف ما أشعر به تجاهكم أقول هذا دون رياء او مجاملة.

ثانياً: اتجه للسؤال وهو أني كنت من الذين وجدوا أنكم تريدون الخير لهذه البلدة وتبيان أوامر الله دون أي تدليس أو تحريف، كل ما أردتموه هو إظهار هذه الأوامر كما هي وتفسيرها على ما ذهب له السلف الصالح خلال الأزمة التي نمر بها في سوريا، هذا ما عدا أني قرأت كتابكم الهام جداً (الجهاد في الإسلام) قبل الثورات العربية ولكن يجب أن أوضح أني بالإضافة للدوافع الدينية والتي تتمثل بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخروج على الحاكم، إلا إذا كان هناك كفر بواح، هناك دوافع أخرى سياسية وهي أني من المؤيدين لتيار المقاومة والممانعة، والنظام الحاكم في سوريا جزء من هذا التيار، وأنا شخصياً كنت ولا أزال أحب الرئيس بشار الأسد وأجده مقاوم ورجل إصلاحى يريد التغيير قدر المستطاع، وأحترم الرئيس الراحل حافظ الأسد، وكذلك حزب الله وحكومة إيران والمنظمات الفلسطينية كافة، على أنه لا يأخذني هذا التأييد إلى الموافقة على أخطاء النظام التي أقرها الرئيس، فلست مع الفساد الموجود في البلاد بالرغم من أن الفساد مستشر ليس فقط في مؤسسات الدولة بل في الشارع السوري للأسف، لكن يبقى من يحكم هو من يتحمل مسؤولية المحاسبة، ولست مع ما هو موجود من تعذيب يمارس تجاه المعتقلين أو أي منكر موجود في هذا البلد ويتحملة النظام، لكني مع النظام للدوافع الدينية وأيضاً لأني مع تيار المقاومة ومع الرئيس بشار كرجل إصلاحى، فأنا أرى بعينين، أرى الإيجابيات والسلبيات، وهنا أقصد تأييدي للإيجابيات. إلا أن أخي - جزاه الله خيراً- وهو يقاسمني حبكم واحترامكم وقراءة كتبكم قال لي يريد النصيحة لله أن موقفي حقيقة موقف سياسي جاء النص الديني موافقاً لهواي أو لموقفي السياسي ونصحني أن لا أدافع عن النظام كثيراً بقدر أن أكون ملتزماً فقط بأوامر الله لا أكثر، نتيجة بعض المنكرات التي تلبس بها النظام. ويرى أخي أنا متجهون لفتنة أكبر ستعم الوطن العربي، وسوريا لن تهدأ، وأنه بدفاعي عن النظام في مناقشاتي سواء في النت أو في الواقع أضع نفسي طرفاً، والرسول صلى الله عليه وسلم طلب منا أثناء الفتن أن لا نشترك مع أي طرف، على أنه يجب أن أوضح أني لو رأيت كفراً بواحاً لامثلت لأوامر الله وأصبح السبب السياسي لا قيمة له عندي، وأنه في مناقشاتي أوضح ما أعرفه من حكم الله في قضية الخروج على الحاكم، فلا أكتفي بالحديث عن إيجابيات النظام وتبيان المؤامرة، ولكن ما أنا فيه أنه لدي دافع سياسي مع الدافع الديني، ولكن لا قيمة للسياسي عندي إذا كان هناك كفر بواح، وأخي يرى أن لا أكون ما أنا عليه، وقال لي أن أكتفي بالدافع الديني كما قلت لكم، لأنها فتنة حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تقف مع أي طرف، وخاصة أن النظام وقع بمنكرات أثناء الأزمة (وطبعاً الثوار وقعوا بالمنكرات أيضاً مما لا شك فيه) وأوضح أكثر أن أخي يجد كمرابح لحالي عندي الدافع السياسي أقوى والدافع الديني فرعي، وهذا لب انتقاده لي، يضيف لها أننا في فتنة يجب أن نكون حياديين بين الأطراف، وأنا من جهتي سأحاول أن أخلص النية أكثر، ولكن أشهد الله أني كما قلت لو وجدت الكفر البواح لأصبح الدافع السياسي لا قيمة له، على أني لا أخفي حيي للرئيس ولتيار الممانعة. وأما قضية الحيادية بالنسبة لي صعبة لأني اجد أننا لسنا فقط في فتنة بل أيضاً في حرب مع إسرائيل وحلفائها، بأياد سورية وعربية، أي لا أقدر أيضاً رغم المنكرات التي تلبس بها النظام أن أساوي بين الاثنين، وخاصة أعلم من يحركهم ويدعمهم، لذلك لا أتفق مع أخي بهذه النقطة. هذا رأيي يحتمل بكل تأكيد الخطأ. وعليه هل أنا فعلاً مخطئ بدوافعي السياسية ويجب أن أكبحها وأني بهذا أخالف الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول أخي؟ مع تأكدي أني أسأل الله الثبات في التزام أوامر الله بحيث لو وجد كفر بواح لن يكون للدافع السياسي أي قيمة عندي وأني لن أؤيد المنكرات التي يتلبس بها النظام، بل فقط تأييد الإيجابيات. أرجو الإجابة في أسرع وقت.

ج. ليست المشكلة التي نعاني منها جهلنا بالموقف الذي يجب أن نتخذه من النظام القائم اليوم في سورية، أهي دولة (مقاومة وممانعة) كما تقول فدافع وثني عليها، أم هي مثقلة بالأخطاء والانحرافات والظلم فنخرج عليها ونقاومها .. وإنما المشكلة جهلنا العجيب بأن كلاً من

أمريكا وأوروبا (استجابة لأمر إسرائيل وإحاحها) قد رسم خطة لتدمير سورية عن طريق تفتيتها وتحويلها إلى دويلات متصارعة تتغلغل فيها الحروب الطائفية بطريقة جهنمية لا تقبل الخمود، وقد تكفل بدفع النفقات اللازمة لذلك دول عربية خليجية معروفة، فهي ترسل الأسلحة والأموال اللازمة لذلك، ولقد تم تعيين الفريق الذي سيسلم إليه زمام الأمر، لدى وضع هذه الخطة موضع التنفيذ، بعد اجتماعات ومشاورات مع إسرائيل، في تل أبيب وغيرها.

هذه هي المشكلة التي ألفت النظر إليها وأحذر منها، ولا يعني أمام هذا الخطر الجهنمي المرعب أن أتحدث عن أخطاء النظام السوري وعبويه أو عن مزيمته كدولة مقاومة وممانعة، ولا أذكر أنني عنيت بهذا الأمر الثانوي أو رددت كلمة المقاومة والممانعة، أو تسليت بالحديث عن سورية نقداً أو مدحاً، لأنسى أو لأنسى الناس الكارثة الإنسانية العظمى التي ستأتي على الحرث والنسل، وتحيل سورية الآمنة، إلى بُرْكٍ من الدماء ولهب من النيران، وإخوة يتقاتلون ويذبح بعضهم بعضاً.

فافهم يا أخي وليفهم بقية الإخوة من أمثالك حقيقة البلاء الأسود الذي يطرق أبوابنا.



## أجوبة الدكتور البوطي عن خطبته والنفير العام



## هربت من الجيش خشية التسبب بالقتل: ٢٠١٣/٣/١٢

س. السلام عليكم ورحمة الله، أرجو الإجابة من الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، أنا كنت في صفوف الجيش السوري لغاية ٩ / ١ / ٢٠١٢ أكملت الخدمة الإلزامية سنة ونصف وعشرة شهور كاحتياط ولكن لم أتسرح فهربت، علماً أنني أقوم بالأعمال القتالية كي لا أتسبب في مقتل أحد وإلى الآن أنا فار خوفاً من الفتنة والقتل، هل يعتبر فراراً من الزحف؟ علماً أنني هربت لأن الأمر احتلظ علي واستخرت الله سبحانه وتعالى وتحت إلماح الأهل والأقارب قررت الهرب.

ج. إن عرفت أو غلب على ظنك أنك ستكلف بقتل نفس بريئة بغير حق، من خلال وجودك في الخدمة العسكرية، ففرارك مشروع، وإن علمت أنك ستدعى إلى قتال الصائليين الذين يقصدون إلى العدوان على الأرواح البريئة أو تخريب المنازل والبنى التحتية أو اغتصاب البيوت من أصحابها، فالاستجابة واجبة، والفرار من هذا الواجب فراراً من الزحف، وقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أن من قُتل دون دمه أو ماله أو دينه فهو شهيد. وأنت تعلم ما الذي يجري اليوم.

## لماذا تحول الحكم من الاعتزال إلى الدفاع عن البلاد؟: ٢٠١٣/٣/١٢

س. فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد، لقد أحدثت خطبتك الكريمة في يوم الجمعة بتاريخ ٨-٣-٢٠١٣ جدلاً كبيراً في الوسط الإسلامي. وقد كان منهجك على مَرَّ عامين يدعو إلى التهذؤة والعودة الصادقة لرب العباد وحقناً للدماء، ولم تلتفت إلى سيل الانتقادات والمجوم العارم على شخصك ومنهجك في هذه الأزمة مما زاد من حيي لك وإكباري لخلقك السمح الكريم. ولكن ياسيدي.. خطبتك الأخيرة أحدثت شرحاً كبيراً في صفوف المسلمين فهذا ما لمسنا في الشارع السوري. فسماحتك حتى هذه اللحظة لم تستنكر أي فعل للقوات النظامية على إجرامها وجبروتها اتجاه المدنيين والأمينين. وأكد أرى أن من يهب الآن إلى النفير العام كما تفضلت في خطبتك فسوف لن نرى إلا المزيد من المجازر وزهقاً للأرواح. أتمنى عليك أن تتكرم برد صريح وواضح لما أسلفت من خطبتك الكريمة وبرهان مبين يستند عليه المسلمين. ولا تنسوننا من خالص الدعاء. والحمد لله رب العالمين.

ج. إنني كنت متهماً من أول الأحداث بأني منحازٌ إلى تأييد الدولة، وذلك مجرد إنكاري على الذين كانوا يتداعون إلى المسيرات، لعلمي بأنها خطة جهنمية ستنتهي إلى هذا الذي انتهت إليه. فإنكاري عليهم وتحذيري لهم من الدخول في تلك المقدمة التي ستجرهم إلى هذا المصير، جعلني في نظرهم منحازاً للدولة. والأمر كما هو واضحٌ بالبدهة ليس كذلك.

واليوم وقد تحققت النتيجة التي كنت أهدر منها، وتبين أن حرباً كونية حقيقية تدور رحاها على سوريا، تديرها الصهيونية العالمية والمسيحية المتهودة في أمريكا، ينوب عنها (في العمل على تدميرها ثم الملمة أجزاءها وتصنيع دويلات مجزأة متفرقة منها) مرتزقة العالم المجرمون من أصحاب السوابق والسجون وما يسمى بالقاعدة التي ابتدعتها أمريكا، مع أطنان الأسلحة المتنوعة التي تنهمر إلى هذه الأرض المباركة من كل حذب وصوب، إلى جانب تحوّل الجيران كلهم إلى أعداء ينفخون في نيران هذه الحرب.

ونظر الجيش بل نظر المواطنون إلى هؤلاء الآلاف المؤلفة من المرتزقة ومن لَفَّ لفهم، وقد دخلوا سوريا وراحوا ينفذون الخطة المرسومة، من التغلغل في الأرياف، والتسرب إلى داخل البيوتات طوعاً أو كرهاً، ليوجهوا من هناك حمم الموت وأطنان المتفجرات، إلى المدينة التي تحيط تلك الأرياف بها، ثم ليقفروا منها إلى المدينة فيهلكوا ويخربوا ويسفكوا ما طاب لهم ذلك، أملاً في أن تسقط المدينة أطلاقاً فوق أكوام القتلى من النساء والرجال والأطفال.. فماذا يقول لك العقل، بل ماذا يقول لك الدين، ولأفرض أنك القائد الأعلى للجيش. مقتضى سؤالك الذي توجهه إليّ أنك تأمر الجيش بكل عدته وأعداده أن يقبوعوا في معسكراتهم وأن يتركوا المواطنين وأموالهم ومصانعهم وبناهم الاقتصادية

والتحتية لما سيفعله الأشرار بهم وبها، وعندئذٍ سنجد أن سوريا قد اختفت من الخارطة وأنها تحولت إلى لقيمات تلوكها إسرائيل ثم ترميها أمشاجاً مبعثرة هنا وهناك، وتنتظر فإذا حصاد هذه الخطة المدبرة من القتلى أضعاف أضعاف الذين تجرّم الجيش اليوم بمقتل الذين تتّرس المسلحون المرتزقة بهم.

قل لي .. أفهذا ما كان على الجيش والدولة أن تمارسه؟ ما أظن أن إنسانيتك مسخت فيك إلى هذا الحد، وما أظن أن جهلك بمقاييس المصلحة في الدين آل بك إلى هذا الحد.

وإن كان لديك رأي وجيه آخر فيما ينبغي أن يفعله الجيش فأرجو بيانه في منهج منطقي ديني مفصل .. وهذا السؤال موجه إلى المشايخ الذين غيّروا معتقدتهم فجأة، وأرسلوا من السعودية فتوى شرعية بوجود تدمير سوريا !!

### النفير العام متى يجب والمقصودون منه: ٢٠١٣/٣/١٢

س. سيدي لم أفهم هل تم إعلان النفير العام، ووافقتم عليه؟ وإن كان كذلك، فهل هذا يعني أنه على كل جامعي أو وحيد للأب أو للأم، أو ذو عمل وأنهى خدمة العلم أن يلتحق بصفوف الجيش؟؟ وهل هذا شرعاً صحيح؟؟!!! إننا نهرب من دماء المسلمين اليوم المسلم يقف أمام المسلم ويقتله بدم بارد (وأؤكد لك أن الخطأ والقتل من الطرفين سيدي) فهل هذه فتواكم للنفير والالتحاق بأحد صفوف جيوش هذه الفتنة العظيمة؟؟

ج. أولاً: لست أنا الذي أعلن وجوب النفير العام. وإنما الشرع هو الذي يقرر في باب الجهاد أن دار الإسلام إن غزيت من محاربتين دخلوها مقاتلين، وجب على أهل تلك الدار أن يقاتلوهم ويردوهم على أعقابهم .. وهذا ما قد تم اليوم فقد دخل سوريا من سائر الجهات مئات الآلاف من المرتزقة والمقاتلين من سائر البقاع، وأنا لا أقصد السوريين المعارضة، الذين أصبحوا هدفاً للمرتزقة الوافدين.

ثانياً: الدفاع عن دار الإسلام لا يكون حصراً بالقتال مع الجيش، بل يكون بأي نوع من المساعدة التي يتمكن المكلف من تقديمها، مما تحتاج الدولة إليه، وانظر في إجابتي عن السؤال السابق يتبين لك الحكم جيداً.

### تطبيق صورة النفير العام اليوم كل بحسب ما أقامه الله به: ٢٠١٣/٣/١٢

س. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، أنا أنهيت الخدمة الإلزامية في الجيش العربي السوري في عام ٢٠٠٦ وأنا الآن موظف في شركة خاصة، كيف لي أن أقوم بواجبي فيما ذكره المجلس الأعلى للإفتاء بأن الالتحاق بالجيش فريضة؟ هل المقصود هو تلبية دعوة الجيش عند طلبي للالتحاق به أم أنه علي الذهاب من تلقاء نفسي والالتحاق بالجيش؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً. السؤال موجه للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

ج. لا يا أخي، لست مكلفاً بالانخراط في الجيش حصراً بل المطلوب في هذه الحالة، أن يقدم المسلم المكلف المعونة التي تحتاج إليها الدولة، إن تقدم بيوت للمكويين الذين اغتصبت منهم بيوتهم واحداً من الأعمال المقبولة، تقدم المال للمحتاجين كذلك، الانخراط في مساعي الصلح كذلك، الأعمال العسكرية من الخير بما كذلك، وانظر في الإجابتين السابقتين تزداد تبصراً في الحكم.

## هل يتعارض النفي اليوم مع حديث إذا التقى المسلمان بسيفيهما؟: ٢٠١٣/٣/١٢

س. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أرجو أن يصل سؤالي للدكتور حفظه الله بما أنه أعلن النفي العام وعلى من باستطاعته الالتحاق بالجيش العربي السوري أن يلتحق فنحن سنحمل السلاح بوجه إخوة لنا أيضاً. ألا ينطبق علينا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)؟ وكثيراً ما كنت تحاول أن تجنب هذه الأمة هذه الفتنة. أرجو توضيح هذه النقطة وحزامك الله خيراً.

ج. الحكم الشرعي المعروف في باب الجهاد في كتب الفقه لا علاقة له بشقاق أو محاربة تكون من فئات مسلحين داخل الوطن الإسلامي، وإنما يتمثل هذا الحكم في الموقف الذي يجب أن يتخذه المسلمون إن دخل دارهم الإسلامية أناس غرباء مقاتلين ومحاربين، كشأن المرتزقة وما يسمى بالقاعدة الوافدين من أقطار الدنيا مدحجين بأنواع الأسلحة، تنفيذاً لقيادات تدفعهم وتخطط لهم في الخارج ابتغاء القضاء على سوريا وتفتيتها إلى دويلات، إن سورية اليوم تحارب من هؤلاء القادمين من خارج سوريا والذين لا يُحصى عددهم .. ما حكم الشريعة الإسلامية في هذه الحال؟ الحكم هو وقوف أهل البلاد جميعاً في وجه هؤلاء المحاربين، وهذا الحكم لا علاقة له من قريب أو من بعيد من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما ... إلخ) وانظر في الإجابة الثانية والثالثة والرابعة لتزداد بصيرة بالأمر.





## مقالات وخطب متفرقة

## إلى هواة الأخيصة الكاذبة - د. محمد سعيد رمضان البوطي

في الناس اليوم من إذا ساقتهم الظروف إلى محادثة الحكام، وإبداء المشورة لهم، لم يباليوا برضاهم بل تكلفوا لسخطهم، في سبيل أن يرتفع لهم شأن بين الدهماء وعامة الناس، وفيهم من إذا ساقتهم الظروف إلى الأمر ذاته، لم يباليوا برضا الناس ولم يهتموا بسخطهم في سبيل أن يرتفع لهم شأن عند الحكام.!

أولئك، شأنهم مدهانة الناس، ولا يباليون بالثمن الذي يدفعونه لذلك .. وهؤلاء شأنهم مدهانة الحكام، ولا يباليون هم الآخرون بالثمن الذي يدفعونه لذلك.

وتبحث عن لا يبالي برضا الناس ولا الحكام، في سبيل رضا الله وحده، فلا تقع منهم إلا على النزر اليسير.

وفي اعتقادي أن مدهانة الناس ليست أقلّ سوءاً من مدهانة الحكام، ومع ذلك فهي الأكثر على صعيد الواقع.

وسبب ذلك أنّ مجابهة الحكام بعنف المعارضة وقسوة الموقف، كانت ولا تزال في أذهان الناس مظهراً للجهاد في سبيل الله ودليلاً على الجرأة في طريق الدعوة إلى الله، في حين أن مجابهة الناس بذلك، لم تكن في أذهانهم يوماً ما، مظهراً لأي معنى من معاني الدعوة أو الجهاد.

ومنذ صدر حياتي العلمية والاجتماعية، إلى أول الثمانيات من القرن الماضي، لم أكن قد دخلت في تجربة الخوض مع الحكام في أي مواجهة أو مجابهة أو حوار..

ثم شاء الله عز وجل أن أبدأ الخطوة الأولى على هذا الطريق فألقيت كلمة جامعة دمشق أمام الرئيس حافظ الأسد رحمه الله، في الحفل الذي أقيم على مدرج جامعة دمشق، بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري .. وإني لأذكر أنني استنصحت والذي رحمه الله في الأمر، فوضعني من خلال نصيحة طويلة لا مجال لسردها هنا، على رأس صراط لا ألتفت فيه يمينا إلى الناس، ولا يسرة إلى الحكام، بل أتجه فيه إلى مرضاة الله وحده .. وكانت كلمتي التي ألقيتها في تلك المناسبة، من وحي هذا المنهج.

ولعلّ القارئ يذكر أن عاصفة مشكلات أثارها فصائل من الإخوان، مع الدولة، كانت آنذاك على أشدها .. وكان جلّ، بل كل العاملين في الحقل الإسلامي، يتقون غضبة تلك الحركات أكثر مما يتقون الدولة وعقابها .. فكانوا يلوذون بالتجاهل والصمت، مهما سئلوا عن موقف الشريعة الإسلامية من تلك التصرفات، ومهما سئلوا عم موقف الشريعة من طريقة مجابهة الدولة لها!.

فلما دخلت ميدان هذه التجربة، وألقيت كلمتي في ذلك الجوّ العاصف، أمام الرئيس رحمه الله، مستلهماً رضا الله وحده، لم يحل عظيم رضا كثير من الناس بما، دون تهديد خفي تلقينته من بعض رؤوس الجماعة، لأني أقررت بحكم الرئيس في كلمتي تلك، ودعوت له، ووصفته فيها بقائد هذه الأمة.!

ثم شاء الله أن أخطو الخطوة الثانية على هذا الطريق، فتحدثت في التلفزيون السوري من خلال ندوة رمضانبة كان يديرها الأستاذ مروان شيخو .. وكان الرئيس رحمه الله، قد استجاب آنذاك لتحقيق سلسلة من الإصلاحات الدينية الهامة رجوته إنجازها في كتاب خاص رفعته إليه .. منها رفع الحظر عن طائفة كبيرة من الكتب الإسلامية، كانت قد منعت بقرار من وزارة الإعلام آنذاك .. عدت مرة أخرى إلى والذي رحمه الله، فحدثته بسلسلة تلك الإصلاحات، واستشرته في التنويه بما وشكر الرئيس عليها.

فقال لي: بل صرّح بما وبشكره عليها، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يشكر الله من لم يشكر الناس" وتشجيعاً له في السير على هذا الطريق.

ولما فعلت ذلك، وشكرت من سميت به صاحب اليد الخفية على إنجاز تلك الإصلاحات، رأيت في الناس من قد صتّفي، من جرّاء ذلك، في قائمة الممالئين والمداهنين للدولة.!

ولما بلغ الأمر والدي، أقبل إلي قائلاً: -وقد تصور أنني متألم من حديث هؤلاء الناس-: بوسعك أن تسلك سبيلاً تنال به رضا الناس كلهم عنك، ولكن فلتعلم أنه لن يكون إلا سبيل النفاق.!

فالمناق هو وحده الذي يملك أن ينال رضا الناس كلّهم، في كل الأحوال.

منذ ذلك اليوم، لم أحد بتوفيق الله ورعايته عن هذا المنهج، في كلماتي وأحاديثي التي شاء الله أن ألقبها أمام الرؤساء والملوك:

لا أبدأ فأطرق أبوابهم، ابتغاء أي مغنم، أو بحثاً عن أي مصلحة دنيوية خاصة أو عامة.

إن دعائي رئيس الدولة إليه، لمشورة أو مهمة، استجبت، إذ لا يسعني في حكم الشريعة الإسلامية إلا ذلك. ولكني لا أصطحب معي (انتهازاً لتلك المناسبة) أي حاجة شخصية أرجوها منه أو أعرضها عليه.

لا أذخر وسعاً في نصحه وتذكيره بالله، ويعظم المسؤولية التي يحملها لهذه الأمة، بالأسلوب المحبب البعيد عن التصنع، والمغموس بمشاعر الغيرة والحب، كلما سنحت الفرصة لذلك. إن في لقاء شخصي مغلق، أو في كلمة ألقبها على رؤوس الأشهاد.

أثني عليه بكل ما عرفته فيه من صلاح وخير، سواء عرف الناس معي ذلك منه، أم لم يعرفوا.. حملاً له على المزيد، وتحذيراً له من التحول إلى النقيض، وإحقاقاً للحق.

لا أتألى على الله بحكم غيبي أقطع به، لا في حق حاكم، ولا في حق أي من عباد الله، مهما كان حق حاكم، ولا في حق أي من عباد الله، مهما كان شأنه. ولكنني أجنح دائماً إلى حسن الظن بالله، في حق نفسي وفي حق سائر عباد الله. وهو الأمر الذي يحملني على الترفع عن الخوض في حقهم ويحفظني على حسن الظن بهم.

(من مقدمة كتاب: هذا ما قلته أمام بعض الملوك والرؤساء للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي)

## عندما يغدو الإسلام خادماً للسياسة ... وليس العكس ...

ذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هذا المثال في كتابه (شخصيات استوقفتني - طبعة حزيران ١٩٩٩) عندما كان يتكلم عن (بديع الزمان سعيد النورسي) وعن تجربته السياسية وعن تحذيره من مزج الدعوة الإسلامية بالعمل السياسي. يقول:

من الأمثلة الواقعية التي تؤكد هذا الذي نبّه إليه الأستاذ النورسي مراراً أن ثلثة من العلماء المرتبطة بجماعات إسلامية يزيد عددهم على الأربعين، كانوا خلال السنوات الثمان التي مرت من عمر القتال الدائر بين المسلمين في الجزائر باسم الجهاد، كانوا بين مؤيد له وصامت ... وإذا بهم يصدرون قبل أيام بياناً يدعون فيه إلى إيقاف هذا القتال والتحذير من استمراره وتأكيد عدم شرعيته!.

ومن المعلوم بداهة أن هذا البيان إن كان تعبيراً عن الحكم الشرعي الصحيح، إذن فلا ريب أن القتال الذي كانت تدور رحاه خلال السنوات التي مرت في الجزائر لم يكن شرعياً. فما لهم صامتين بل مؤيدين له؟ وفيهم كانوا يخطّون من كانوا يقولون في التحذير منه وفي بيان عدم شرعيته ما يقولونه هم أنفسهم عنه اليوم؟ وفيهم كانوا يتهموهم بإلغاء حكم الجهاد في الإسلام؟

أما إن كان المعبر عن الحكم الشرعي الصحيح، هو ذلك القتال الذي استحرّ بالآلاف من المسلمين البراء خلال تلك الأعوام، وأما إن كان ذلك القتال جهاداً كما كانوا يؤكدون ويرددون، إذن فينبغي أن تستمر شرعيته إلى اليوم وما بعد اليوم، لأن المبررات التي كانت تعتمد عليها جبهة الإنقاذ لاتزال موجودة، إذ الناس هناك اليوم هم أولئك الناس أنفسهم؛ إما كفرّة ظلّمة يحكمون بغير ما أنزل الله (على حدّ تعبيرهم)، أو أعوان لهم يدورون في فلّكهم.

ومما هو معلوم بالبداية أيضاً أن الوحي انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلا سبيل لأن يكون جبريل قد تنزل في الأمس إلى هؤلاء العلماء بحكم يتضمن شرعية ذلك القتال آنذاك.. ثم إنه نزل اليوم بحكم مناقض جديد ينسخه ويحرمه.

أربعون عاماً من ذوي الارتباطات بالجماعات الإسلامية، ظلوا صامتين ومؤيدين لأنهار تلك الدماء الزكية خلال كل تلك الأعوام، لو أنهم أدلوا ببيّانهم الشرعي هذا خلال تلك الفتن أو في مقبليها، إذن لقطع دابر ذلك النزيف أو خفت حدته كثيراً على أقل تقدير.. ولكنها السياسة علمتهم متى يصمتون مؤيدين ومتى ينطقون مستنكرين !!!

أرأيت إذن كيف يغدو الأمر والسلطان للسياسة في هذه الحال، وكيف يصبح الإسلام بكل مبادئه وأحكامه خادماً أميناً على باب هذا السلطان، يتحرك بحركته ويتلون بلونه !!

اللهم لا تخضعنا لسلطان غير سلطانك، ولا تبعدنا عن حمى العبودية لك، ولا تحرمنا نعمة الإخلاص لوجهك.

## التاريخ يعيد نفسه، والموقف بقي ثابتاً على الرغم من الأذى والتهديد - مقتطفات من كتاب (وهذه مشكلاتنا)

ملاحظة: العنوان لي والكلام للدكتور البوطي من كتاب (وهذه مشكلاتنا) عام ١٩٩٣؛ يقول في المقدمة:

كان لي في أفئدة ملايين الشباب المسلمين في الجزائر تقدير منقطع النظير، وثقة لا حد لها، يوم كانت كلماتي ونصائحي لا تصادم لهم شعوراً ولا تناقض في أنفسهم هوى.. حتى إذا استشرت بين جوانح كثير منهم روح الثأر واحتاجت لديهم عوامل الانتقام، للأحداث المعروفة التي جرت هناك، وأخذت أناشدهم من قريب وبعيد ألا يزجوا أنفسهم من تلك اللواعج في تيه يضللهم عن شرع الله وينأى بهم عن وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا بتقدير كثير منهم قد ذاب واضمحل، وإذا بالثقة التي لا حد لها قد تحولت إلى ريبة وظنة، بل وتجهيل.!

لقد كان عليّ، لأحافظ على رصيد تقديريهم الكبير لي وثقتهم بي، أن أسير مع عواطفهم، بل مع رعواتهم، أنى سارت، وأن أصفق لهاتفاتهم وشعاراتهم أيّاً كانت.!

ولكن، أين هو الوفاء إذن مع أمر الله عز وجل؟.. أين هو الوفاء مع الميثاق الذي أخذه الله على عباده الذين ائتمنهم على تبليغ كلمة الحق: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) آل عمران ١٨٧

عليّ أن أبلغ ما أعرفه من أمر الله وشرعه، وللآخرين أن يقبلوا أو لا يقبلوا.. أن يثقوا أو يرتابوا.. ولأن يرضى الله عني بارتياحهم أو سخطهم خير من أن تصفق لي الدنيا بأسرها..

وقال في نفس الكتاب:

إننا نشهد في هذا العصر جدلية عجيبة في طريقة التعلم والمعرفة، لا سيما في نطاق المعارف الدينية وأصول الدعوة الإسلامية، ففي الوقت الذي يُطلب من المعلم أو الداعي أن يعلم الناس وينشر الدعوة الإسلامية على أصولها السليمة، يُطلب منه أيضاً أن يستلهم قواعد هذه الأصول وضوابطها من العامة الذين يعلمهم أو يثقونهم أو يرشدهم!

ومهما كانت منطلقات العامة ومقاييسها في الفهم والحكم واتخاذ القرارات، مزاجيةً ونفسيةً، ومهما كانت بعيدة عن المنطق وقواعد الدين، فإن على المرشد أو المعلم أن يتبع ما تحكم به أمزجة هؤلاء العوام وتتشاه أهاؤهم النفسية!

وقال أيضاً:

إنما يعجب الناس من العالم والداعي إلى الله أن يبتعد عن نقدهم وتتبع أخطائهم، ثم ينصرف مشتغلاً بنقد القادة والحكام وتفنيد أخطائهم وانحرافاتهم. ومهما تشاغل المرشد والداعي عن الأخطاء التي يفور بها المجتمع، في أسواق التعامل، أو السياسة المالية، أو الأخلاق المنزلية، أو نحو ذلك، ثم حصر نشاطه في إعلان النكير على الحكام والتنديد بأخطائهم، كان أعلى شأواً في نظر الناس، وأحرى أن يوصف بالبطولة والصدع بكلمة الحق، وأن ينتزع من أكتفهم التصفيق.

فأما الذي يضع الناس جميعاً، على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم ومسؤولياتهم، في ميزان واحد من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما أسرع ما يتبرمون به ويتأففون من موافقه وتذكيراته، وما أكثر من يشكو منه قائلاً: ألم ير أمامه من منكرات الدنيا إلا هذا الذي يلاحقنا من أجله؟ ألم يكن أحرى به إذ أصرّ على المقاومة والإنكار، أن يعلم بأن الله أمر بالستر؟.

## الهوى المقنع بالدين .. بلاء خطير - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٩٨٧/٥/٢٩

الحمد لله ثم الحمد لله الحمد حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليته خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى.

أما بعد... فيا عباد الله:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ إنما أكرمَ عباده بهذا الدِّين؛ ليكونَ نبراساً بينَ أيديهم يوصلهم إلى الحق ويبعدهم عن الباطل، وإنما الميزان الوحيد الذي يكشف للإنسان الحقَّ عن الباطل ويميِّز هذا عن ذلك، إنما هو العلم. ولذلك؛ فقد كان العمودُ الفقريُّ للدِّين الذي أكرمنا الله عزَّ وجلَّ به هو العلم.

ورفعَ المنهاج الإلهي من مستوى العلم كثيراً، وأهابَ بالناس أن يعكفوا على العلم ودراسته.

إلا أن للعلم آفة كما أن لكل شيء آفة. فما هي آفة العلم؟ أي ما هي الجرثومة المسلطة على العلم؟ الشأن فيه كالشأن في كل الأمور، لكل أمرٍ من الأمور المعنوية والمادية جرثومةٌ سلطت عليه. فما هي الجرثومة التي سلطت على العلم؟

إنها الهوى .. فالهوى آفة العلم، ومن ثمَّ فهو آفة الدِّين أيضاً. والدِّين الذي أكرم الله به الإنسان ليكون نبراساً له يوصله إلى الحق ويبعده عن الباطل، لا يمكن للإنسان أن يجد شيئاً يتربص به في طريقه ليلبس عليه الأمر سوى شيءٍ واحد ألا وهو الهوى.

ومن ثمَّ فقد حدّثنا كتاب الله عزَّ وجلَّ من اتباع الهوى، وحدّثنا من أن نخلط العلم بالهوى، وحدّثنا إذا حكمنا بما أنزل الله أن نمزج حكم الله أو الحكم بالحق بالهوى. وما أكثر ما يقرن البيان الإلهي بين الحكم بالحق دعوةً إليه وبين اتباع الهوى تحذيراً منه. انظروا إلى ما قاله جلَّ جلاله لداوود: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ).

وانظروا إلى الكلام ذاته الذي قاله الله عزَّ وجلَّ لنبيِّنا محمدٍ عليه الصلاة والسلام: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)..

وانظروا إلى بقيّة ما في كتاب الله عزَّ وجلَّ من آيات ونصوص تحذر من اتباع الهوى، وكم يتفنن البيان الإلهي في عرض هذا الأمر الخطير. انظروا مثلاً إلى قول الله عزَّ وجلَّ:

(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)، هذا كلامٌ عجيب، وكلامٌ خطير، (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)، أيُّ بلاءٍ أخطر إذاً على وجه الأرض أو في الدنيا التي يعيشها الإنسان من اتباع الهوى؟

وما هو الهوى؟ إنه عبارة عن داعٍ يدعوك إلى سبيلٍ ما.. وهذا الداعي يأتيك مقنعاً بالعلم، مقنعاً بشاره الحق، مقنعاً بالدليل والبرهان، بل مقنعاً بالدين في كثيرٍ من الأحيان، فيلبس عليك الأمر ويختلط عليك الحق بالباطل؛ ذلك لأن عادة الهوى أنه لا يأتي مكشوفاً صريحاً، ولو كان الأمر كذلك لما كانت له هذه الخطورة.

إن الملحد الذي يدعوك إلى إلحاده لا خطورة فيه لأنه يستعلن بهويته، وإن المنحرف الذي يدعوك إلى الانحراف باسم الانحراف لا خطورة في دعوته، لأن انحرافه يحذر من دعوته... ولكن الهوى لا يأتي بهذا الشكل الصريح الواضح، إنه يأتيك مقنعاً بأقنعةٍ عدّة بل مسلحاً بأسلحةٍ

كثيرة، يأتيك مقنعاً بالعلم، يأتيك مقنعاً بالدين، يأتيك مقنعاً بدلائل الحق وشاراته .. فما أكثر ما يلتبس الإنسان عليه مثل هذه الدعوة الخطيرة.

ومن ثم فقد حدّر بيانُ الله سبحانه وتعالى تحذيراً متكرراً من اتّباعه. انظروا إلى قول الله عزّ وجل: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَإِنِّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ).

ماذا أقولُ في هذا الصدد؟ اقرؤوا كتاب الله تعالى لتجدوا التحذير من الهوى، فإذا ما تبهنا إلى ما ينبهنا إليه الله عزّ وجلّ، استيقظت بين جوانحنا أحاديثٌ تحوُّفٌ وتحذّرُ الإنسان من هذا العدو الذي يتربص بالعلم والذي يتربص بالدين ويتربص بالحق.

ومن ثمّ فإن الإنسان يعود إلى نفسه لينقدها نقداً ذاتياً وليتبيّن ما إذا كان للهوى تسللٌ إلى كيانه أم لا، وإذا ما وصل الإنسان إلى درجة الرقابة على ذاته، وقاه الله عز وجل من الأهواء والانحرافات كلها، رقابة الإنسان على نفسه، هذا هو الدواء أيها الإخوة.

كن رقيباً على نفسك بعد إخلاصك لربك وبعد إخلاصك للدين الذي شرّفك الله عزّ وجلّ به. هذه الرقابة تدعوك إلى العلم، وعكوفك على العلم يبعدك عن الهوى، لأن من عكف على العلم مخلصاً لله عزّ وجلّ لا بدّ أن يجعل هواه تحت قدميه، وإذا سار الإنسان مقيداً نفسه بضوابط العلم، مستأنساً بنوره وضيائه، مخلصاً لوجه ربّه سبحانه وتعالى، فإن الهوى يتعدّ عنه ولا يمكن أن يضيق عليه سبيله أو يقطع عليه طريقه. معاذ الله.

ولكنّ الإنسان الذي يخلطُ الهدف الذي يسعى إليه من مرضاة ربّه، يخلطُ هذا الهدف بمصالحه، برغائبه، بشهواته، بديناه. لا بدّ أن يفتح السبيل واسعاً أمام أهوائه، وإذا تسلل الهوى إلى كيان الإنسان، فإن العلم يصبح جنداً للهوى، وإن الحقّ ذاته يصبح جنداً للهوى.

الحقّ يصبح شكلاً. أمّا موضوع الحقّ ومضمونه فيصبح بعيداً جداً عن الإنسان. ورضي الله عن الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يوم قال للناس: "أنتم في زمانٍ كثيرٍ فقهاؤه، قليلٍ خطباؤه، كثيرٍ معطوه، قليلٍ سؤاله، العلم فيه قائدٌ للهوى. وسيأتي على الناس زمانٌ كثيرٌ خطباؤه قليلٍ فقهاؤه، كثيرٍ سؤاله قليلٍ معطوه، الهوى فيه قائدٌ للعلم".

ما أصدقَ هذا الكلام الذي قاله عبدُ الله بنُ مسعود، ولا ريبَ أنه استقاه من مشكاة النبوة، ألا ترونَ إلى عصرنا الذي نعيشُ فيه، ألا تتأملون مدى انطباقِ هذا الكلامِ على ما نحنُ فيه..

خطباؤنا كثير.. ها نحنُ نتكلم وما أيسرَ علينا أن نتفتنَ في الكلام، لكن كم هي نسبة هؤلاء الخطباء الذين يتفصّحون ويتشدّقون في الكلام إلى الخطباء الذين يلتزمون بأمر الله عن علمٍ ودرايةٍ وفقه.

ألا ترون الأيدي التي تمتدُّ بالسؤال كم كثرت؟ والأيدي التي تمتد بالعطاء الحقيقي لوجه الله كم قلّت؟ ألا تنظرون إلى العلم وقد تحوّل عن قيادته بالأمس؟ فأصبح اليوم خادماً وجنداً لمن؟ للهوى ..

كثيرون الذين هم يتحدّثون بألفاظ العلم. يكررون هذه الألفاظ في أقوالهم من أجل أن يُقنّعوا بهذه الألفاظ أهواءهم. وكلُّ من تأمّل ورأى.. لاحظْ مصداقَ كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإنما أخذ عبدُ الله بن مسعود هذا الكلام \_ كما قلتُ لكم \_ من مشكاة النبوة.

ما واجبنا عبادَ الله أمام هذه الحقيقة؟ هل نحنُ صادقون في إيماننا بالله؟ هذا السؤال الأول. هل نحنُ مخلصون في سعينا إلى مرضاة الله عزّ وجلّ؟ هذا هو السؤال الثاني.

إن كان الجواب نعم. فلندرك أن لا جسرَ بيننا وبين الوصول إلى مرضاة الله بعد الإخلاص لدينه إلا جسرٌ واحد هو العلم. الذي قلتُ لكم إنه العمودُ الفقريُّ للدين. هذا العلم الذي نوه الله بشرفه، وأمرَ بالإقبالِ إليه. فتحصَّنوا يا عبادَ الله بحصنِ العلم.

العلم بكتاب الله .. بسنة رسول الله .. بعموم الشريعة الإسلامية اعتقاداً وآداباً وسلوكاً، بعد الإخلاص لدين الله عز وجل. فإنكم إن فعلتم ذلك تحصَّنتم ضدَّ وباءِ الهوى، تحصَّنتم ضدَّ جرائمِ الأهواء التي حذَّرَ اللهُ سبحانه وتعالى منها، وإنكم إن فعلتم ذلك وهبكم الله إحساساً سامياً دينياً دقيقاً تُميِّزون به بين الحق الذي تُدعون إليه والباطل الذي تُدعون إليه.

مثلُ هذا الإنسان إذا سمعَ من يدعو الناسَ إلى هواه مقنعاً بقناع العلم مزيفاً بزيف الدين، لا يمكن أن يتأثر به أبداً. لأن إخلاصه لله، بالإضافة إلى العلم الذي تعلمه كما أمر الله به؛ يجعلُ عنده حصانةً، يجعلُ عنده وقايةً. والواقى هو الله والموفق هو الله.

أما إذا كانت أهواؤنا هي المفضلة عندنا، عصبيتنا للذات والجماعة هي المرجحة في كياننا ولها الأولوية في تحقيق غاياتنا، إذا كان الأمر كذلك، فما أصعب العلاج وما أبعد الدواء. ولنعلم أننا بهذا سنجعلُ من الدين ومن العلم ومن مظاهر الحق جنوداً مجنَّدةً للأهواء. وقد حذَّرنا الله من ذلك عندما أُنذرتنا أن هذا السبيل سيضلنا عن سبيل الله وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ).

وكأنه يقول: إن من وجد نفسه سجيناً لهواه، مقيداً بشهواته. دواؤه أن يتذكَّرَ يومَ الحساب. فإذا تذكَّرَ يومَ الحساب، تساقطت أهواؤه من قلبه وابتعدت جرائم الهوى من فؤاده، فضفى طريقه إلى ربه. أما الذي نسي يوم الحساب، فما أجدَر أن يذكرَ مصالحه وعصبيته وأهوائه.

أسألُ الله سبحانه وتعالى أن يحرزنا من أهوائنا، وأن يجعلنا ممن تمسكوا بالدين عن طريق التمسك بعلوم الدين. وأسألُ الله عز وجل أن يحصِّننا بثقافة إسلامية راشدة هادية مهدية. وأن يجعلنا ممن أخلص لوجه الله عز وجل.. فاستغفروه يغفر لكم.

## الجبنة الذين يستأجرون الجرأة من أعدائهم - د. محمد سعيد رمضان البوطي: تشرين الثاني ٢٠٠١

### مقدمة قبل عرض الكلمة:

هذه أيضاً كلمة قديمة من الكلمات الشهيرة التي كان ينشرها الموقع القديم للدكتور البوطي رحمه الله، وهذه كانت كلمة شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ٢٠٠١، أي بعد إعلان أمريكا حربها على حركة طالبان، وتآلب المسلمين بعضهم على بعض هناك ليقتتلوا فيما بينهم فتتحول أفغانستان بعد هذا إلى لقمة سائغة سهلة.

وقد كان الخلاف الفكري (ولا يزال) كبيراً بين حركة طالبان وبين الدكتور البوطي لدرجة أنه كان بعضهم (إن لم أقل معظمهم) كانوا يكفرونه (كتكفير الخوارج لسيدنا علي رضي الله عنه) بناء على معتقدات شاذة هم يعتقدونها تجعلهم يكفرون أي أحد مجرد أنه خالفهم فيها، بل ربما أحلّوا دمه أيضاً!!! وكان قد نشر (أي الدكتور) قبل هذه الكلمة، كلمة ينتقد فيها بعض ممارساتهم ويدعوهم إلى العودة إلى طريق الصواب، إذ أنهم كانوا (وما زالوا) يعتبرون أنفسهم الفئة الوحيدة الناجية على وجه هذه البسيطة، أما غيرهم فهو حشو جهنم وبئس المصير!!

أقول، على الرغم من هذا الخلاف الفكري الكبير، إلا أن هذا لم يمنع الدكتور رحمه الله من أن يستنهض هم المسلمين هناك ويدعوهم إلى وحدة الصف ونسيان الخلافات القديمة فيما بينهم ويتحدوا صفاً واحداً للدفاع عن هذا البلد المسلم (أفغانستان)، ليدفعوا شر هذا العدو المتجبر الذي هدفه الأول القضاء على الإسلام متذرعاً بحجته الواهية وهي القضاء على الإرهاب، وقبل هذا هدفه استعباد هذه الأطراف المتحاربة.

نعم، فهكذا يكون العلماء الربانيون الذين يحملون هم الأمة على أكتافهم، ولا يباليون إن قُتلوا في سبيل ذلك، بغضون الطرف عن جميع الخلافات ضمن الأسرة الواحدة إن أحاط بها أعداؤها، ويدعون إلى وحدة الصف وإلى التصالح ويحذرون من خطر ومكائد العدو.

لا كما يفعل البعض اليوم، يأتمرون بأمر أعدائهم (أمريكا وإسرائيل) ويطلبون منهم بتدليل أن يقفوا وقفة رجولة، وقفة لله، ويلوون أعناق النصوص الفقهية ليبرروا فعلهم السافل هذا، في سبيل ماذا؟ في سبيل تنفيذ أمر أسيادهم من العرب، الحاقدين الذين يريدون أن يشفوا غليلهم أولاً عندما وجدوا أن أحملاً لهم لم يمنع كخنوعهم فظفروا أمامه كالنعا فريدون قتله أو إذلاله، وفي سبيل أن يرضى عنهم اليهود والنصارى، ولن يرضوا عنهم!!!

منهجان اليوم يظهران على الساحة، منهج يدعو إلى الصلح ونبذ الخلافات الجانبية والوقوف صفاً واحداً في وجه العدو المشترك (اليهود ومن حالفهم)، ومنهج آخر لا يبالي بهذا ويدعو إلى الخراب والدمار والقتل في بلاد المسلمين وفيما بينهم باسم الجهاد ولو كان تحت راية أمريكا نفسها أو إسرائيل!!

فانظر بعد هذا أي منهج أقرب إلى الإسلام الحق، ثم اختره لنفسك واتبعه، وجهّز جواباً إن سألك ربك لماذا اتبعته...

ولا تلتفت إلى ما يقوله الناس عنك، فرب الناس أحق أن تلتفت إلى أمره.

بعد هذه المقدمة أترككم مع الكلمة، وهي موجهة إلى الجبنة في كل عصر، الذين يستأجرون جرأتهم على إخوانهم من أعدائهم، وهي بعنوان: الجبنة الذين يستأجرون الجرأة من أعدائهم

## الجبنة الذين استأجروا الجرأة من أعدائهم

هنيئاً للجبنة الذين استأجروا الجرأة على خصومهم من عدوهم المشترك!...

استأجروها بثمن باهظ، دفعوه من شرفهم وبقايا الصدق مع الله في إسلامهم!..

لا يعني من هم طالبان.. كما لا يعني من هم خصومهم الذين تضرب أمريكا طالبان بهم.. إنما الذي يعني أن الفئتين من المسلمين!..

تري أي إسلام بقي لأولئك الذين استأجروا الجرأة من أمريكا لينقصوا بها على إخوانهم المسلمين، ومعلوم أن الأجر الذي تطالب به أمريكا هو أن تغدو أفغانستان مرتعاً لها، وأن تستقر لها المهجنة التامة عليها وعلى ما حولها من ذخر وكنوز وخيرات.

يا أقطاب الشمال من مسلمي أفغانستان: هل شفيتم غليلكم بالتنكيل بأعدائكم مسلمي طالبان؟ وهل أطركم تصفيق أمريكا لهذا الذي استخدمتمكم من أجله؟

حسناً.. ولكن ماذا بعد أن شفيتم الغليل، ووصلتم إلى أقصى ما ابتغيتموه من هذا التنكيل؟

ألا ترون أنكم غدوتم عبيداً أذلاء لعدوكم المشترك؟.. أفيكم من يُطمئنُه الغباء إلى أن أمريكا لن تحمّلكم أبهظ الأثمان الدائمة، قيمة للجرأة التي منحتمكم إياها للقضاء على أعدائها الذين هم إخوانكم في الدين؟.. ألا تعلمون أن أعناقكم ستظل، ماحييتهم مثقلة بسيادتها الدائمة عليكم؟

ألم يكن أولى بكم أن تمدوا جسور الصلح مع إخوانكم الذين آخى الإسلام بينكم وبينهم، على الرغم مما بينكم من ماضي الدماء والثارات؟ ألم تكن الاستجابة لنداء الله (وأنتم مسلمون فيما تزعمون) أولى بكم من الاستجابة لنداء أمريكا؟

نداء الله قال: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...} [الحجرات: ٩/٤٩] فأعرضتم عنه وتناسيتموه، ونداء أمريكا قال لكم: بل اقتلوهم ونكّلوا بهم، بقوتي التي سأمدكم بها، فقبلتموه بالشكر والثناء!!..

كان من استجابتكم لنداء الله عزكم المصون، فأهدرتموه!..

وكان في استجابتكم لدعوة عدوكم ذلكم الذي لا محيد لكم عنه فاخترتموه!..

فاهنؤوا بالذل الذي ارتديتموه، مقابل الجرأة التي استأجرتموها.

والليالي حبلى.... والمزيد على الطريق.

## عندما يتحول الإسلام إلى أداة بيد السياسة - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠١٢/١٢/٧

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانتك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليته. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

قضى الله عز وجل في محكم تبيانه أن يكون موقع دينه من الأسرة الإنسانية موقع الأمر الحاكم القائد وأن يكون موقع الأسرة الإنسانية من دين الله عز وجل موقع المستجيب، موقع الخاضع لسلطان الله وأمره، لا يتحول عنه ولا يستبدل به غيره. تأملوا في بيان الله عز وجل في قرآنه الذي يخاطبنا به كيف يأمر مؤكداً أن نترك الأهواء المختلفة وأن نتحرر منها وأن ندخل في دين الله عز وجل خاضعين لسلطانه، منفذين لأوامره طوعاً وألا نخيد عن ذلك قط قولاً واحداً ولأي سبب من الأسباب. تأملوا في هذه الطائفة من بيان الله عز وجل الذي يخاطبنا به منفذاً ومنبهاً لهذه الحقيقة التي دكرت نفسي وذكركم بها:

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)

ينطقنا الله عز وجل بهذا العهد وبهذا العقد كما رأيتم. ويقول: (فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

ويؤكد هذا الأمر بطريقة أخرى فيقول: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)

ويقول مؤكداً لهذا الأمر: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ [أجل بما أراك الله] وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً)

ويقول: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

أرأيتم يا عباد الله إلى هذه الأوامر التي تجتمع على محور واحد ألا وهو توجيه الباري عز وجل أمره إلى عباده بأن يدخلوا في دين الله عز وجل طوعاً، وأن ينفذوا أحكامه التي خاطبهم بها وأوامره التي حذرهم عن الانحراف عنها، أرأيتم إلى هذه الآيات كيف تؤكد هذا الأمر الذي يخاطبنا به الله عز وجل. وانظروا إلى حياة الرعيل الأول من المسلمين كيف نفذوا هذا الأمر الرباني بدءاً من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوكه، ثم تأملوا ذلك في عصر الخلافة الراشدة، ثم تأملوا سير المسلمين على هذا النهج دون التواء ولا انحراف عنه في العصور التي خلت ذلك. انقادوا لأمر الله كما أمر، لم يبدلوا ولم يغيروا، التزموا بتنفيذ شرائع الله ولم يتنجس بهم أهواؤهم إلى البديل، لم يتنجس بهم رغائبهم إلى نسخ شرع أمر الله بما ليستبدلوا بها شرعة فرضتها عليهم نفوسهم وأهواؤهم قط، والوقت يضيق يا عباد الله عن ذكر الشواهد والأمثلة الناطقة بهذه الحقيقة، ولكن المفروض في حق كل مسلم أن يدرس حياة المسلمين في العصر الأول بل حياة الرعيل الأول من المسلمين لأنه المقياس الدائم للسير على صراط الله سبحانه وتعالى.

ولكن فما الذي آل إليه الأمر بعد ذلك، لقد خَلَفَ من بعد ذلك الرعيل خَلَفٌ في عصرنا الذي نعيش فيه، تأملنا ونظرنا في حال من -لا أقول في حال التائهين عن الإسلام، لا أقول في حال الشاردين عن صراط الله- بل أنظر في حال من يُسَمَّون اليوم بالإسلاميين -وهي تسمية لا عهد للتاريخ الإسلامي بها- الإسلاميين، أتأمل في حالهم وإذا بهم يتخذون الإسلام سلماً مهيناً ذليلاً للوصول إلى أمانيتهم وأغراضهم وسياساتهم، وقديماً قالوا: السياسة لا دين لها، أي السياسة التي لا ترتبط بمبدأ، حقاً لا دين لها، نظرنا فوجدنا هذا الخلف الذي جاء من بعد ذلك الرعيل الأول من الإسلاميين كما يعبرون عن أنفسهم، يتخذون من شرائع الله وأحكامه خادماً، وربما أقل من خادم لإيصالهم إلى مبتغياتهم السياسية المختلفة. كم وكم كانت هناك تصرفات سمعنا من هؤلاء الناس من يحكمون بأنها واجبة، ولا أريد أن

أسميهم، ونظر إلى هذه التصرفات اليوم وإذا بهم يعلنون بأنها أصبحت محرمة، كانت بالأمس واجبة ثم إنها غدت اليوم محرمة، وما تنزل وحي بذلك بالأمس ولا تنزل وحي في ذلك اليوم ولكنها السياسة اختلفت، الطريق الذي ينبغي أن يُسلك إلى المبتغى هو الذي اختلف. كم وكم سمعنا تراجم عن رجال بأعيانهم ولا نريد أن نسميهم نعتهم الإسلاميون بخير ما ينعت به أناس مسلمون ملتزمون صادقون مع الله وصادقون مع الأمة ونظرنا إليهم وإذا هم اليوم يحكمون عليهم بالكفر ويحكمون عليهم بالشروء الكلي عن صراط الله سبحانه وتعالى، وما نزل وحي عليهم بنعت أولئك الناس بالأمس وما نزل عليهم وحي مناقض اليوم عن نعتهم وصفاتهم اليوم، ولكنها السياسة اقتضت بالأمس الشاء عليهم واقتضت اليوم تكفيرهم. كم وكم أصغينا ونظرنا فوجدنا مظهراً للحماسة التي تبرز فيها رائحة الإخلاص لدين الله ضد هذا العدو المغتصب للأرض، المغتصب للحقوق والديار، الطارد للناس من بيوتهم وأوطانهم إسرائيل، سمعناهم يتداعون لقتال العدو المغتصب ورأيانهم يلحون على الأمة الإسلامية بضرورة التلاقي صفاً واحداً على قتال هذا العدو المغتصب، ونظرنا اليوم وإذا بهم يعلنون حلفاً خفياً أو معلناً مع هذا العدو المغتصب، وأصغينا السمع وانتظرنا أن نسمع منهم ما يذكرنا بموقفهم قبل سنوات ولكننا لم نسمع منهم إلا النقيض، أزيدكم أيها الإخوة أمتلة على كيفية التلاعب بشرع الله وأحكامه عندما اتخذ الإسلام سُلماً للسياسة، سبيلاً لبلوغ الأماني السياسية، ما أكثر الأحكام الشرعية التي أيد فيها الإسلاميون فقهاء الشريعة الإسلامية المجمعين على حرمة هذه التصرفات وبطلان هذه العقود، ونصغي السمع اليوم إلى موقفهم من هذه الفتاوى التي كانوا يؤيدون فيها فقهاء الشريعة الإسلامية بالحرمة والبطلان والتحذير وإذا هم اليوم يفتون بإباحتها، يفتون بجوازها، وتتساءل أعل هنالك دليلاً غاب عنكم بالأمس وعرفتموه اليوم ومن ثم غيرتم الحكم؟ لا. الحكم هو هو والدليل هو هو ولكن المصلحة السياسية هي التي اختلفت، كانت المصلحة السياسية تقتضي الانقياد لما يقوله الفقهاء في حكم هذه الأمور ولا أريد أن أذكرها، أما المصلحة السياسية اليوم فقد اقتضت خلاف ذلك.

أرأيتم إلى الفرق بين ذلك الرعيل الأول الذي انقاد مخلصاً لأوامر الله وشرائعه يضعون أهواءهم تحت أقدامهم في سبيل أن ينفذوا أمر الله وفي سبيل أن يرحلوا إلى الله وقد ابيضت وجوههم بتنفيذ أوامره، أنظرتهم إلى الفرق بين تصرف ذلك الرعيل وبين ما آل إليه الإسلام بين يدي كثيرٍ -ولا أقول كل- من يسمون الإسلاميين اليوم؟ ها أنتم ترون كيف يُتَّخَذُ سُلماً ذليلاً يوطأ درجة إثر درجة للبلوغ إلى الأماني السياسية.

عباد الله: أنا أريد من يحذر من الإسلام السياسي، ولكن فلتعلموا ما الذي نقصده بالإسلام السياسي؟ أقصد هذا، أولئك الذين أحالوا الإسلام إلى وسيلة، إلى خادم، إلى سُلْمٍ يُسْتَخْدَم للبلوغ إلى الأماني السياسية المتنوعة المختلفة، هذا ما أقصده بالإسلام السياسي الذي نحذر منه، أما الإسلام في حقيقته فيأمر وينهى، الإسلام يأمر بالسياسة السليمة الإنسانية التي بينها لنا الله في محكم تبيانه وشرحها لنا رسول الله في الصحيح من حديثه، نعم، لكن ما ينبغي أبداً أن ننزل الإسلام من عليائه لنجعله خادماً لأمانينا وخادماً لأهدافنا وأحلامنا السياسية.

قلت مرة لواحدٍ من هؤلاء القياديين هذا الكلام الذي أقوله لكم فاعتذر بأن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يمكن أن يتم إلا بعد بلوغ الحكم وبعد الإمساك بنواصي الحكم، وعندما نصل إلى الحكم ونمسك بزمامه فإننا بوسعنا عندئذٍ بكل سهولة أن نطبق الإسلام. أرأيتم إلى هذا الفخ الذي هو أخطر من الغلطة التي أحدثكم عنها، يتصور هؤلاء الإخوة أن شأن الإسلام وتنفيذه كشأن المذاهب السياسية عندما يسعى السياسيون إلى تنفيذها، أناس يتبنون الاشتراكية ينفذونها عندما يصلون إلى الحكم، ليبراليون ينفذون ليبراليتهم عندما يصلون إلى الحكم دون البحث عن اقتنع وعمن لم يقتنع، هل الإسلام هكذا؟ قلت: يا هذا الإسلام معتقد يسري إلى العقل عن طريق العلم، ثم هو حب يسري إلى الفؤاد تعظيماً لحرمت الله وحباً له ومخافة ومهابة منه عندئذٍ يطبق الإسلام شئت أم أبيت، وإنما سبيل ذلك أن تخوض مخاضة الدعوة إلى الله عز وجل بين الناس على الأرض لا أن تتبغى محادثتهم على كرسي الحكم، الإسلام يأمر أن تطمع

**بعقل الحكام والملوك لا أن تطمع بكراسيهم.** بالأمس - قبل سنوات - وصلت ثلة كبرى إلى الحكم في بلدة مجاورة في جنوب سوريا ولا أسميها وبقيت هذه الثلة الإسلامية في الحكم قرابة عامين ونيف فماذا فعلت؟ لم يتأتى لها أن تطبق من الإسلام شروى نقيراً، بقي الأمر كما كان من قبل، حاولوا فلم يجدوا آذاناً صاغية، لماذا؟ لأن هؤلاء الإسلاميين شغلوا أنفسهم وبددوا وقتهم بالسعي إلى الكراسي ولم يلتفتوا إلى الدعوة إلى الله، لم يحاوروا عباد الله، لم يحاولوا أن يدخلوا محبة الله عز وجل في القلوب، وصلوا إلى الحكم والناس كما هم فأنى لهم أن يصلوا إلى ما يبتغون؟! هذه الحقيقة أقولها اليوم لكي تبلغ آذان كل من يتمتع بمجدوة من الإخلاص لدين الله عز وجل لعلهم يراعون، يا هؤلاء الناس ألا ترون إلى العبرة التي ينبغي أن تقطف من هذا الذي ذكرته لكم من هذه الآيات التي تبين لنا المنهج الذي ينبغي أن يسلكه عباد الله للدعوة إلى دين الله ولتنفيذ أوامره، ها هي ذي الفتنة المدلّمة تقوم ولا تقعد، تحرق ولا تطفى، في هذه الدولة الإسلامية الكبرى التي كنا ولا نزال نعتز بها، ما الذي حصل؟ الذي حصل أن الإسلاميين تنكبوا الطريق إلى تطبيق الإسلام، تنكبوا الطريق إلى تنفيذ شريعة الله عز وجل، شريعة الله ليست مذهباً ليبرالياً يطبق سياسياً شاء الناس أم أبوا، شريعة الله دعوة إلى الله عز وجل.

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣].

هذه هي الطريقة التي ينبغي أن نسلكها، الوقت لم ينضب بعد، لعل هؤلاء الإخوة يعودون إلى رشدهم، ولعلهم ينزلون عن هذه الأبراج التي كانوا يلمون بالوصول إليها، ولعلهم يلتفتون يميناً وشمالاً فيرون أنها ليست هي التي أمر الله بأن يبلغوها وأن يصلوا إليها فينزلوا إلى حيث الأمة، إلى حيث عقول الناس، والناس فطرتهم قائمة متيقظة ومستيقظة ولا يحتاجون إلا لمن يحاور ويدكر، أياً كان هؤلاء الناس، أين هم الذين يجلسون مع التائهين ليحاوروهم ويدعوهم إلى حمى الله، أين هم الذين يلاحقون الفسقة ليجلسوا إليهم ويحاوروهم بمنطق الحب، منطق الغيرة كما فعل أصحاب رسول الله، كما فعل التابعون، كما فعل أولئك الذين تغربوا في مجاهل أوروبا، أين هؤلاء الذين يسرون طبق النهج أمر به الله عز وجل، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

أيها الإخوة: كلمات تتبع من قلب محترق أوجهها إلى إخوة لنا في الدين أو في الإنسانية آملاً أن تبلغهم حرقة كلماتي وأن تنفذ من آذانهم إلى قلوبهم: يا هؤلاء الناس راجعوا إيمانكم بالله عز وجل إن كانت له بقية بين جوانحك، راجعوا نبضات إنسانيتكم إن كانت موجودة في كياناتكم، لا تستثمروا بؤس عباد الله عز وجل في هذه المرحلة الخطيرة التي نمر بها لتملؤوا عن طريق بؤسهم جيوبكم، لا تستثمروا جوع عباد الله عز وجل الذين يبحثون لأنفسهم ولأطفالهم عن لقمة من طعام يحاولون أن يتخلصوا بها من خطر البلاء، من خطر الهلاك، لا تجعلوا من حالهم هذا أداة لاستثمار مزيد من المال في جيوبكم. ما أغرب وما أشنع وما أخط شأن من يريد أن يلتهم ما في الأفران من طعام وخبز ليذهب فيتاجر به على حساب من، على حساب الجياع الذين يأمنون أن يعودوا إلى بيوتهم بشيء من هذا الطعام ولكنهم يعودون صفر اليدين بسبب هؤلاء الناس. عجيب أمركم أيها الإخوة، إذا غاضت مشاعر الدين عن كيانتكم أفاضت المشاعر الإنسانية أيضاً، إذا ضاقت عليكم السبل أن تستغلوا جوع الناس، فقرهم، بؤسهم فيما يتعلق باستلاب لقمة الطعام من أفواههم فإنكم تتجهون إلى الوقود وأسبابه، وماذا أقول؟ كلكم يعلم أيها الإخوة ما يفعل هؤلاء الإخوة، تحيلون هذه المادة الموجودة التي تعترض الدولة بما كل إمكاناتها في سبيل تقديم ما أمكن منها إلى الناس جميعاً وإذا بثلة من الناس يصرون على أن يجعلوا منها أداة لسوق سوداء، وهكذا تكون الإنسانية يا هؤلاء الناس! دعوني أقل لكم إن عيني لا تصدقان أن الذين يفعلون هذا بشرٌ يمشون على الأرض، أنا لا أريد أن أقارن بين مسلمين يزعمون أنهم يؤمنون بالله وبين أناس لا يعرفون الدين قط، لا يعرفون لا الإسلام ولا الكتابية ولكن مشاعرهم الإنسانية الغضة مستيقظة حاكمة لهم بل عليهم، لا أريد أن أقارن. أيها الإخوة في كل يوم أسمع من هذا القبيل شيئاً يدمي القلب، وإني لأتساءل أفيرضى هؤلاء الإخوة أن يتجرعوا طعاماً يأخذونه من أفواه الجياع؟! والله الذي لا إله إلا هو إن السم النافع لأقل ضرراً من هذا الطعام. ألا فليعلم هؤلاء الإخوة أن واجبنا في هذا الصدد أن نضحى بما في جيوبنا لنقدمه للمحتاجين لا أن نضحى باللحمة التي تدنو من أفواههم لنأكلها بدلاً منهم.

## إنهم يصرون على خنق الإسلام بحبال الجهاد - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠١٣/١/٤

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

لا يشك أحد في أن هذه الفتنة التي تمر بها سورية تنطوي على مصائب شنيعة مرعبة ليس في دنيا الإنسانية جمعاء من يقرها. من الذي يصدق أنه سيأتي يومٌ على سورية يُهَجَّرُ فيه الناس من بيوتهم ومساكنهم أو مُحَرَّقٌ بهم وتُهَدَّمُ عليهم؟! من الذي يصدق أنه سيأتي يوم من أيام الزمن تتلاقى فيه أيدي الإجرام آتيةً من جنابات الأرض جمعاء لتجتث كل نعمة وتترزع كل مفسدة ولتقضي على كل صلاح ولتحرق النسل والزرع ولتتعقب أنابيب الغاز والنفط فتفجر هذه وهذه وتلك وتتعبق مولدات النور والكهرباء فتدمرها جهد الاستطاعة؟ من الذي كان يصدق أن يمر مثل هذا اليوم على هذه البلدة؟! من الذي يصدق أن يوماً سيأتي تُحْمَلُ فيه العين المبصرة على أن ترى من المرعبات ما لم تُخْلَقْ الأعين لرؤيتها، تُحْمَلُ على رؤية الأطفال الذي يُقْتَلون في أحضان أهليهم أو في مدارسهم، تُحْمَلُ على رؤية البراء الذين يُدْبَحون ذبح النعاج، تُحْمَلُ هذه العين على رؤية الناس الذين يُقَدَّفُ بهم من قسم الأبنية الباسقة، تُحْمَلُ هذه العين على رؤية النساء اللاتي يُغتصبن ثم يُتَّكَلَنَ ويضَعَّنَ؟ من الذي كان يتصور أن سوريا هذه البلدة الآمنة التي توزع الأمن والسلم على جيرانها يمر بها مثل هذا اليوم العاصف، وفيه ولماذا وتحت أي غطاء قانوني يجري كل ذلك؟! كل ذلك يجري ويتم تحت غطاء قانون واحد لا ثاني له ألا وهو قانون الحقد الذي من شأنه أن يشرعن كل ممكن في سبيل تحقيق كل مطلوب. هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن نعلمها أولاً.

ولكني أريد يا عباد الله أن ألفت أنظاركم إلى مصيبة أدهى وأعتى وأخطر من هذه المصائب التي استعرضت جانباً منها لكم، إنها مصيبة محاربة الإسلام بطريقة حديثة لا عهد للتاريخ بها من قبل قط، إنها الصورة التي بوسع كل منا أن يراها إذ يُحمل الإسلام على أن ينحر نفسه بيده، يُحمل الإسلام بهذه الطريقة العجيبة على أن ينحر ذاته بيده، يُحارب الإسلام بسلاحه، بسلاح الإسلام ذاته. ألا ترون كيف أن كل تلك الجرائم تُستهك وتُرتكب تحت اسم الجهاد، تحت اسم طرق باب الجنة للدخول إليها من وراء هذه الجنايات؟، ألا ترون يا عباد الله إلى هؤلاء الذين تجمعوا فوق هذه الأرض المباركة من أطراف الدنيا كلها كيف يضعون كتاب الله وشرائعه تحت أقدامهم -ومعذرة لشعائر الدين إن قلت هذا الكلام تعبيراً عن الواقع- أجل يضعون كتاب الله وشرائعه تحت أقدامهم ثم إنهم يرسمون شهادة الإسلام استخفافاً على جباههم؟، ألا ترون هذا يا عباد الله، هل من فرق بين هذه الظاهرة التي نراها وبين من يعكف على شرب الخمره يحتسي منها الكأس إثر الكأس مصراً على ألا يزدرد الشربة الواحدة منها إلا ذاكراً اسم الله بالتكبير والحمد والبسملة؟، هل من فرق بين هذه الظاهرة التي يُستخف بها الإسلام ويُستهزأ بطريقة ما مثلها، هل من فرق بينها وبين من يقدم على الفاحشة جهاراً تهاوراً ثم يصبر على ألا يرتكبها إلا مكبراً، إلا ذاكراً اسم الله سبحانه وتعالى؟!.

لقد مرَّ بخاطري الشيء الكبير والكثير وأنا أقرأ في تاريخ العالم، مرَّ الكثير من صور الهزء، من صور السخرية، ولكني لم أعهد مثل هذه الصورة قط يا عباد الله. باسم الإسلام يمزق الإسلام، باسم الجهاد في سبيل الله تُمزق شرعة الجهاد التي نقرؤها في كتاب الله سبحانه وتعالى. باسم تحقيق الإسلام والسعي إلى تنفيذه يُخلق أسباب الكراهية، أسباب التذمر من الإسلام عند كثير من الناس. ها هي ذي النتائج الأولى تبدو أمام أبصارنا جليلة، ها هم أولاء الذين كانوا إلى أمس القريب يبحثون عن حجج لعلمانيتهم التي يصرون على رفع لوائها، كانوا إلى أمس القريب يبحثون عن الحجج لرفع لواء لا دينيتهم التي يسعون إلى تنفيذها فما كانوا يعثرون، إنهم اليوم يفرحون ولا فرح من عثر على كنز كان قد افتقده ثم رآه على حين غرة. نعم لقد اتسعت أمامهم ميادين الأنشطة المختلفة سعياً إلى فرض اللادينية في مجتمعاتنا الإسلامية، لقد أمسكوا بالمبرر إثر المبرر من أجل أن يجدوا المبررات لغرس راية العلمانية في مجتمعاتنا الإسلامية، أفكان يعثرون على شيء

من ذلك لولا هؤلاء الذي وفدوا إلينا أو أوفدوا إلينا من أقطار العالم ووقفوا على مسرح الأحداث على مرأى من العالم كله يحكمون على الإسلام بأن ينحر نفسه بيده، يحكمون على الإسلام بأن ينحر ذاته بسلاحه؟، ألا ترون؟، أليس هذا هو الذي يجري يا عباد الله؟!

الجهاد في الإسلام، قرأنا في كتب الشريعة الإسلامية وأصغينا لإدراكه ومعرفته إلى كتاب الله وتدبرنا بعد ذلك ما يقوله رسول الله فلا والله لم نجد الجهاد الذي شرعه الله عز وجل إلا سعيًا بالمسلم إلى قمة العمل الإنساني، لم نجد فيه إلا السلم الذي يرقى بالإنسان إلى قمة العدالة، لا بل إلى قمة الرحمة بالإنسانية جمعاء. الجهاد الإسلامي يبيح ارتكاب الفاحشة!؟ الجهاد الإسلامي يرر نهب الأرزاق والثروات من البراء المسلمين الأمنيين المؤمنين!؟ الجهاد في الإسلام يرر استلاب اللقمة من أفواه أصحابها الجائعين!؟ الجهاد يرر تفجير كل منابع الرزق الذي سخره الله عز وجل لعباده فوق هذه الأرض!؟ الجهاد يرر السعي إلى نقيض ما يأمر به الله عز وجل إذ يقول:

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا).

الجهاد يقول على لسان أصحابه: لا بل سنفسد كل ما هو صالح ونقضي على كل ما هو صالح! من الذي يقول هذا؟! ولكن ها هم أولاء الذين ينشدون اللادينية يعتقدون لقاءهم هنا وهنا وكأن لسان الحال يقول لهم: هذه هي الفرصة التي قد لا تعود، لقد فُسخ أماننا الطريق ولقد تلقينا الإشارة التي تعلن أن ساعة الصفر قد جاءت لمحاربة الإسلام ولغرض اللادينية في هذه المجتمعات، ألا ترون؟! ولكن هل هنالك ما يجعل الإنسان العاقل المتدبر وإن الإسلام ليدعو إلى العقلانية قبل العلم، كم عالم أحقق أوداه علمه إلى سوء المصير. الإسلام يررينا على أن نعقل الأشياء ثم نتوجه بالعلم. ما من عاقل إلا ويعلم أن الطريق إلى الإسلام لا يمر عبر البيت الأمريكي، ما من عاقل إلا ويعلم أن السير إلى الإسلام لا يمر عبر تل أبيب، ما من عاقل إلا ويعلم أن نظام السعي إلى الإسلام لا يخطئه برنارد ليفي، ما من عاقل إلا ويعلم هذا وإسلامنا يررينا على العقلانية، إسلامنا يررينا على أن نعلم الحقائق ومصادرها، إسلامنا يررينا على ألا نُخدع ولا نُخدع، إسلامنا يقول لنا ما كان يقوله عمر: "لست بالخب ولا الخب يخدعني".

نعم، كل هذا الذي نراه من المصائب المتنوعة المختلفة يهدف إلى شيء أساسي واحد لا ثاني له ألا وهو امتلاخ الإسلام من تربة الإسلام بعد مكة والمدينة، نعم، هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن نعلمها يا عباد الله. أقول هذا ولكني لا أخفي ما جعله الله عز وجل بشرى راسخة ثابتة بين جوانحي ولا يمكن أن يأتي يوم أو تأتي ساعة أشك فيها بهذه البشارة التي أكرمني الله عز وجل بها: إن هذه الفتنة ستمر وتنتهي عما قريب، وسوف تتحول إلى أثر بعد عين، وسوف يلهج الناس بذكرياتها من أجل أن يلتقطوا منها العبرة والدرس، فحذار حذار يا عباد الله أن تحملكم فرحة الخروج من هذه المصيبة إلى سكرة النفس، إلى سكرة تحجبكم عن نعمة الله، تحجبكم عن الشكر لله سبحانه وتعالى. حذار، أقولها لنفسي، وأقولها لقيادة هذه الأمة، وأقولها لسائر القائمين بأمرها، وأقولها للجيش الذي ينهض بما أمر الله عز وجل به، حذار أن تسركم النعمة فتنسوا شكر المنعم، عاهدوا الله، جددوا البيعة معه على أن تكونوا عبيداً سائرين على صراطه ملتزمين بأمره على النهج الذي رسم لا على النهج الذي يمر بتل أبيب، عاهدوا الله سبحانه وتعالى على أن تكونوا رقباء على بيوتكم، على أسواقكم، على مجتمعاتكم ألا يشرد هذا المجتمع يوماً واحداً عن صراط الله سبحانه وتعالى، عاهدوا الله من الآن، قولوا له بألسنة أحوالكم وبألسنة أفواهكم، قولوا: ها نحن منذ الآن نعاهدك على أن نسير على الصراط الذي أمرت، وها نحن من الآن نستغفرك من الشرود الذي وقعنا فيه، نحن عبادك الضعفاء ولكننا اليوم نعود إلى صراطك وها نحن نعود إلى هديك، هذا ما ينبغي أن تعاهدوا الله عليه، وسوف نتلاقى لتذكر هذه الحقيقة، المصيبة ستمر والذين حاولوا أن يصطادوا عن طريقها بالماء العكر لن ينالوا من وراء ذلك شيئاً، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

## هذا ما قلته في مهرجان الإمام عليّ كرم الله وجهه - د. محمد سعيد رمضان البوطي: ١٩٩١

(هذه الكلمة ألقاها الدكتور البوطي رحمه الله في مهرجان الإمام عليّ كرم الله وجهه عام ١٩٩١ في لندن).

أيها السادة: أجدني اليوم، بعد أن أصغينا معاً إلى المحاضرات التي ألقيت بالأمس، مضطراً إلى أن أفاجئكم بطبي موضوعي الذي أعدته وكتبته، بعيداً عن مسألة الغدير والشيعية، ذلك لأني لن أجد متسعاً له في أذهانكم اليوم، لا سيما أنا قد استمعنا البارحة، فيما استمعنا، إلى محاضرتين بلغتا الأوج في الأهمية والموضوعية؛ أولاهما لسماحة الشيخ محمد بحر العلوم، والثانية لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين. وإن بوسعكم أن تعلموا أن كلمتي التي سأرتجلها الآن، لن تكون في مجملها أكثر من توقيع على الأفكار الرائعة التي وُضعت فيها النقاط على الحروف من هذين الباحثين الجليلين.

غير أن توقيعِي هذا لن يكون مجرد كلمة تخط على ورق، وإنما هو بيان وتعليق وتعميق للمعاني التي أصغينا إليها.

لقد كانت كلمة سماحة الأستاذ الجليل الشيخ محمد مهدي شمس الدين، من الموضوعية والدقة، بحيث تناسى الرجل انتماءه المذهبي وصعد إلى أعلى درجات الصفاء الإسلامي، واستطاع من هذا المنطلق ومن ذلك التحليق أن يضعنا أمام فكر موضوعي رائع.

أفليس من الحق ومن مقتضيات العدل أن يقوم باحث مثلي، ربما كان ينتمي إلى مذهب مقابل، فيقف الموقف ذاته، ويذهب مذهب الأستاذ الجليل في هذه الموضوعية، بحيث يتخلى هو الآخر عن مذهبيته وانتمائه، ليلتقي معه في قمة الصفاء الإسلامي، وعلى أساس من الحقيقة الإسلامية ذات الجذور الواحدة والموحدة؟

هذا ما قد شعرت بضرورته. وهذا ما ندبت نفسي إليه، وأسأل الله تعالى التوفيق.

لا شك أيها الإخوة، أن وحدة الأمة أساس مقدس، بل لعله أقدس أساس. بل إني لا أعتقد أن الإسلام جاء لتحقيق هدف من الأهداف، أجلّ وأخطر من تحقيق وحدة الأسرة الإنسانية.. إن الإسلام جاء ليوحد الأمم والقبائل والشعوب الإنسانية المتفرقة.

وإني لأتصور أنه كلما كان سلوك المسلمين وتوجهاتهم الإسلامية محققين لهذه الغاية فإن سلوكهم سليم وصحيح. وكلما كانت أنشطتهم الإسلامية تسير في نقيض هذا الطريق، وتبعثهم على التفرق والشتات فإن سلوكهم منحرف وغير صحيح.

وإني لا أزال أتساءل: أيعقل أن يكون الإسلام الذي وُحّد، بالأمس، القبائل المتخاصمة والمتعادية، هو بذاته الإسلام الذي يفرق ويشتت، اليوم، الأمة المتضامنة الواحدة؟..! إني لا أستطيع أن أتصور أن هذا الإسلام الذي نمارسه اليوم هو ذاته الذي مارسه سلفنا وأجدادنا بالأمس!..

وحدة الأمة، هي القطب الذي تدور عليه رحى الإسلام أجمع.. إذن ينبغي أن ننطلق من هذا الأساس.

أما ما يتعلق بأصول الإسلام ومبادئه الكلية التي لاخلاف فيها اليوم، ولم يقع فيها أي خلاف بالأمس، فلا نتوقف عند شيء منها، بل لا يوجد أي إشكال فيها.

ولكن الحديث هنا ينبغي أن يتناول الغدير - حديث الغدير - وما تفرع عنه، والمشكلات التي صورها لنا كل من الأستاذين الجليلين بالأمس.. هذه المشكلات كيف يمكن حلّها، وقد علمنا أن أقدس ما جاء الإسلام لتحقيقه إنما هو وحدة الأمة؟

ولحسن الحظ، كلنا متفقون والله الحمد على هذا الهدف الأقدس. فأنا ما سمعت فيما سمعت بالأمس، وقيل بالأمس، شيئاً من الكلمات والتدخلات، إلا ولاحظت أن المتحدث ينشد الوحدة الإسلامية، ويهتف بها، ويطلق الزفرات المتتالية لابتعادنا عنها.

إلا أننا عندما نسير في خطواتنا العملية، ابتغاء تحقيق الإسلام، نجد أن هذا الهدف قد تبخر، ونجد أنفسنا عاجزين عن القبض عليه بأي شكل من الأشكال. ولعل لذلك سبباً.. بل لا بدّ أن له سبباً..!

هذا السبب لفت القرآن الكريم نظرنا إليه، وهو حقيقة علمية منطقية هندسية معروفة.. أنا لكي أرسم دائرة هندسية متكاملة، لا بد أن أضع يدي قبل ذلك على المحور الثابت.. إن المحور هو الذي يوجد الدائرة التي تتكامل من حوله. فإذا لم أستطع أن أثبت يدي على المحور الداخلي، فهيهات أن أستطيع إدارة خط متكامل يعبر عن الوحدة..!

فما هو المحور الذي يلمّ الشعث؟ ما المحور الذي يوجد الدائرة؟

لقد أحاب القرآن الكريم عن هذا السؤال عندما قال: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}. لم يقل: لا تفرقوا، بادئ ذي بدء. ولو بدأ فقال: لا تفرقوا، أو اتحدوا، لما استطاع الناس إلى ذلك سبيلاً، ولما استطاع المنطق أن ينجدهم في تحقيق هذا الأمر.

ولكن البيان الإلهي قال قبل كل شيء: **واعتصموا بحبل الله.. أي أمرهم بوضع المحور، حتى إذا استجابوا لهذا الأمر واعتصموا بحبل الله، أتيج لهم بعد ذلك أن يحققوا الوحدة التي ندبهم إليها.**

ونحن اليوم بحاجة إلى أن نلمس المحور الذي يعيد وحدتنا إلى بنائها الحقيقي القائم.. فما هو هذا المحور في موضوعنا اليوم.. موضوع الغدير وما يتفرّع عنه؟

أعتقد أن المحور هنا يتكون من حقيقتين اثنتين: **أولاهما حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثانيهما الاقتداء بآل بيت رسول الله الذين يجب أن نحبهم.**

أما الحب، فأنا أتلمس مكانه في نفسي ونفس كل إنسان صادق في إسلامه، فلا أجد في هذا أي فرق بين مسلم ومسلم.. مندا الذي لا يفيض قلبه حباً لعلني رضي الله عنه وكرم الله وجهه وعليه السلام؟!.. مندا الذي صدق في إسلامه ثم لم يفيض قلبه حباً لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!.

وإنني لأعتقد أن الإمام الشافعي إنما كان يعبر عن مشاعر كل المسلمين عندما قال:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

بل إنني لأعتقد أن كل ذي شعور صادق في محبة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام لا بدّ أن يردد مع البوصيري أبياته هذه:

آل بيت النبي طبتم فطاب ال ... مدح لي فيكم وطاب الرثاء

أنا حسان مدحك فإذا نح ... ت عليكم فإنني الخنساء

سدمت الناس بالتقى وسواكم .. سوّدته البيضاء والصفراء

فابكهم ما استطعت إن قليلاً .. في عظيم من المصاب البكاء

غير أنني فوضت أمري إلى الله... ه وتفويضني الأمور براء

وعندما شرفني الله لأول مرة بالحج إلى بيته الحرام، ثم بزيارة مشوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخلت البقيع، ووجدتني مندجماً مع إخوة جاؤوا من إيران يزورون قبور آل البيت.. وقفت معهم، واندججت في جمعهم، وأصغيت إلى أبيات فارسية من الرثاء لهم -وأنا أفهم شيئاً من الفارسية- تأثرت كما تأثروا، وبكيت كما بكوا، واندججت معهم في شعور هو معين من معين الإسلام، وغصن من جذع دين الله عز وجل.

هذه الحقيقة القائمة الكبرى، أتلمس مكاناً فيها لمذهب دون مذهب، أو لخلاف بين فئة وفئة من المسلمين، فلا أجد.

الحقيقة الثانية في هذا الحور، هي الاقتداء بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونحن نعلم أن من أبرز وأهم وأبسط ثمرات الحب الاقتداء بالمحجوب؛ إن المحب لمن يحب مطيع.. إنني أنظر إلى هذه الحقيقة الثابتة؛ وأحاسب نفسي، وأحاسب كل مسلم، بقطع النظر عن مذهبه ونوع انتمائه، فلا أجد مسلماً صادقاً مع الله إلا وهو مقتد في سلوكه ومشاعره بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وولله الذي لا إله إلا هو، لو أن علياً كرم الله وجهه اتخذ يوم السقيفة موقفاً مستقلاً، أو اتخذ يوم استخلاف أبي بكر لعمر موقفاً مستقلاً، أو يوم الشورى التي بويع على أعقابها لعثمان موقفاً مستقلاً، إذن لتركنا كل نهج واتبعنا نهج علي..!

ولكن نظرنا فوجدنا هذا الإمام الجليل اندمج في فكره وسلوكه مع الكلمة الجامعة.. مع النهج الإسلامي العام.. فكان لا بد أن يقودنا الحب إلى الاقتداء به وإلى سلوك النهج الذي سلكه.

وأنا لا أذهب في تحليلي لهذا الموقف إلى أكثر من هذا الكلام. حسبي أن أجد علياً رضي الله عنه سار في هذا المنحى لأتبعه.. أنا مسلم، ولا داعي إلى أن أحلل وأن أتساءل.. ليست لي مصلحة في أن أضعف حديث الغدير، وليست لي أي مصلحة في أن أوول، أو أن أبتعد في الكلام عن ظاهره.. يعني عن ذلك كله أن أجعل من سيدنا علي رائي في تفسير الحديث، بل في تفسير هذا الأمر كله.

وآية هذا الذي أقول.. آية هذا الاقتداء الذي أشعر بضرورته.. وأشعر أن إيماني ينقص وربما يتزلزل ويضطرب، إن لم يتحقق هذا الاقتداء بآل بيت رسول الله، آية ذلك: أن علياً رضي الله عنه عندما اتخذ موقفاً صريحاً من معاوية أيام الفتنة، بعد مقتل عثمان، وكتب إليه الرسائل.. وأعلن أنه -أي معاوية- منحرف عن الخط، خارج عن النهج، اتجه جمهور المسلمين إلى ما اتجه إليه علي.. ولعلكم جميعاً تعلمون أن جمهور الفقهاء يقررون أن علياً هو صاحب الولاية والخلافة بعد عثمان، وأن صف معاوية يشكل البغي.. قرأنا هذا في كتب الشريعة الإسلامية؛ هذا هو رأي الإمام الشافعي، وهو رأي الإمام أبي حنيفة.. وهذا هو رأي الجمهور. (على الهامش: البغي هو الخروج على إمام المسلمين أو التمرد على شرعية حكمه، بموجب تأويل اجتهادي من الباغي، وعلى الرغم من أن إمام المسلمين يملك صدّه ومقاتلته اعتماداً منه على اجتهاده المقابل، فإن الباغي لا يكفر ولا يفسق لمجرد بغيه).

أين يكمن الخلاف إذن أيها الإخوة؟

يكمن الخلاف فيما شجر بين المسلمين من بعد.. هذا ما أتصوره.

يكمن الخلاف في سلسلة الخلافة التي رأى الإخوة الشيعة أنها ينبغي أن تكون محصورة في سلالة علي رضي الله عنه، إلى عهد الإمام الثاني عشر الذي احتفى كما يقرر الإخوة الشيعة.

تلك هي منطقة الخلاف وحدودها في هذه المسألة.

وأنا أقول: إنها مسألة اجتهادية.. مسألة اجتهادية مجردة. جمهور المسلمين يرون أن حديث الغدير وما يتفرع عنه وما قد يوحي به، إنما يتعلق ذلك كله بشخص علي رضي الله عنه دون غيره.. وإنما على المسلمين أن يجتهدوا ويتفقوا بعد ذلك على اختيار من يشاؤون. (على الهامش: على أن علياً رضي الله عنه لم يفسر حديث الغدير كما فسره الإخوة الشيعة، أي لم يفسر كلمة (.. فإن علياً مولاه) بالخلافه السياسية من بعده، إذ لو كان هذا تفسيرها في اجتهاده، لأعلن ذلك يوم السقيفة ودعا إلى هذا الحق لنفسه محتجاً بهذا الحديث، ولا اتخذ الموقف ذاته الذي اتخذه من معاوية بعد مقتل عثمان)

أما إخواننا الشيعة فيرون أن حديث الغدير يشير إلى إمامة عليّ أولاً، ثم تمتد الإشارة منه إلى آل بيته حتى غياب الإمام الثاني عشر ثانياً..

هذه المرحلة، أياً كانت أهمية الخلاف فيها، تجاوزناها.. طويت.. غدت تاريخاً مضي.. واليوم نحن نسير في الفترة التي يغيب فيها الإمام المنتظر في اعتقاد الإخوة الشيعة، أقول لكم بحق.. أقول عن نفسي وعن كل مسلم: عندما يحين ظهور هذا الإمام الغائب، وعندما يظهر فعلاً، لن يكون هناك أي لبس على ظهوره، ولن يكون هناك أي ضباب أو اضطراب يغشي علي شخصيته، وعندما يحين ذلك الميعاد فسوف تجدون أن المسلمين جميعاً قد غدوا مذهباً واحداً وأنهم جميعاً يقدمون الولاء لهذا الإمام ويتقدمون بالبيعة له..!

هذا بالنسبة إلى المستقبل المنظور.. وذلك بالنسبة إلى الماضي منذ وفاة رسول الله إلى أواخر الخلافة الراشدة، لا يوجد هنا أو هناك أي خلاف قط.

رقعة الخلاف تتمثل فيما بين ذلك.. أما ما عداها فلا أجد موضوعاً لأي خلاف.

لا أجد مادة أستطيع أن أضع يدي عليها لأعثر فيها على ينبوع خلاف أو سبب فرقة قط. وأعتقد أن هذا المعنى مائل أمام الأبصار والبصائر جميعاً، ومن ثم فهو يكفينا مؤونة الخوض في تفاسير قد تتفرع عنها اجتهادات خلافية شتى، هذا الحل يكفينا مؤونة تأويل لسنا بصدده ولسنا بحاجة إليه قط. ثم إن هذا واقع.. واقع نلمسه ونعيشه.

إذن.. أين بقي الإشكال الخفي؟

اسمحوا لي، أيها الأخوة، أن أقول بصراحة، وأن أستظل بصراحة الكلمات التي أصغينا إليها بالأمس: إن الذي كان ولا يزال يفرق بين المسلمين إنما هو العصبية العصبية والأهواء..!! عندما ينسى الإنسان أن المذهب خادم للمبدأ، يضحى بالمبدأ في سبيل المذهب. وتلك هي ثمرة العصبية الخطيرة في حياة المسلمين، بل في حياة الجماعات الإسلامية كافة. ولو أن الناس، أو لو أن المسلمين بالأحرى، تبتها إلى أن المذهب لا يبرر وجوده إلا أن يكون خادماً للمبدأ المتفق عليه، لحركوا المذهب كما يقتضي المبدأ، ولسيروا الفروع كما تقتضي الجذور.. ولتحررنا عندئذ من عصبياتنا، ولتحررنا من أهوائنا.

وأنا أقول هذا الكلام انطلاقاً من النظر إلى نفسي.. انطلاقاً مما أثبتناه في بعض الأحيان من آراء واجتهادات. إنني عندما أنسى في كثير من الأحيان أنني مشدود إلى مبدأ وأني مكلف برعاية هذا المبدأ -والإنسان بشر- أجد حافزاً خفياً بين جوانحي وقوياً يدفعني إلى أن أنتصر للفكرة التي ناديت بها، وأشعر أنها قد غدت جزءاً من شخصيتي وكياني، بل أشعر أنني من منطلق الدفاع عن شخصيتي أدافع عن هذه الفكرة. ولكنني أعود فأذكر المبدأ الذي شديني الله إليه.

وأنا لا أزال أذكر -أيها الإخوة- كلمة أترت في نفسي تأثيراً عميقاً، سمعتها من سماحة الأستاذ محمد مهدي شمس الدين في أحد المؤتمرات التي عقدت في الجزائر، عندما قال: "مهما كانت اجتهاداتنا وآراؤنا، فيجب ألا ننسى أن علينا أن نتمسك بحجة سنمضي بها إلى اللّيتان يوم القيامة وسيسألنا الله عنها"، وقد كررها البارحة.. ألا فلنعلم أنها العمود الفقري في حل كل مشكلة ومعضلة.. نحن سائرون إلى نهاية. ونهايتنا وقفة بين يدي الله سبحانه وتعالى. وأمام ذلك المصير ستذوب عصبياتنا، وتمحى انتماءاتنا.. ولسوف ننسى ما كنا ندافع عنه، ربما، من

أهواء ورغبات وشهوات، ونجدنا أمام الحقيقة العارية التي نُدبنا في هذه الحياة إلى الدفاع عنها والتمسك بها. فماذا نحن قائلون؟ وبأي منطق ندافع آنذاك عن مواقفنا اليوم؟

إنني أحب لنفسي، كلما تبيّنت رأياً، أن أضع نفسي من هذا الرأي أمام مقياس.. ومقياسي هو ذلك المصير.. ترى هل أستطيع أن أدافع عن رأبي هذا أمام الله؟.. هل أستطيع أن أمسك بحجة يقبلها الله مني، سواء كانت هذه الحجة تعتمد على أجرين من اجتهاد مصيب أو على أجر واحد من اجتهاد مخطئ؟..

أنا ما قرأت مرة شيئاً من ترجمة الإمام علي إلا وثار بين جوانحي شحو لا نهاية له.. وأنا أعجب عندما أسمع من بعض الإخوة كلمات توحى بشكل مقصود أو غير مقصود أن هذا الحب لا يعرفه ولم يذقه إلا بعض من المسلمين؛ أسعدهم الله دون غيرهم بهذه النبوة!..

والله إننا جميعاً نتحلق حول هذا المعين.. ووالله إننا جميعاً لننهل من هذه الكأس. ولكن هذا الحب يدعونا إلى الاقتداء.

أنا عندما أنظر إلى علي رضي الله عنه، وقد اتخذته كل من الخلفاء الثلاثة من قبله، مستشاراً بل أميراً له ربما، أميراً غير متوج، عندما أجد أن أبا بكر رضي الله عنه وقد خرج إلى ذي القصة لقتال المرتدين، وجاءه علي رضي الله عنه فأمسك بزمام فرسه قائلاً (وارجعوا للوقوف على هذا النص إلى أي مرجع تاريخي تريدون): "أقول لك يا خليفة رسول الله ما قال رسول الله يوم أحد: لم سيفك وأمتعتنا بنفسك. فوالله لئن نكب المسلمون بك لن تقوم لهم قائمة من بعدك..! فعاد أبو بكر وكلف باللواء غيره.

ثم أنظر إلى عمر إبان خلافته، وقد استشار هو الآخر علياً رضي الله عنه، في أن يخرج بنفسه إلى بلاد الفرس، فيقول له علي: "كن القطب الثابت وأدر رحى الحرب من دونك، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك". وإن أول مرجع لنا في هذه المشورة الأخوية الرائعة كتاب نهج البلاغة.

وعندما أجد نصائحه لعثمان وقد أحدق به أولئك الأشرار، ويستحيل أن تصدر إلا عن قلب مخلص محب، وعندما أجد أنه وقد أرسل ريجانتيه: الحسن والحسين ليحرسا عثمان ضد أي خطر قد يتسرب إليه.. عندما أجد هذه المواقف كلها لعلي، كيف أستطيع أن أعبر عن حيي له؟ إنني لا أستطيع أن أعبر عن حيي هذا إلا باتباع خطواته.. إلا بالسير على النهج الذي سار عليه.. ووالله -أقولها ثانية- لو أن الإمام علياً كرم الله وجهه، اتخذ موقفاً مستقلاً في عهد من العهود، لتركتنا كل خط دون خطه.

وبعد، فإذا كانت وحدة الأمة هي الأساس الأقدس، بل هي الهدف الأسمى الذي تدور عليه أحكام الإسلام العلمية والعملية جميعاً، فإن قداسة هذا المبدأ تتجلى في هذا العصر أكثر من أي عصر آخر مضى.

وإن أهمية الوصول إلى هذا الهدف الأقدس تدعونا إلى أن نجد كل الطاقات، وأن نضحى بكل آرائنا الاجتهادية، في سبيل الحفاظ على هذه الوحدة أو استعادتها.

من أين، وكيف أشعر بهذا المعنى؟

أشعر بهذا المعنى عندما أجد أن أعداءنا لا يرهبون فينا قوة مادية، ولا كنوزاً من مدخرات الأرض وخيراتها، ولا يرهبون فينا فكراً اجتهادياً ولا ماضياً حضارياً أفل نجمه. ولكنهم يخافون من شيء واحد!.. يخافون أن تلتقي هذه الأمة على نهج واحد كما التقت بالأمس!..

يزداد شعوري بقداسة هذه الغاية وضرورة الجهاد في سبيلها، وأهمية التضحية بكل شيء من أجلها، عندما أصغي إلى الهمس.. بل إلى الكلمات الصارخة التي لم تعد همساً.. الكلمات الصارخة التي تصك آذاننا من أعداء الإسلام صباح مساء؛ إن العدو الأوح للغرب والشرق غداً الإسلام.

ولعلكم جميعاً سمعتم الكلمة التي بثتها إذاعة لندن باللغة العربية يوم الثالث من شباط من هذا العام (عام ١٩٩١) في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة بتوقيت دمشق، على لسان الصحافة البريطانية نقلاً عن تاتشر، وهي قولها:

"لقد كان أمام الغرب عدوان اثنان: أحدهما الشيوعية والثاني الإسلام. وقد انهار صرح الشيوعية دون أن يقدم الغرب خسائر تذكر. واليوم يجتمع الشرق الكاثوليكي والأرثوذكسي مع الغرب في خندق واحد لمجابهة العدو الباقي وهو الإسلام."

**هكذا يقولون.. فماذا نحن فاعلون؟** أقول قولِي هذا وأستغفر الله العظيم، وأشكركم. والسلام عليكم ورحمة الله.

من كتاب: (وهذه مشكلاتنا) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي





الفتن وخطورتها، وكيفية النجاة منها

## الفتن التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - خطبة الجمعة للدكتور البوطي ١٩٨٢/٢/٢٦

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى، وأسألك اللهم أن تلهمني السداد والرشد وأن تقيني فتنة النفس والهوى أما بعد فيا عباد الله:

نبقى مع جملة المظاهر المؤكدة لنبوّة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والدالة على عظيم رحمته بأتمته، أنك إذا عدت إلى أمة المصطفى هذه ونظرت إلى الواقع الذي نعيش فيه رأيت سنته صلى الله عليه وسلم تعيش معنا في كل حال ورأيت وصاياه الجميلة الرحيمة تلاحقنا في كل تغلباتنا وأحوالنا. لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام - وهو محدث أصحابه من حوله - لم يكن يعيش معهم فقط ولم يكن يخاطبهم وحدهم فقط بل كان يخاطبنا معهم وكان يوصينا إذا أوصاهم ويحذّرنا إذا حذّرهم ويصف لنا الفتن والوقائع وكل ما يمكن أن نراه أماننا ليجنبنا المنزلات وليحذّرنا من المتاهات.

الفتن، كم حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وكم أوضح لنا سبيل الفرار منها وكم بيّن لنا سبل المعالجة لها، وما كان أصحابه رضوان الله عليهم بحاجة مباشرة إلى ذلك ولكنها الرحمة النبوية إذ كان يشعر بما المصطفى عليه الصلاة والسلام لتلك الأجيال الآتية من بعده فلم يكن يدخر لتلك الأجيال من وصاياه شيئاً ولم يكن يألو جهداً في أن ينهها ويحذرها ويرفدها. تعالوا بنا نصغي إلى طائفة من وصاياه صلى الله عليه وسلم التي تتعلق بالواقع الذي نعيش فيه مما لم يكن موجوداً في عصره عليه الصلاة والسلام.

يروى البخاري في صحيحه وغيره عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني يومه، فقلت له يا رسول الله لقد كنا في جاهلية فأكرمنا الله عز وجل بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قال: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قال: وما دخنه؟ قال: قوم يهتدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي، قال: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قال حذيفة رضي الله عنه: صفهم لنا يا رسول الله، قال: هم من أبناء جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، قال: فما تأمري إن أدركني ذلك؟ قال عليه الصلاة والسلام جواباً لسؤال حذيفة رضي الله عنه: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال: فإن لم يكن ثمة جماعة ولا إماماً؟ فقال: تلزم عقر دارك وتعزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

وقال عليه الصلاة والسلام في موقف طويل آخر فيما يرويه البخاري ومسلم وغيرهما: (يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعاب جبال) أي يعتزل بها عن الناس.

ويروي البخاري رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إنها ستكون فتن، ألا ثم ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا وقعت فليلزم أحدكم عقر داره ألا هل بلغت، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت) قال رجل من الناس: فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركني ذلك؟ قال: ت عمداً إلى حد سيفك فتضربه بحجر - كناية عن أن لا يخوض غمار تلك الفتن هاهنا أو هاهنا، فقال رجل من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم: رأيت يا رسول الله إن طلبني رجل بسيفه - أي جاءني سهم فقتلني؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذاً يئوؤ يا ثمك وإثمه، وفي رواية أكثر تفصيلاً يرويه البخاري أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إنها ستكون فتن ثم ستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا وقعت فمن كان له إبلٌ فليحلق بإبله ومن كانت له غنم فليحلق بغنمه ومن كانت له أرض فليحلق بأرضه) فقال رجل ممن حوله: رأيت يا

رسول الله لو أن رجلاً ليست له إبل ولا غنم ولا أرض؟ فقال: يعمد إلى حد سيفه فيضربه ويثلمه بحجر، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت)

وصح عن البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة).

هذه طائفة يسيرة أيها الناس من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أسداها بسائق من حبه ورحمته لهذه الأمة يعلمنا فيها السبيل والمخلص من الفتن المختلفة التي شاء الله عز وجل أن يتلى الناس بها لاسيما إذا قربت الساعة. ولماذا يوصي رسول الله بذلك؟ ولماذا يسميها رسول الله فتناً؟ ولماذا لم تكن هذه الوصية من حظ أصحابه؟ لماذا لم يأمر أصحابه أن يثلموا سيوفهم ويكسروا حدها؟ لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يتحدث عن نوع من المصائب والفتن هي التي يسميها رسول الله فتناً بالمعنى الدقيق، إذا شاء الرجل أن يتخلص منها بسبيل زجه السبيل إلى شر منه، وإذا شاء أن يلقى سيلاً أخرى ليتخلص من تلك الفتن زج به إلى شر منه، يريد أن يتخلص من الفتنة فلا يرى سيلاً مصفى سائغاً يرضي الله ورسوله ولا يرى طريقاً يستطيع أن يطمئن أنه طريق آمن سالك يرضي الله عز وجل إن وضع ميزان الله فقط نصب عينيه، فماذا يصنع وقد ادلهمت السبل وتعقدت الأسباب وتداخل بعضها ببعض ولا يمكن أن تتداخل ولا أن تتعقد إلا للأسباب التي وصفها رسول الله (إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه) هنا تتشابك السبل وهنا تتداخل الوسائل فلا يحاول الإنسان أن يفر من بلاء إلا ويقع في شر منه مع أنه لم يفر من بلائه الأول فما السبيل؟ السبيل ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن عجب أن بعض الناس إذا دُكروا بهذه الأحاديث الصحيحة التي بلغ مجموعها مبلغ التواتر المعنوي، فهي ليست أحاديث آحاد لم يرض أن يسميها بل ربما اشمأز من ذكرها ووصف الذاكرين لها والداعين إليها بالسلبية، من؟ رسول الله يدعو إلى سلبية! هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت هذه الوصايا سلبية لو أنها كانت موجهة إلى فرد معين أو كانت موجهة إلى عشرة من بين المئات، أي إلى قلة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسلها وصية إلى كل فرد فرد فرد من المسلمين جميعاً، فتصوروا لو أن كل فرد فرد من المسلمين التزم خاصة نفسه وكان حارساً أميناً على سيفه وكان قواماً لحدود الله عز وجل على زوجه وأولاده ومن يلودون به وكان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حيثما ارتحل وحيثما حل، لو أن المسلمين جميعاً كانوا هكذا إذاً لدابت الفتنة في خير نارٍ لا يمكن أن تذيبها نارٌ أخرى، لو أن المسلمين جميعاً كانوا بهذا الشكل لاضمحت العقد ولاستبان السبل، وقلت لكم مرة: إن هذا أحدث طريقة تربوية يتحدث عنها المربون بالنسبة للمعلمين في مدارسهم، يقول أحدهم: إذا دخل المعلم قاعة الدرس فوجد أن الطلاب جميعاً في صباح وفي ضحيج لا يمكن أن تستبين فيها كلمات متكلم، هذا يصيح من هنا وذاك يصيح من هنا حتى إن العرفاء عندما يريدون يصيحون فيهم يزيدون إلى الضحيج ضحيجاً، ما هو أحسن سبيل سريع من أجل إعادة هذه القاعة إلى الهدوء والطمأنينة؟ أن ينههم المعلم إلى النقطة التالية، يدعو كل واحد منهم إلى أن يسكت نفسه وأن لا يكون أحد مسؤولاً عن الآخر، لأن الضجة ما قامت إلا لأن كل فرد يتحمل المسؤولية عن الآخرين فضجت القاعة كلها بصياح الموجهين، ولكن إذا طُبّق هذا المبدأ التربوي الذي دعانا إليه معلمنا وحبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت كل واحد نفسه في اللحظة الواحدة ترى أن القاعة عادت إلى هدوئها وأمنها.

أيها الناس: رسول الله مرة أخرى قال: (ألا إنها ستكون فتناً كقطع الليل المظلم)، قال سيدنا علي رضي الله عنه: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله وسنتي) فالزموا سنة رسول الله والزموا كتاب الله سبحانه وتعالى يخرجنا الله عز وجل من مأزق هذه الفتن، هذا مع الرضا والتسليم بأن قضاء الله عز وجل جارٍ لا ريب فيه ومع ضرورة أن نقول في كل صباح إذا أصبحنا وفي كل مساء إذا أمسينا: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً.

وأخيراً كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يتق المصائب بشيء طالما أوصى به وطالما ذكّر به أصحابه ألا وهو الصدقات والمبرات، كان يوصي بذلك أمهات المؤمنين وكان يوصي بذلك أصحابه دائماً، وكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بأساليب شتى أن الصدقة تدفع البلاء.

أيها الناس نحن بأمس الحاجة إلى فيض من رحمة الله وإن كنا لا نستأله، أفتعلمون كيف تستنزلون هذه الرحمة؟ تستنزلوها برحمة تبدونها فيما بينكم، تستنزلوها بالبحث عن الفقراء تكرمونهم بالصدقات الوفيرة، استنزلوا رحمة الله عز وجل بأن تكون يد كل واحد منكم قائمة بخير سبيل لإطفاء شر الفتنة، وكيف تفعل اليد ذلك؟ بأن تمتد بالإحسان إلى المحتاجين، بأن تمتد بالصدقة إلى الفقراء، وابتغوا بذلك وجه الله وحده، وابتغوا بذلك مرضاة الله وحده، افعلوا هذا دون حساب، افعلوا هذا دون خوف من الفقر، افعلوا هذا وأنتم على يقين بأن كنوز الله مفتحة وبأن ما أنفقه الله لوجهه لا ريب أن يُعوّض.

أيها الناس: حاولوا أن ترتفع عنكم مظاهر غضب الله وأن ينزل الله عز وجل عليكم شأبيب رحمته بأن تتراحموا، والتراحم لا يكون بالكلام وإنما يكون بالفعل والقول، فابدلوا جهدكم على كل المستويات وفي كل الأحوال لتحقيق هذه الوصية التي أوصانا بها رسول الله وأذكركم اليوم بهذا. ألا وعلى كل منكم أن يُدكّر بهذا إخوانه وأن يُدكّر بها أحبائه وأصحابه، إذا شئتم أن يكرمنا الله فليكرم بعضكم بعضاً، وليكرم الأغنياء الفقراء، انظروا إلى المحتاجين تحروا أحوالهم، لا يقولن قائل: أنا لا أعلم الفقراء هل تعلم أحداً منهم؟ كلفك الله بأن تبحث عنهم، اجث عنهم في أصقاعهم وأحيائهم الضيقة فهم كثير، ولك من الأجر في البحث عنهم قدر ما لك من الأجر على الإعطاء لهم، اللهم إنا نسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى، وأختتم كلامي بقول الله عز وجل:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)

ويقول الله سبحانه وتعالى:

(لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)

أستغفر الله العظيم فاستغفروه يغفر لكم.

## واقع المسلمين والفتن - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٢/٣/١٩٨٢

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانه اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى. وأسألك اللهم أن تلهمني السداد والرشد وأن ترزقني الإخلاص في القول والعمل يا رب العالمين.

أما بعد فيا عباد الله:

إنه لا يمكن إذا نزلت الفتن وادلهمت الحن لا يمكن للإنسان الخلاص منها إلا أن يعكف بجدوى على معرفة قانون الله عز وجل في الكون ونظامه المتبع في عبادته، لا يجزي إلا أن يبدأ الإنسان أولاً فيجدد يقينه بأنه عبدٌ ذليلٌ لمالِكِه ومولاه وأن مالِكِه يتصرف به كيفما يشاء. ثانياً أن يعلم نظام الله عز وجل في عبادته، فإذا علم ذلك أراح واستراح. وما هو نظام الله عز وجل في عبادته؟ بعد يقيننا أننا عبيدٌ لله عز وجل نظام الله سبحانه وتعالى أو أنظمته عز وجل في عبادته أنه يعاقب الناس في الدنيا على أساس جماعي وإن كان المذنبون والمستحقون للعقاب بعضاً منهم ويقينهم إذا حشرهم يوم القيامة حشرهم على نياتهم، ألم تسمعوا قول الله سبحانه وتعالى وهو يقول في محكم كتابه: (وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً).

أولم تسمعوا قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لزَيْنَبٍ وقد سألته: أهلك وفينا الصالحون؟ قال لها: (نعم إذا كثُر الخبث).

أولم تسمعوا قوله فيما يرويه مسلم عن عبد الله بن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أراد الله بقوم عذاباً عمَّهم بالعذاب ثم حشرهم على نياتهم).

إذاً هذا هو قانون الله عز وجل، ولن تجد لنظام الله عز وجل من تبديل في عصر من العصور، بدءاً من عصر الرسل والأنبياء إلى يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة. ألا تذكرون يوم أحد، يوم قاتل رسول الله ومعه صحابته الكرام فلول المشركين، خطيئة صغيرة وقع فيها فلول من الصحابة لا يزيدون على خمسين من أصل ما يقارب الألفين فماذا كانت نتيجة خطيئة مساحتها لا تزيد على خمسين جندياً من أصحاب رسول الله؟ عمَّت آثار هذه الخطيئة وعقابها الرباني عموم الجند بما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قُتِلَ من خيرة الصحابة ما يزيد على سبعين، وألقي رسول الله في كمينٍ وشُجَّ وجهه وكُسِرَت رِباعيته، وأصاب المسلمين زلزال شديد ما أصيبوا به من قبل ولا من بعد، فهل شفع لأولئك الصحابة ضد هذا القانون الذي لا يتغير أن رسول الله كان فيهم؟ لا. إذاً فهذا القانون ساري المفعول دائماً. وهنا يتساءل بعض الناس وهل فينا اليوم خبث كثير حتى يعمنا الله بهذا العذاب، أوليس المسلمون بخير، أوليس المصلون يملؤون المساجد؟، هذا ما يقوله كثيرٌ من الناس، ولكن كم قلت يا عباد الله وكم أعدت القول وسأعيده اليوم بأننا ننظر إلى القلة وتغيب أذهاننا عن الكثرة، ولو نظرت إلى الكثرة لرأيت الفساد هو المستشري وهو الغلاب ويجب علينا أن نعلم ذلك وأن لا نغتر ببعض الصور أبداً. وأحب اليوم أن أضع النقاط على الحروف حتى لا تكثر الأسئلة بعد اليوم في هذا وحتى تعلموا أن وراء هذه الأسباب الظاهرة للمحن جذورٌ من إرادة الله عز وجل وقانونه في عبادته فلا تقفوا عند الأسباب الظاهرة وارجعوا إلى الجذور الراسخة الخفية. هذه الأمة استشرى فيها الفساد سواء من الناحية الأخلاقية والتفسيخ الطغياني بسبب المادة، وسواء من حيث ظلم الناس بعضهم لبعض وتريصهم ببعض، وسواء من حيث تمزيق حقوق الله عز وجل وتضييعها، وكأني بكم تطلبون الشواهد، وما جئت قبل اليوم بشواهد ولكني سأتي اليوم بشواهد نماذج، ولو شئت لألفت من هذه النماذج الواقعية كتاباً.

أما فيما يتعلق بطغيان المادة وأثر ذلك على التفسخ الأخلاقي فإنكم هذا النموذج، رجل من أغنياء هذه الأمة في هذه البلدة، مصل، يركض إلى الحج، وحج إلى بيت الله أكثر من مرة، قال له بعض أصحابه مذكراً: إن ابنك يرتكب الفواحش وإنه يستعمل مالك في ارتكاب كثير من المحرمات والانحرافات الجنسية، فقال الوالد: لقد رأيت على وجه ابني الغنى ولذلك فلم أعاتبه على فعل يفعله ولا أسمح بمن يتحدث على ابني بسوء فقد رأيت على وجهه الغنى، نعم هكذا قال هذا الرجل الذي يركض إلى الحج إلى بيت الله الحرام فماذا عسى أن يقول من لا يعلم صلاة ولا حجاً وهم كثيرون؟ نعم، لا يرى أن من واجب الشاب في هذه الدنيا إلا أن يكسح من أجل الرزق فإذا وجد أبوه أنه استغنى على وجهه أو من قفاه فهذا هو المطلوب ولا يراد منه بعد ذلك شيء آخر.

وإليكم هذا النموذج الثاني فيما يتعلق بتربص الناس بعضهم ببعض وأكل بعضهم حقوق بعض، رجل له دار يكسوها وهو يسكن خلال ذلك في دارٍ بالأجرة وجاء صاحب الدار المستأجرة يطلب دارة لظروف اضطرارية، ووقع الرجل في مأزق، جاءه صديق لهم شهيم قال له يا هذا، لماذا تتألم، لي دار مغلقة تعال فاسكن فيها ريثما تتم دارك التي تكسوها، وشكره هذا الإنسان، فانتقل من دارة المستأجرة إلى دار صديقه وأصر صديقه ألا يأخذ منه درهماً ولا ديناراً لأنه يسكن في هذه الدار ريثما تتم دارة المملوكة، لبث صاحب الدار الرجل الثاني ينتظر سنة وستين وسمع أن دارة قد انتهت وما يريد أن يخرج منها وأرسل إليه بلطف يسأله متى سيتك له دارة، أرسل إليه الرجل المصلي الحاج إلى بيت الله الحرام يقول له كم تدفع لي من الفروغ من أجل أن أدع دارك، وأبي الرجل أن يخرج حتى دفع له الرجل آلافاً معينة لا أذكر عددها. لست أتخيل يا عباد الله وإنما أضع أمامكم وقائع ونماذج.

نموذج آخر فيما يتعلق بتضييع حقوق الله، قال لي تاجر من تجار هذه البلدة ثقة صدوق، قال لي: أتعلم كم هي نسبة الذين يدفعون زكاة أموالهم كما أمر الله من هؤلاء التجار؟ قدرت وقلت: إنهم قلة ولا أتصور أن يكونوا أكثر من خمسة وعشرين بالمئة فضحك الرجل ضحكاً ألم وقال والله ما أبالغ إنهم لا يزيدون على خمسة بالمئة فقط، والرجل يعلم وهو يعيش في السوق ويعلم الحقائق، وأقسمت عليه بالله أنه لا يبالغ، قال: والله لست مبالغاً وهم أصحاب نعمة وأصحاب ثروة وأصحاب غنى، نعم. أتريدون نماذج أخرى من كفران النعمة، من البطر والأشر، كم أسر كانت فقيرة فاستغنت فلما أمدها الله بالنعمة والعطاء تكبرت وتحولت دورها في المساء إلى سهرات ماجنة بل إلى حانات، وهؤلاء الناس كانوا فيما مضى يركعون ويسجدون ويسبحون ويحمدون فلما أكرمهم الله بالنعمة قابلوا إكراههم بهذا البطر والأشر ثم لما زادهم الله من العطاء لم يرتضوا أن تكون سهراتهم في تلك البيوت الضيقة بل جعلوا يقيمون سهراتهم في أندية الفنادق الفخمة، نعم، إن بحث عنهم أين يوجدون من كان يسمى الحاج فلاناً والحاجة فلانة ولم تعثر عليهم في بيوتهم من بعد التاسعة مساءً تبحث عنهم في ردهات تلك الفنادق. هل تريدون نماذج أخرى في هذا المكان يا عباد الله؟ هذه نماذج، وفي الذهن صور كثيرة، وقلت لكم لو شئت أن أجمع هذه الصور وأبينها لأخرجت من ذلك كتاباً أسوداً. إذا علمتم هذا يا عباد الله فاذكروا قول ربنا:

(ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

هذا كلام الله، هذا كلام قيوم السموات والأرض: (ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) والله يغفر الكثير ويعاقب على البعض أو القليل لعلهم يرجعون، والبلاء كل البلاء أن تتمطر المحن علينا كما يقول الله ثم لا نرجع، المصيبة كل المصيبة أن يجعل الله بأسنا بينما ثم أن نقف أمام الأسباب الظاهرة ولا نصل إلى الجذور، الجذور الخفية التي تجدونها في قوانين كتاب ربنا سبحانه وتعالى. نعم، إن الذي غضب على من ذكره بفجور ابنه ما قال هذا قبل سنوات، قال هذا في هذه الأيام حيث كان ينبغي أن يرعوي وحيث كان ينبغي أن يقف أمام قول الله:

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ).

في هذا الوقت بالذات حيث كان ينبغي أن يعتبر وأن يتوب ويرجع يغضب على من يقول إن ابنك يفجر، بل يجيب وهو رافع الرأس: لقد وجدت على وجه ابني الغنى فليفعل ما يشاء ولن أسمح أن يقول عنه قائل شيئاً.

يا رب: اللهم إنا نسألك أن لا تهلكنا بما فعل الظالمون. أنا أسأل من الذي أمر أن يقول هذا الكلام، من الذي جره جرماً إلى هذا الفسوق، هل أمره بهذا أمر، هل جره إلى الفسوق جازاً؟ هذا سؤال، سؤال آخر تتحرق من ورائه نفسي، أريد أن أسأل كل من يحلم بمجتمع إسلامي صحيح، أريد أن أسأل كل من يتحرق على الجهاد في سبيل الله عز وجل: ترى ما هي قيمة دار تبنيتها على سبيل من الرمال، ماذا عسى أن يكون مآل هذه الدار وما أقمتهما إلا على كتيب متحرك من الرمال؟ يا عباد الله، المجتمع الإسلامي يتكون من هؤلاء الناس، من صنوفهم، من أطيافهم، من واقعهم، فمن أراد أن يجاهد فليبدأ جهاده بإصلاح هؤلاء الناس، إصلاح هذه البيوت، إدخال حقيقة قوانين الله عز وجل في العقول، علينا إذا أردنا أن نكون قوامين على حدود الله عز وجل أن نقطع ألسنة فجاراً يقولون هذا الكلام، ويحك ربك رزقك، حقوقه عليك كثيرة ثم تقول ما يقوله اليهود وهل اليهود أكثر من هذا دنياهم وآخرتهم وقوانينهم ومبادئهم وأخلاقهم تنحصر في جمع المال وهذا ما قال أكثر من ذلك: لقد رأيت على وجه ابني الغنى وحظي منه ذلك، نعم، لاشك أنه لا فرق بين أن يأتيه الغنى على رأسه من قفاه. اللهم إنا نسألك أن تهدينا فيمن هديت ونسألك الله أن تبصرنا جميعاً بالطرق من أوائلها وكيف ينبغي على المسلم أن يظهر الأرض عن طريق إصلاح الأفراد وعن طريق إصلاح الناس فإن الله عز وجل يقول:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) وما قال رسول الله: (كما يُؤَلَّى عليكم تكونون) ولكنه قال عكس ذلك تماماً يا عباد الله، نعم إننا لو أردنا أن نطبق قوانين الإسلام كما كانت مطبقة في عهد رسول الله وأردنا أن نطبقها على هؤلاء الناس على هذه الفترة فلا ريب أن هذه القوانين ستمزق خلال بضعة أشهر، ذلك لأن الناس لا يريدون ذلك لأنهم انفصلوا عن دين الله، لا تنظروا إلى قلة، لا تنظروا إلى من حولكم يصلون ويركعون ويسجدون ويتبتلون فإن الخبث أكثر، أسأل الله عز وجل أن يهدينا وأن يوفقنا وأن يعننا برحمته إنه خير مسؤول.

## من الذي يجب علي اتباعه في مثل هذه الأيام - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٩٨٣/٤/١

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أئنت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، صلاة وسلاماً دائماً متلازمين، إلى يوم الدين، وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى.

أما بعد فيا عباد الله:

مرة أخرى نعود للحديث عن العزلة، وعن واجب المسلم في هذا العصر، وأمام هذه الفتن المتحلية، وإني لأرجو أن يكون في هذا الحديث الذي أقوله للمرة الثالثة أو الرابعة ما يغني عن العودة إليه، وما يغني عن أي نقاش خاص فيه، يسأل المسلم اليوم ماذا أصنع؟ وبمن اتصل؟ وكيف أقيم الإسلام الذي أمرني الله عز وجل بإقامته؟ وكيف أقيم دولة الإسلام؟ يسأل هذه الأسئلة الكثيرة، ويفسر في أرق وهم كبير لمعرفة الإجابة عليها والجواب واضح، والإجابة بديهية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا على (بيضاء نقية ظاهرها كباطنها، لا يزيغ عنها إلا هالك)، كما قال عليه الصلاة والسلام، ماذا تصنع وبمن تستعين؟ ومع من تضع يدك؟ تسأل نفسك هذا السؤال، وأنت تعيش في هذا المجتمع الذي أنت فيه وكأنك تعيش في قاعة كبيرة، في حفلة من هذه الحفلات التنكرية، لا تكاد ترى وجهاً على حقيقته، وإنما ترى أقنعة مختلفة اختفت تحتها الوجوه الحقيقية، أنت تعيش في مجتمع هذا شأنه.

ثم تسأل بمن اتصل؟ ومع من أضع يدي؟ ما أكثر ما ترى من يحدثك عن ضرورة العمل في الإسلام، والعمل الجماعي من أجل إقامة حكمه ومنهجه، وتأمله جيداً وإذا هو رجل من هواة المناصب، ومن هواة المكانة فهو يريد أن يتخذ من بضعة أشخاص سلماً لمنصب يهواه. وما أكثر ما ترى رجلاً آخر يتحدث عن الأفكار المختلفة، التي تتحدث عن الإسلام ويقول لك كما قال لي أحدهم: إنه استخار الله عز وجل فرأى الخير في أن يسير في الاتجاه الفلاني، وأن يصل أصرته ونشاطه بفئة من الفئات التي يراها إسلامية، وهي فئة من الفئات الهدامة التي سخرها الاستعمار الأجنبي منذ سنوات طويلة من أجل إفساد الدين، ومن أجل إشاعة الاضطراب في عقول المسلمين، فهذا رجل ثان مقنع بقناع آخر. وما أكثر ما ترى رجلاً ثالثاً، أو شاباً ثالثاً قد أرخى اللحية، وأظهر الإسلام وحمل السبحة، وتظاهر بالحماسة لدين الله، كما رأيت ذلك في بعض البلاد الإسلامية، يستنكر المنكرات الصغيرة ويخلق من أجلها فتناً، ويهيب بالناس أن يقارعوا النظم والمجتمعات من أجل تفتيت دستور الإسلام ومنهجه، وبعد قليل تتأمله وإذا هو إنسان ملحد لا يؤمن بالله ولا يؤمن بالإسلام، ولكنه يريد أن يثير فتنة هوجاء، ويريد أن يخرج المسلمين من الطريق الذي يسرون فيه إلى الله، لعله يسخرهم لفتنة، لعله يسخرهم لبلاء، لعله يجيئ دعوة إسلامية تنتشر بطبيعتها في المساجد وهنا وهناك، فهذا قناع ثالث، وما أكثر الأفتنة، ما أكثر الذين يتظاهرون بالحماس للدين وهم يضمرون اتجاهات سياسياً، ما أكثر من يتظاهرون بضرورة خلق جماعة تستعيد للدين قوته وهم من هواة المناصب، ما أكثر الذين ينقلون هذا الكلام نفسه، وإن أحدهم لينتسب إلى فئة قاديانية أو فئة مادية أخرى.

وهكذا فأنت يا أخي المسلم، تعيش في عصر لا تظمن فيه على الحقائق، فالألسن تتكلم بشكل والوقائع تتكلم بشكل، أكثر النفوس متعمقة بالدنيا بالسراب بالأهواء، بالمناصب ولكن ألسنتهم تستعمل السلعة الرائجة، والسلعة الرائجة بين الناس اليوم هي الإسلام والحديث عن الإسلام، وخداع البسطاء باسم الإسلام، في هذا الجو ماذا ينبغي أن تصنع؟

يجيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجوبة واضحة صريحة قاطعة يقول فيما يرويه النسائي وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا رأيت الناس ملحت عهدوهم وقلت أماناتهم وأصبحوا هكذا - وشبك رسول الله في يديه - قال فماذا تأمري: قال: الزم بيتك، وأمسك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، والزم أمر الخاصة، ودع عنك أمر

العامّة) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما رواه الترمذي والنسائي وأبو داوود وابن ماجه في أسانيد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهواً متبعاً، ودنياً مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعد عنك أمر العامّة، وعليك بخاصة نفسك، فإن أمامكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للرجل منهم أجر خمسين، قال أحد الصحابة منا أم منهم يا رسول الله؟ قال: بل منكم، لأنكم تجدون على الحق أعواناً، ولا يجدون) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: فيما يرويه البخاري عن حذيفة بن اليمان أنه قال كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة الوقوع فيه والحديث طويل يقول رسول الله في آخره جواباً على سؤال حذيفة أبعد ذلك الخير شر؟ قال: (نعم)، أناس يقفون على أبواب جهنم، فمن استجاب لدعوتهم قذفوه فيها، قال صفهم لنا يا رسول الله: قال هم من أبناء جلدتنا يتكلمون بألسنتنا، قال فماذا تأمري يا رسول الله أن أصنع؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق والجماعات كلها ولو تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك) هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب الحائرين، وينهي اضطراب المضطربين، ويعلم الجاهلين، ويضع النقاط على الحروف، وقد قال ربنا جل جلاله:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)، ويقول: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)

والله سبحانه وتعالى أرسل رسوله مبيناً والرسول هو الذي يقول لقد أوتيت القرآن ومثله معه، فمن لم يقنع هذا الكلام فلا أقتعه الله، ومن أراد من بعد هذا الكلام كلاماً أوضح فلا رأى عقله ما يوضح له السبل، ومن لم يجد في هذا البيان الموضح الناصح الذي ينبض بالرحمة والشفقة والحب لأمته، من لم يجد في هذا الكلام غذائه المشبع فلا أشبعه الله له عقلاً ولا فكراً.

هكذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا داعي لبحث بعد هذا، ولكن قد نحتاج إلى شيء من التفسير لكلامه (عليك بخاصة نفسك). قال علماء الحديث: ما معنى خاصة النفس؟ هل معنى ذلك أن لا يلزم إلا ذاته، فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، لا (عليك بخاصة نفسك) أي كن رقيقاً على نفسك أولاً وعلى أهل بيتك ثانياً فهم من خاصتك، أقم بيتك على أساس إسلامي سليم، كن أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر فيه، ثم إنك ينبغي أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أصدقاءك وأصحابك وذوي رحمك، وكل من ترى لنفسك عليهم سلطاناً، فهم أيضاً من خاصة نفسك هذا معنى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليك بخاصة نفسك)، ومن العجب أنا نرى أناساً يحارون ويضطربون ويموج أمرهم، ماذا نصنع؟ والبلاء في بيوتهم ولا يمشون شيئاً من وقتهم العزيز، لإصلاح مفاصل بيوتهم، لإصلاح الجدل القائم بين جوانح أسرهم وأهلبيهم وأولادهم، إن هذا من الأمر الذي يضحك وشر البلية ما يضحك، ولكم رأيت أناساً أيها الإخوة وضرب الأمثلة في هذا المجال يفيد يتحدثون ويظهرون أنفسهم، عن الإسلام وكيف ينبغي أن يحكم الإسلام؟ وكيف ينبغي أن تكون قوانين الأمة قوانين إسلامية وهو يقول بمناسبة وربما بدون مناسبة إنه قد استقدم أخيراً جهازاً تلفزيونياً آخر ملوناً، فجهازه الذي عنده غير ملون، وقال له واحد من أصدقائه، وما فعلت بالجهاز الأول؟ قال وضعت واحداً في غرفة النوم، ووضعت الآخر في غرفة الجلوس، ويتحدث عن المجتمع الإسلامي، وكيف ينبغي أن يشاد وعلى أي الدعائم ينبغي أن تنهض عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآخر أرى له بنات كبار وصلن مبلغ البلوغ، لو أننا لاحظنا أمر الشرع فيهن لكان على الواحدة منهن أن تحتجب من فرقتها إلى قدمها، وهي تتخطر في الشوارع بمظهر لا والله ربما التبس على الإنسان أنها فتاة مسلمة أم غير مسلمة، ووالدها يتحدث كيف نقيم المجتمع الإسلامي؟ وكيف نربي الإسلام؟ أمثلة أكثر من هذا حدثكم عن طرف منها، البذخ الذي تراه في بيوت المسمين، العهر الذي تتسم به أفراس المسلمين، الفسوق والفجور، الذي عشتش في بيوت المسلمين، ألا تتصور هذا البلاء، ألا تتصور الطوفان وتدع الشيطان يلعب بعقلك لتتساءل عن الإطار، ضع الصورة السليمة قبل كل شيء ثم تسائل عن الإطار الذي ينبغي أن تضعه، أسأل الله سبحانه وتعالى، أن يجمع أمرنا على بالحق وأن يرزقنا اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن يجعلنا ممن تمهم خصائصنا وذوو قرابتنا، وأرحامنا حتى يصلح الله أمرنا خاصة وعامّة. فاستغفروا الله يغفر لكم.

## واقفنا الحالي وخطأ الحكام و المحكومين والحل لهذه الأزمة - خطبة جمعة للدكتور البوطي ١٥/٢/١٩٩١

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائماً متلازمين متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى. وأسألك اللهم أن تلهمني السداد والرشد وأن ترزقني الإخلاص في القول والعمل يا رب العالمين.

أما بعد فيا عباد الله:

أيها الإخوة، ما الذي ينبغي أن نفعله في مواجهة هذه الفتن المدلّمة، وما هو السبيل الذي إن سلكناه وقانا الله سبحانه وتعالى بذلك من شرور هذه الفتن وما الموقف الذي ينبغي أن نتخذه؟ يسأل كثيرٌ من الإخوة هذا السؤال وكأنهم يتصورون أن هذه الفتن المدلّمة التي أنبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل كل مسلم بيده على انفرادها مفتاح الحل لها، ومفتاح السبيل إلى التخلص منها. والأمر ليس كذلك.

إن هذه الفتن التي ابتلى الله سبحانه وتعالى المسلمين بها، إنما جاءت نتيجة أخطاء جماعية، لا أخطاء فردية، أخطأ المسلمون أخطاء جماعية، وانحرفوا انحرافات جماعية، وسلوكوا بشكل جماعي سبلاً بعيدة عما أوصاهم الله سبحانه وتعالى بها فأقبلت إليهم هذه الفتن (كقطع الليل المظلم) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصفها.

كانت جماعة المسلمين من قبل تتولى الله ورسوله ثم تحولت هذه الجماعة بل هذه الجماعات من ولايتها الله ورسوله وأخذت توالي عباد الله سبحانه وتعالى، بل توالي أعداء الله من عباده، تلك هي الخطيئة الأولى، كانت جماعة المسلمين تعتز بأخوتها الإيمانية والإسلامية وترعى ولا تزال شبكة هذه الأخوة من أقصاها إلى أقصاها فكل ما اهتز طرف منها اهتز مجموع هذه الشبكة ذلك لأن كل مسلم كان يعي معنى الأخوة الإسلامية التي عبر البيان الإلهي عنها أيما تعبير فقال:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)

كان كل مسلم حارساً على هذه الأخوة يصلحها إن تسرب إليها خوف، يرهاها إن تربص بها عدو، ولكن المسلمين فيما بعد أو إن جماعة المسلمين فيما بعد عمدوا إلى هذه الأخوة فأخذوا يمزقونها بأيديهم شر ممزق، أمرهم الله برعايتها فمزقوها، أمرهم الله سبحانه وتعالى بإصلاح هذه الأخوة فأعرضوا عنها وتركوها للأعداء المتربصين بها. كانت جماعة المسلمين من قبل تستعمل النعم التي أنعم الله بها عليهم من رزق وفير ومال كثير ورغد في العيش، كانت جماعة المسلمين من قبل تستعمل هذه النعم فيما يرضي الله سبحانه وتعالى وتجنّبها في سبيل السعي إلى مرضاة الله عز وجل، فخلف من بعدهم خلف أخذوا يستعملون هذه النعم وسيلة حرب لله عز وجل وأداة سكر وطغيان وإعراض عن الله سبحانه وتعالى، فتحول شكرهم كفراناً، وتحول اتخاذهم لهذه النعم سبيلاً إلى مرضاة الله تحول حجاباً حاجزاً يبعدهم عن الله سبحانه وتعالى، وهي كما ترون أخطاء جماعية تعاون الكل في الوقوع فيها وليست أخطاءً فردية، فلما ارتكبوا هذه الأخطاء لما تقلصت أيديهم عن مبايعة الله وعن موالاتهم لله سبحانه وتعالى ونسوا أو تناسوا قول الله سبحانه وتعالى:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)

ونسوا أو تناسوا قول الله عز وجل:

(إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)،

وأعرضوا عن موالاتهم لله لتمتد أيديهم إلى موالاتة أعداء الله سبحانه وتعالى وعمد هذا الخلق من بعدهم إلى النعم الكثيرة التي أكرمهم الله عز وجل بها، فجعلوا منها أداة تنافس فيما بينهم وهدف تسابق، فأغرى ذلك ما بينهم العداوة والبغضاء بعد الأخوة التي نسجها الله سبحانه وتعالى فيما بينهم، وتحولوا إلى أعداء متنافسين يتسابقون إلى المغامر وهي كثيرة، ويتخوفون عن المغامر، وهي بعيدة. فلما آل أمر تلك الجماعة إلى هذه الحال أقبلت إليهم الفتن من كل حذب وصوب، كان حال هؤلاء المسلمين كما وصف الله في محكم كتابه:

(فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ)

وهذا بعد أن قال الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ)

حذر وأندر ثم نبه إلى فريق من المسلمين يسارعون إلى موالاتة هؤلاء الذين حذر الله من موالاتهم وقال:

(فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ)،

تلك هي حالنا وهذا هو واقعنا .. وكما وقع الخطأ جماعياً فلا بد أن يكون الإصلاح أيضاً جماعياً. ماذا يعني أن يقوم الفرد فيسأل أي موقف أتخذ وإلى أي علاج أهرع من أجل أن أقوم هذه الفتن والبلاء؟ لا بد أن يتم الإصلاح على مستوى جماعي كما وقع الخطأ على مستوى جماعي، لا بد أن يصحوا المسلمون ولا بد أن يستيقظوا جميعاً أو أن تستيقظ الفئة الكثيرة الكبيرة منهم فيؤوبوا إلى رشدهم بعد هذا التيه، ويتبينوا الصراط الذي تاهوا وضلوا عنه ثم يعودوا فيصطلحوا جماعياً مع الله سبحانه وتعالى، ويقطعوا سبل هذه الموالاتة المزيفة بينهم وبين أعداء الله، ويعلموا أن هؤلاء الناس لا يمكن أن يفيدوهم في شيء.

مظهرهم غنى وحقيقتهم أخط وأدنى من الفقر المدقع، مظهرهم قوة وحقيقتهم أخط وأدنى من منتهى الضعف، مظهرهم عزة ولكنهم أذل من كل ذليل. فيم نمد أيدينا إليهم؟ فيم نرى أنفسنا تبعاً لهم وقد أكرمنا الله بمولاته، وقد رفع شأننا إلى مستوى من العزة لا يرام، ولا يمكن أن يناله أحد في ملكوت الله سبحانه وتعالى حتى الملائكة فيما قرره جمهور المسلمين؟.

لماذا نريق هذا العز وندبر عن هذا الجمد ونوالي بعد أن والانا الله ووالينا، نوالي أعداء الله سبحانه وتعالى. لماذا وما الحاجة وما الضرورة إذا أدبنا إلى الله عز وجل بشكل جماعي وعدنا فاصطلحنا مع الله عز وجل ولملنا شؤوننا وأحوالنا بشكل جماعي، وأعدنا على النهج القويم سيراً على صراط الله سبحانه وتعالى.

فالمشكلة محلولة والبلاء ذاهب والفتن مضمحلة، ويعيد الله عز وجل عباده إلى أعلى مستويات النصر والسعادة، المشكلة محلولة إن أردنا بشكل جماعي حلها، وإلا فلنعلم أن الدنيا التي أقامنا الله فيها هي عبارة عن كفتي ميزان إن رجحت الواحدة منهما طاشت الأخرى والعكس صحيح، فإذا أن ترجح كفة المسلمين وعندئذ لا بد أن تطلش كفة أعداء الله عز وجل. وأما إن طاشت كفة المسلمين بإعراضهم عن ربهم وبعكوفهم على هذه الأخطاء التي نتحدث عنها إذاً لا بد أن ترجح الكفة الأخرى، لأن الحياة ستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يمكن إذا فسد حال المسلمين أن يطوي الله الأرض وهذه الحياة لسواد عيون المسلمين الذين لم يعودوا أهلاً لقيادة الإسلام والمجتمع الإنساني.

فهل عسيتم أن تعودوا إلى ربكم سبحانه وتعالى عوداً جماعياً وأن تستيقظوا على أصوات هذه الشياطين التي يرينا الله عز وجل بها لنعود إلى أخوتنا الإيمانية، ولنعود إلى وحدتنا الإسلامية، ولنمد أيدينا من جديد إلى الله عز وجل نبايعه ونجلس تحت مظلة الولاء له. إن فعلنا هذا حلت المشكلة كلها؛ وإلا فاعلموا أن الأمم الأخرى تحيط بكم، واعلموا أن دول البغي تجتمع من كل حذب وصوب ضدكم.

وما أشبه الليلة بالبارحة، ما أشبه اليوم بذلك اليوم البعيد البعيد إذ كان ينادي منادي الحروب الصليبية وهو يتحول من صقع في أوروبا إلى صقع، حاملاً صليبه يدعو دول البغي إلى محاربة الإسلام وإلى القضاء عليه، ولكنهم لم يستطيعوا أن يوصلوا إلى بغيتهم التي هتفوا في سبيل الوصول إليها؛ ذلك لأن المسلمين عادوا فاصطلحوا مع الله عز وجل آن ذاك، ولأن المسلمين توحّدوا على صراط الله بعد أن شردوا عنه شروداً ما آن ذاك. فلما أبوا أوبة الحق إلى الحق طرد الله سبحانه وتعالى من ديارهم أعداءهم، أما اليوم فيبدوا أننا لا نزال عاكفين على غينا منتشرين في ساحات شرونا تائهين عن أنفسنا وعن ولينا الواحد الأحد سبحانه وتعالى؛ إذاً فليس بدعاً وليس غريباً أن تعود المصيبة التي حمانا الله بها في عصر من العصور وأن تجدوا دول البغي تتنادى وها هي ذي قد تنادت وتحيط بنا، وها هي ذي محيطة هدفها في الظاهر وهو هدف يخاطب به الأغبياء والسذج فقط ما تعلمون من الأسباب الشكلية، أما هدفها الحقيقي المرسوم في أذهانهم والمنشور في صحفهم والمعلن عنه في إذاعاتهم، فهو عبارة عن حملة صليبية يعلنون في تبجح أنها ستكون الحملة الصليبية الآخرة الناجحة، هذا ما يقولون ولكن الله من ورائهم محيط، ولكن الله من ورائهم محيط، وهو ناظر إلى عباده. فإن أبوا إليه أوبة الحق وإن اصطلحوا معه ولو بعد شروء طويل وإن جمعوا أمرهم تحت مظلة العبودية له، فإن الله سيخلق لهم معجزات النصر والتأييد ولسوف يعيد إليهم كل ما سمعتم من خوارق الأمور. ومعجزات الرب التي أكرم الله بها عباده له من قبل.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهم عباده الرشد وأن يعيدهم إلى صراطه العزيز الحميد. أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم.

## الفتنة هي الباب الذي يدخل منه العدو إلى ديار المسلمين - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠٠٥/٣/١١

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم - أيها المسلمون ونفسي المذنبه - بتقوى الله تعالى.

أما بعد، فيا عباد الله!

لا شك أن احتلال العدو المشترك لأرض إسلامية من أكبر المصائب التي تحيق بالمسلمين، ولكن هذه المصيبة لا يمكن أن تتسرب إلى أرض من بلاد الإسلام إلا من خلال بوابة واحدة لا ثاني لها، هذه البوابة هي الفتنة التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن خلال هذه البوابة يتسرب العدو إلى أرض المسلمين، ويسيطر يده عليهم، ويغتصب حقوقهم.

وما هو المعنى الملخص للفتنة التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ضافياً؟

هي تتلخص في عدوان المسلمين بعضهم على بعض، كل ما حدثنا عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الفتن وأنواعها يتلخص في هذا الشيء، عدوان المسلمين بعضهم على بعض، وأحاديث الفتنة كثيرة جداً، وكلها يدور على هذا المعنى.

تأملوا مثلاً في قوله صلى الله عليه وآله وسلم، فيما يرويه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقتلوا أئمتكم، وتعتلجوا بسيفوكم - أي تتقاتلوا أنتم المسلمين بأسلحتكم - ويرث دنياكم شراركم".

انظروا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه الترمذي وأبو داود بسند صحيح، من حديث حذيفة بن اليمان، بيت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "أما والذي نفسي بيده ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي" قال حذيفة: رأيت يا رسول الله إن دخل داري وشهر سيفه علي وبسط يديه ليقتلني؟ قال: "كن كخير ابني آدم". أي كن كما قال خير ابني آدم: (لَيْسَ بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ) [المائدة: ٢٨/٥].

وسائر أحاديث الفتن تدور على هذا المحور أيها الإخوة! إنها تتمثل في عدوان المسلمين بعضهم على بعض بذرائع مختلفة يبررها الشيطان ويحذر منها الرحمن سبحانه وتعالى.

وإني لأذكر ولعلكم جميعاً تذكرون يوم كانت تنشر بذور هذه الفتنة التي نشهد ثمارها اليوم، يوم كانت تنتشر بذورها متمثلة في كتب توزع مجاناً في مشارق الأرض ومغاربها، تنطوي على تكفير المسلمين، على تبديع المسلمين، على تحليل دماء المسلمين. وكنا نقول: أيها الناس! إنها بذور لفتن، وإن هذه البذور إذا استنبتت لن تنبت إلا الحناظل، وإنها ستفجر بالفتن التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن لم يكن الذين ينثرون وينشرون هذه البذور، لم يكونوا يسمعون هذا التحذير قط، كانت هنالك قوى ولا شك تدعم هذا العمل، تدعم هذا النثر والنشر؛ من أجل أن تفتتح بوابة الفتنة، فيتسرب العدوان من خلال هذه البوابة.

أيها الإخوة. وها أنتم ترون حصاد تلك البذور، اليوم القتل يستحر بمن؟ لا بالعدو المحتل، وإنما يستحر كل يوم بعشرات من إخوانكم المسلمين المؤمنين الذين لم يقتلوا نفساً بغير نفس، ولم يشركوا بالله، ولم يرتكبوا الزنا، وهذه هي الأسباب التي أباح

الإسلام من أجلها قتل المسلم، لم يرتكبوا شيئاً من ذلك، ومع هذا فما نحن في كل يوم نفتح أعيننا على صباح جديد من الفتن لا تتمثل في قتال العدو المحتل، وإنما تتمثل - كما قلت لكم - في القتل الذي يستحر بمسلمين.

ما المبرر أيها الإخوة؟ ارجعوا إلى بذور الفتن، البذور التي كانت تتمثل في الكتب المكفرة: إنهم أعوان سلطنة، إذن فهم كفرة، إذن ينبغي أن يقتلوا.

أي دين قالها؟ أي آية قالها الله عز وجل نصت على حكم بإطلاقه؟ أي حديث نبوي صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن هذا؟

الذي يعرفه المسلمون أن الإسلام يتضمن نقيض ذلك، لا أعلم أن هنالك من كان عوناً لأعداء المسلمين مثل حاطب بن أبي بلتعة، هذا الرجل المسلم الذي أرسل كتاباً سراً إلى أهل مكة المشركين، ينبئهم بأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد جهز جيشاً؛ وهو يوشك أن يتجه إليهم لفتح مكة، فخذوا حذرکم. ومع ذلك فهل أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه؟ هل قتله؟ جاء من يفكر في ذلك فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "وما أدراك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعالوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

وما من مسلم إلا وقد تقرب إلى الله بعمل، بما يجعله الله شافعاً للذنب الذي ارتكبه عند الله سبحانه وتعالى، وأدل من هذا وذلك خطاب الله عز وجل الذي تنزل بهذه المناسبة تحذيراً لهذه الغلظة التي وقع فيها حاطب ماذا قال الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) [المتحنة: ١/٦٠] خاطب الله حاطب بن أبي بلتعة وأمثاله بوصف الإيمان: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلَفُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) [المتحنة: ١/٦٠].

ما هو المبرر أيها الإخوة لهذا الذي يجري اليوم؟ متحدياً تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم، معرضاً عن أخباره المتكررة المنذرة المحذرة: "والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا أمتكم - حكامكم - وتعتلجوا بسيوفكم". أي تتقاتلون - أتم المسلمون - بأسلحتكم، والسيوف كناية عن السلاح الموجود لكل عصر.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ولكننا نسمع ما يجري في كل يوم من دوران رحى القتل على مسلمين أمثالكم، وننظر إلى العدو الجاثم على الصدر، ننظر إلى العدو المستحل للأرض، الغاصب للحقوق، وإذا هو يصفق، وإذا هو لا يبيع فرحته لأحد، أنتم مجاهدون؟ أهذا هو الجهاد الذي تزرعون الفرحة في قلوب أعدائكم؟ أيها الإخوة، ما هكذا يكون الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، ومهما تاه مسلم عن مبادئ دين الله، ومهما تاه مسلم عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ينبغي أن يغيب عن بيان الله سبحانه وتعالى المخبر والمندر (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ \* وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) [الأنعام: ٦٥/٦-٦٦]. ها هو ذل (أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ). هذا هو الذي يجري اليوم، يدوق المسلمون بأس المسلمين، ما في المسلمون من عدوان المسلمين بعضهم على بعض، أهذا هو الدين الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

## كلمة وجهها الدكتور البوطي إلى الإسلاميين في الجزائر أيام الفتنة في تسعينيات القرن الماضي

هذه كلمة مضمخة بالحب والنصح وجهها الدكتور البوطي إلى الإسلاميين في الجزائر أيام الفتنة التي حاقت بها في التسعينيات من القرن الماضي. وما هي ذي تحترق أسوار الزمن تحاول الوصول إلى أسماعنا لنعتر، فهل تجد عندنا آذاناً صاغية؟

عن نفسي أقول: أشهد أنك يا سيدي قد بلغت النصيحة ولم تحش في الله لومة لائم، وأسأل الله عز وجل أن يجزيك عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأن يحشرنا وإياك مع الأنبياء والصديقين. آمين

نعود إلى الكلمة، قال:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

أيها الإخوة المسلمون في الجزائر من كل الجماعات والفتن والاتجاهات. هذا نداء يتوجه به إليكم أتح لكم أحبكم في الله عز وجل من شغاف قلبه، وسعد بسلسلة لقاءات معكم في مختلف الولايات، من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها. كانت كلها في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وكان جميعها يتضمن النصيحة الصافية ورسم الطريق السوي إلى الاعتصام بحبل الله وإعادة بناء المجتمع الإسلامي.

واليوم وقد حيل بيني وبينكم وقامت بيننا حواجز فتن لا تدور رحاها إلا على حصاد المكاسب الإسلامية التي كنتم إلى أمس القريب صناعها ثم حراسها، كما قد قامت من جزاء هذه الفتن حواجز بينكم وبين دعاة ربانيين آخرين لم يقصروا يوماً في تقديم النصح الثمين لكم مضمخاً بلوعة الحب لكم والإخلاص لمولاكم وخالقكم. اليوم أبعث بندائي هذا إليكم من ربوع الشام وكلي أمل بأن آلاف القلوب التي كانت يوماً ما تقبل إلى نصائحي بالاهتمام والقبول لاتزال على العهد، ولا تزال على يقين بأنني لا أبتغي برضى الله أي بديل إن نصحت أو حذرت، ولا تزال توقن بأنني لا أنطلق إلى نصائحي إلا من علم بما يمليه علينا حقيقة هذا الدين، بعيداً عن كل هوى أو عصبية أو مصلحة دنيوية عاجلة.

لن أعيد إلى ذاكرتكم التحذيرات التي كنت أكررها بجرقة بالغة من أن تقتحموا أخطاءً تزج بكم وبهذا القطر الإسلامي العزيز في أخطار بالغة لا يعلم عقباها إلا الله عز وجل، ولن أعيد إلى ذاكرتكم حديثي عن الخطة الغربية الماكرة التي تحاك في الظلام ضد إسلام هذا القطر الذي كان يتنامى نوره في صدور رجاله ونسائه، شبيه وشبان، شعبه وحكامه، كما تتنامى أشعة الشمس المتوهجة إذ تبتثق من مشرقها صاعدة إلى كبد السماء.

لن أعيد إلى ذاكرتكم هذا ولا ذلك، فحديث الماضي لا يزيد الكبد إلا احتراقاً، ولا القلب إلا جراحاً. لقد تم قضاء الله ووقع ما كنا نخشاه، والفرصة السانحة أمامنا اليوم هي أن نجعل مما مضى درساً وعبرة لما هو آت كما هو شأن المسلم دائماً.

لا شك بأنكم أيها الإخوة تعرفون أنفسكم دعاءً إلى الإسلام وتطبيقه والحكم به، إذن فأنتم مسلمون على أقل تقدير، بل كيف لا وأنتم الناشطون للدعوة إليه. ولكن ألا ترون أنكم تختلفون فيما تقدمون عليه حتى البدهيات من حدود الإسلام وأحكامه؟ ألا ترون أن دعوتكم إلى الله والإسلام قد انقلبت إلى سعي حثيث للثأر للذات والانتصار للنفس دون أدنى انضباط بحكم الله وشرعه؟

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"، فما لكم تتربصون بإخوانكم مسلمين ذبحاً وتقتيلاً هنا وهناك؟ ولطالما تلاقيتم معهم أو مع كثير منهم في المساجد، جمعكم الإقبال على الله والسجود بين يدي الله. لأن الأقدار وجهتكم إلى طريق الدعوة إلى الإسلام ووجهتهم حراساً أو شرطة أو موظفين في مرافق الدولة، اكتسبوا بعملهم الردة والإجرام، واكتسبتم من الله حق قتلهم والقضاء عليهم؟ أين وفي أي آية من كتاب الله أو حديث من كلام رسول الله أو مذهب لإمام

مسلم رأيتم هذا الحكم القضائي؟ بل حتى الدولة نفسها، لأنها استثيرت من جزاء مواقفكم وتصريحاتكم الاستفزازية فثارت وصدتكم عن بلوغ الحكم، أصبحت كافرة مرتدة وأصبحتم المخولين في الثورة عليهم وقتل من تتمكنون منهم؟ ألم يشترط رسول الله لذلك الكفر البواح الذي لكم عليه من الله سلطان؟ فأين هو الكفر البواح؟ وهلاً رأيتموه وحكمتم عليهم به قبل أن تقع بينكم وبينهم هذه الخصومة التي لا علاقة ولا شأن لها بكفر ولا إسلام؟ ألا تعلمون أنهم جميعاً مسلمون ولشهادة "أن لا إله إلا الله" مرددون، وأن رسول الله أمرنا أن نقضي بالظاهر ونكل السرائر إلى محكمة الله؟ ثم ألا تذكرون وأنتم الدعاة إلى الله وإلى اتباع رسول الله كم حذر رسول الله من الولوج في ساحة الفتن، وكم حذر من القتل في غمار الفتن، وكم أمرنا بأن نحطم سيوفنا وندخل بيوتنا أو نلحق بشعاف الجبال وأن نكون المقتولين المظلومين إذا ألقينا ولا نكون القاتلين الظالمين إذا تمكنا؟ كل ذلك في سبيل أن لا تراق قطرة دم لمسلم ظلماً أو بدون حق، فما لكم أيها الإخوة لا تتبعون رسول الله فيما أوصاكم به؟ وما لكم تصرون على اقتحام نقيض ذلك كله وأنتم الدعاة فيما تزعمون إلى اتباع رسول الله؟ أين هي قيمة وصية رسول الله لكم يوم خاطبكم في حجة الوداع من وراء أسوار الأجيال والقرون قائلاً: "أيها الناس لا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض"؟ أهذه هي ترجمة حكم رسول الله يا من نسيتم بل تناسيتم أعلى وصية ودعكم بها رسول الله؟

ألا فلتعلموا أن كلاً منكم سيقف في الغد القريب بين يدي الله وسيسألكم عن الدماء المسلمة البرينة التي أرقتموها والنساء اللاتي رملتموهن والأطفال الذين يتمتموهم، فماذا أنتم قائلون؟ وما هي الحججة التي أمسكتموها بيدكم اليوم لتمضوا بها إلى الديان غداً إذا قام الناس لرب العالمين؟ هل تملكون اليوم مثقال ذرة من دليل شرعي على أنهم ارتدوا عن الإسلام فاستوجبوا القتل؟ بل هل تملكون اليوم مثقال ذرة من دليل على أنكم لستم خاضعين لقانون الله وحكمه ومسئولية الدية بل القصاص؟ وهل تملكون بين يدي الله حجة تبرئكم من مسؤولية هذا العدوان؟

ألا تعلمون وأنتم الذين تعلمون الناس الخوف من الله وتحذروهم من أنه مطلع على السرائر وما استكن وراء الصدور، ألا تعلمون أن الله مطلع على الدوافع الخفية في نفوسكم وأنكم إنما تنطلقون إلى هذه الأعمال بدافع رغبة في الثأر للنفس والانتصار للذات؟ ولذا فقد هان عليكم أن تقتحموا في سبيل هذه الرغبة حدود الله وحكمه؟ ومهما أتيج لكم أن تخفوا سرائركم هذه وراء اصطناع المبررات الشرعية فهل تخفي السرائر على قیوم السماوات والأرض وهو القائل: {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}؟

أيها الإخوة، إن من السهل على من لم يكن يشعر قلبه بمهابة الله وخطورة أحكامه وأهميته حرمانه أن يرى الرأي بينه وبين نفسه، أو بينه وبين شيعته وحزبه، ثم يعلن بشجاعة أنه الحكم الإلهي الحق ويسعى لاهتاً إلى تنفيذه دون أن يستشير في ذلك أهل الدراية والاختصاص. وما أيسر أن يفعل ذلك كل ذي رعونة في النفس أو شهوة في القلب ويتحول الإسلام عندئذ إلى أحكام متنافرة وينقسم المسلمون إلى فئات متخاصمة متحاربة وإن لكم في التاريخ القريب والبعيد لعبرة وأي عبرة.

أما من استشعر عظمة الله وراء صدره وهيمت مهابة الله على قلبه وأدرك أنه العبد المؤمن على تنفيذ أحكامه صافية عن شوائب النفس والهوى، فهذه هي هيات أن يقطع بأمر من أمور الإسلام وحكمه إلا على حذر، وإلا بعد بيينة دقيقة من العلم وبعد الرجوع إلى مشورة من عرفوا بالإخلاص والتقوى من ذوي الاختصاص العلمي بشريعة الله. وحتى بعد ذلك كله فهم في خوفهم من العواقب كما قال الله عز وجل عنهم: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}. فهلاً كنتم أيها الإخوة من هذا الفريق الثاني السائر على هدي الله وستة السلف الصالح بدلاً من أن تسلكوا مسالك الفريق الأول.

ألا فلتعلموا أيها الشباب أنكم قد انحرفتم بسيركم هذا عن صراط الله، وتنكبتم عن جادة الدعوة إلى دين الله، وتحملت أوزاراً خطيرة في ميزان شرع الله، وإنني لأدعوكم وأنا الأخ الناصح لكم، بل أنا ذاك الذي ما فتى يعتد بحبه للجزائر، وينتشي طرباً بتفاعله مع إسلام الجزائر، ثم إنني

أناشدكم بماضي حبكم لي في الله وبصايق حبي لكم في سبيله، أن تستيقظوا من نشوة انتصاركم للذات ثم أن تسرعوا فتصححوا أخطاءكم بتنفيذ ما يلي:

أولاً: توبوا إلى الله مما أقدمتم عليه، ولا يصدنكم عن ذلك أي عزة تستشعرونها.

ثانياً: اصطلحوا مع حكامكم فإن بينهم وبينكم من وحدة الدين ما هو أقوى من كل خلاف وصراع، وهيهات أن تملكوا دليلاً على خلاف ذلك، واعلموا أن الخطر العالمي المقبل على الإسلام اليوم لا يمكن القضاء عليه ولا مقاومته بالتشاكس مع حكامكم بل هو الذي يزيد هذا الخطر قوة وقرباً كما لا يخفى على أي عاقل، وإنما يمكن أن يتم القضاء عليه بسد الثغرات والخصومات فيما بينكم وبينهم، وتوفير الجهود كلها للتصدي للخطر العالمي الداهم والذي يستهدف كبد الإسلام وجوهره.

ثالثاً: أعلموا حكامكم وأكدوا لهم أنكم دعاة إلى دين الله، ومن ثم فإنكم لا تطمعون بكراسيهم وإنما تطمعون كل الطمع بعقولهم، كما هو شأنكم مع سائر الناس، واشتروا عليهم أن تفتح الأبواب عريضة بينكم وبينهم وبين سائر فئات الشعب الجزائري لتملكوا دعوتهم جميعاً إلى التعرّف الحقيقي على دين الله عزّ وجلّ ثم إلى الالتزام بأوامره وأحكامه، وأغلب الظن أن حكامكم لن يترددوا في إعطائكم هذا الحق، وفي أن يقفوا مع عامة الشعب يصغون إلى نصائحكم وتوجيهاتكم وإرشاداتكم إذا ما توهجت نصائحكم هذه بحرقه الصدق والإخلاص. ووالله الذي لا إله إلا هو، إن فعلتم ذلك عن دراسة ووعي وأخلصتم في اتباع قول الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} فإن الله سيفتح أمامكم مغاليق القلوب، وسيكون لكم من ذلك فيما بعد أوسع مرفاة تصعد بكم إلى الحكم الإسلامي دون انحراف ولا آفات.

أيها الشباب هذه نصيحتي لكم اعتصمتم بها من كتاب الله وسنة رسوله على ضوء معارفي الشرعية التي وقفت حياتي كلها في سبيل استحصالها وتمحيصها جهد الاستطاعة من سائر الشوائب والأهواء، ومع ذلك فإنني لست الإنسان المستبد برأيه، وكيف أهاكم عن الاستبداد ثم أكون من المستبدّين، فإن ارتبتم في أن الحق هو ما أقول لكم فإنني أدعو نفسي وأدعو كلاً منكم إلى تحكيم رجل كلكم يعلم صدقه مع الله وإخلاصه في سبيل الله، ثم إن كلاً منكم يوقن بسعة علمه وعمق درايته بمبادئ الشرع وأحكامه، كما لا يخفى على أي منكم طول تجربته وسعيه على طريق خدمة هذا الدين، وهو الشيخ أحمد سحلو [الاسم غير واضح في التسجيل] أمد الله في عمره وزاده قوة وتوفيقاً، فحكموه في هذا الذي أقوله لكم، وإنني معه في كل ما ينصحكم به ويدعوكم إليه.

أيها الإخوة، أيها الشباب، إنني لا أشك أن إسلامكم سيحملكم على اتباع ما أقول، وكيف لا تتبعون ما أقول وأنتم تعلمون أن الدين هو النصيحة كما يقول رسول الله في الحديث الصحيح، ومن ذا الذي يكون مسلماً ثم لا يقبل النصيح الذي هو الدين؟ أما إن أبيتتم إلا التشبث برأيكم على الرغم من أنكم الشباب الأغرار في معرفة دقائق الإسلام وشرعه، وأبيتتم إلا تفضيل هذا الاستبداد الذي نهي الله عنه على الشورى التي أمر الله بها وأبيتتم الرجوع إلى من شهدت الجزائر كلها بإخلاصه وعلمه ووعيه، فإنني لأستعيد بالله من فتنة دهماء تزحف زحفها إلى هذا القطر الإسلامي العظيم، فتنة لا شك أن العدو سيتسرب من وراء دخانها إليكم ثم يضرب بجذوره فيما بينكم ثم يمعن في استلاب خيراتكم وحقن إسلامكم، ولسوف تتحملون مسؤولية ذلك كله أمام عباد الله اليوم، وبين يدي رب العالمين في الغد القريب الذي نحن جميعاً مقبلون إليه وليس لنا عنه أي مفر.

هذه نصيحة إنسان محبّ لكم يعتقد إلى هذه اللحظة أنه يلتقي معكم على صراط الله، وتحت مظلة العبودية لله، استقاها مما علمه ووعاه من شريعة الله، ولا والله لا قصد له من ورائها إلا الحصول على رضى الله وتطبيق أمر رسول الله القائل: "الدين النصيحة"، فإن قبلتموها فذلك المظنون بكم، وستعودون بالأجر الكبير والنجاح القريب، وإن ترفضوها فاذكروا أنكم رفضتم النصح الذي هو الدين والذي أمر الله بقبوله، وسأترككم معزياً نفسي بقول الله عز وجل على لسان أحد الناصحين من عباده: { فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُّ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ }، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل، اللهم اشهد أنني قد بلغت ما قد علمت والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## إن الفتنة وكلت بثلاث - د. محمد أبو الفتح البيانوني (مشاركة من الإنترنت)

أخرج ابن أبي شيبة في مُصنّفه (١٥/١٧-١٨)، وأحمد في الزهد (٢/١٣٦) وغيرهما عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: (إن الفتنة وُكلت بثلاث: بالحداد الخزير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليها، وبالسيد. فأما هذان: فتبطحهما لوجودهما، وأما السيد: فتبثحه حتى تَبَلُو ما عنده).

وفي رواية (بالشريف) بدل (وبالسيد) وفيها: (فأما الحداد الخزير: فتصرعه، وأما هذان فتبثحتهما حتى تَبَلُو ما عندهما).

والخزيرُ: هو الفَطْنُ البصير بكل شيء، و تُوكَلُ الفتنة به إن كان حاداً غير حليم، ولا أناة عنده، يُريد الخير بمجرد وقوفه ومعرفته له، دون اتباع منهج الله في التغيير، ودون النظر إلى مآلات الأفعال، وعواقب الأمور.

وتشمل كذلك المعجبين به وبقراراته وأطروحاته، فيشاركون فيها بشرفهم وسيادتهم، وبألسنتهم وخطبهم، ومقالاتهم، ومؤلفاتهم، ونشراهم وصحفهم، وهيئاتهم، فتختبرهم الفتنة، وتَبَلُو ما عندهم.

فالخطيب والداعي لها أقرب منها من الشريف المعجب الذي بَهَرته الزخارف، وغرته الشعارات، ولعله إن تأمل، وتحلم، ونظر، وفكر، ودبر، وقدر، يَخْلُصُ منها إن تداركته رحمة مولاه، وخرج عن داعي هواه..)

\* مقتبسة بتصرف من بحث الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان -حفظه الله-

رغب إلي بعض الإخوة والأخوات زيادة شرح وتفصيل لما ورد في المقالة السابقة، واستجابة لرغبتهم أقدم التوضيحات التالية:

أ - إن الحديث الوارد في المقالة السابقة: حديث موقوفٌ على الصحابي: حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أمين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس مرفوعاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويغلب على الظن أن يكون له حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن ما جاء فيه مجرد أخبار لا تقال بالرأي والاجتهاد، وقد صحح سنده بعض العلماء.

ب - ومُجْمَلُ معناه: أن الفتنة إذا وَقَعَتْ تؤثر تأثيراً سلبياً شديداً في ثلاثة أصناف من الناس، أكثر مما تؤثر في غيرهم، وهم:

١. الرجل الذكي الفَطْنُ حاد المزاج، الذي يتأثر سريعاً بكل شيء يمر عليه، ويتفاعل معه دون تبصّر بالنتائج والعواقب، فينساق مع الأحداث...

٢. الخطباء الذين يُلهبون عواطف الناس، ويحركونها في مسار الفتنة، تبعاً لرأي وموقف ذلك (النحير)، وهم في الاصطلاح: غير العلماء الذين يُعقلون الناس ويصبرونهم بالعواقب والمآلات... وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة: أن من علامات الساعة: كثرة الخطباء، وقلة العلماء والفقهاء...

٣. الزعماء والوجهاء من الناس، الذين يتبعهم الناس مجرد شهرتهم وموقعهم الاجتماعي أو السياسي بينهم، وليس بسبب علمهم وخبرتهم بالأمور وعواقبها...

فَتَصْرَعُ الفتنة الصنفين الأولين، وتبطحهما على وجوههما، وتختبر وتبلي الصنف الثالث، الذي قد يتبصر في الأمر وينجو من شر الفتنة.

ج - فَمَنْ تَقَهَّمْ معنى الحديث تماماً، ولاحظ واقع الفتن التي تدور اليوم هنا أو هناك، وعرف رجالها، وخطبائها، وأبطالها، بأن له موقع هؤلاء الأصناف الثلاثة من تلك الفتن، وعَلِمَ: أنه لا نجاة من شر الفتن الظاهرة والباطنة إلا بالعلم الراسخ، والاتباع الكامل لمنهج الله ورسوله

في التعامل معها، حيث يُعصم المرء بذلك من أن يكون (إمعةً) يقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت، وإن أساءوا أسأت، أو يكون عاطفياً، تجنح به عواطفه عن مسار التبصر والتعقل ... فيتبع كل داع إلى الفتنة مُحرض عليها، سواء كان هذا المحرض خطيباً مفوهاً، أو زعيماً مُسوداً في جماعته...

اللهم أعدنا من شر الفتن، ما ظهر منها وما بطن، واجعلنا من الذين يتحصنون منها بالعلم واتباع العلماء والعقلاء، إنك على ما تشاء قدير.



## العلماء والدهماء في الفتنة الشعواء - عبد الله لعريط من الجزائر

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى اللهم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أحبتني في الله: ما جرتني لكتابة هذه الأسطر وهذه الكلمات هو ما أصبح يتحدث عنه الناس اليوم في قرية نائية في مدينة بعيدة من مدن الجزائر من فقراء تقطعت بهم السبل وضاعت عليهم الدنيا بعدما هاجت في بلادهم نار الفتنة وخرجوا منها مرغمين من هول الصراع الدامي الذي لم يخلف سوى الدمار والشنار، تاركين أمواهم وديارهم إنهم متسولون من سوريا الحبيبة على أبواب مساجدنا!..

وطبعاً من عادتنا نحن في الجزائر أننا نجل في الشام أهلها فلو ترى حينما انكب عليهم الناس يقبلون وحتى يكون من هول هذا الموقف الرهيب وهم يتضرعون لله بصوت عال أن يفرج الله محتهم ويرفع غبنهم وينزل غشاوة من على قلوبهم.

إن هذا المنظر مخزن للغاية حينما ترى ناس أبرياء وأطفال لا ذنب لهم مما يحدث في هذه البلاد التي تكاد أن تمزقها نار الفتنة المحبوكة من قبل أعداء الله ورسوله.

منظر يستوجب على كل غيور داخل سوريا وخارجها أن يسعى سعيًا حثيثاً مشروعاً في إيجاد الحلول التي من شأنها أن تنقذ هذه البلاد المباركة من مكيدة دبرت بلبيل تحيكها أيدي خفية لا يعلمها كثير من خلق الله.

منظر قادي كعضو في أمتي أحس بالآلام ومعاناة باقي الأعضاء، وفي الحقيقة أن سوريا جرح عميق مس سائر الجسد وبقائه فالأمة على شفا حفرة من نار الحملات الصليبية التي لا تبقى ولا تذر والتي حينها نفيق ولكن بعد فوات الأوان.

أيها الإخوة الأحبة: والله لن يستقر الوضع في سوريا ولو امتد امتداد حرب الداحس والغبراء حتى يصطلح شعب سوريا حاكماً ومحكوماً فيما بينهم.

فعودوا لرشدكم وأنقذوا أنفسكم من هذه الفتنة الشعواء والتي أهلكت حركتكم ونسلكم وعاد ضررها على البراء منكم الذين لا ذنب لهم من تنازعكم وتصارعكم، فاتقوا الله في هذه الأرواح البريئة واصطلحوا فيما بينكم واتركوا الحمية وغضب الجاهلية ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا وأضلوا واسمعوا لنداء ريكم خير حاكم بينكم: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) جميعاً: لا فرق بين أبيضكم وأسودكم وعالمكم وجاهلكم وحاكمكم ومحكومكم.

وإياكم ودعاة التمزق الذين علموا الحق وآتاهم الله آياته فانسلخوا منها فأتبعهم الشيطان فهو اليوم وليهم وقائدهم ومرشدهم، والحذر إخواني من الغرور بهم فهل من ناصح بعد الله سواك يا رسول الله قال الحبيب صلى الله عليه وسلم فيهم: (دعاة على أبواب جهنم من أحابهم إليها قذفوه فيها قلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) صحيح البخاري.

أخي لا يغرنك فقه فقيه ولا علم عالم ولا فصاحة أديب إذا كان هؤلاء ممن ابتلاههم الله بالغرور فظنوا بأنفسهم خيراً ونصبوا أنفسهم حكماً على خلق الله يدخلون من وافق هواهم الجنة ومن خالفهم فالنار وبئس القرار.

من العجب العجاب: كيف تفسر اعتقاد بعض من ابتلوا بأفكار يتعوذ منها الجاهل الأمي ناهيك عن العارف التقى، أن في وحل هذه الفتنة وهذا العذاب المسلط بفعل الذنوب والمعاصي ولا يظلم ربك أحداً أن ناساً ظنوا أنه جهاد من مات في صفهم فهو شهيد (المغرور مات وقد نصب كمين لإخوانه الموحدين فمات في الكمين مسلم بات قائماً وأصبح صائماً، ثم قفز على قفا هذا التقى الخفي إلى جنة الفردوس الأعلى، فلا حول ولا قوة إلا بالله ..!

ولا غرابة أشد من ذلكم الداعية التحرير الذي انقلب رأساً عن عقب وانسلخ من آيات الله وراح يدعو للصدام والتناحر وإراقة دماء أصفى من اللبن وأطهر من ماء عدن، وقد سول له الشيطان بأن يكون حكماً بين خلق الله يجرم دم هذا ويحرم دم آخر: (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ).

أيها الأخ الحبيب في سوريا: إن لك أن تقتدي وتحتدي بجماعة أولوا بقية حباهم الله واجتباهم ليعرفوا خير خلف لخير سلف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله إن قولهم لنور تظمنن له النفوس ودعوتهم نور على نور لا يزالون مستمسكين برسالة نبيهم السمحة وهم يعصون عليها بالنواجد لكثرة المخالفين وهو شأن الأنبياء من قبل.

أيها الإخوة الأحبة: إن الفتنة اليوم أعظم من ذي قبل لكثرة الذنوب والمعاصي واسمعوا ما يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَمُؤْمِنًا كَافِرًا أَوْ يُؤْمِنُ مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) رواه مسلم.

فكلمة الرجل تبين شدة الفتنة فوصف الرجولة دال على الحد والحزم من هؤلاء، ثم أضيف لها وصف أعظم وأخطر وهو الإيمان المتمثل في اليقين الخالص بالله وبما عند الله، ثم ينتكس هذا على أم قفاه انتكاسة زاوية ميلها عظيماً فبين الغدوة الروحة والعشية والصبحة ينقلب على عقبه، وقت قصير ولكن الانقلاب خطير فمن اليقين والإيمان إلى الكفر والطغيان.

إن مصيبتنا اليوم ليست في أن يسلب الله علينا بغاة أو طغاة إن أعوص وأخطر المصائب أن نبتلى بدعاة، دعاة ألسنتهم أحلى من العسل يتكلمون بلسان عربي مبين إذا رأيتهم تعجب أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم، وهذا لدلالة شدة الغضب الرباني.

إن ما زاد في النار اشتعالاً هو التسرع وعدم التبصر بعواقب الأمور والغرور الذي امتلأت به الصدور.

إن الرعاع ودهماء الناس فلا ركن لهم يركنون إليه ولا ظل لهم يهتمون به فهم يخبطون خبط عشواء لا قرار ولا استقرار.

فتجد دعاة الخطمة من يستغل ضعف المستضعفين وجهلهم بكثير من أمور الدين ويجعلونهم أداة في أيديهم يستعملونها من أجل تطبيق أفكارهم وإنجاح مشاريعهم التي ينسبونها للإسلام والإسلام منها براء.

ألا فاتقوا الله تعالى وخافوا من هول الموقف، واقبلوا النصيحة فالدين النصيحة ولا تركبوا أهواءكم ولا تظنوا أنكم بلغت مراتب الصديقين والشهداء والصالحين، أو أن الله قد غفر لكم ما تقدم من ذنبكم وما تأخر فأنتم بشر كبقية الناس تصيبون وتخطئون وخير الخطائين التوابون فعودوا لنهج نبيكم وحبيبتكم وغيروا من لهجتكم في خطاب الناس وادعوا إلى الحوار والمصالحة بينكم ونبذ العنف والتصادم ورفع السلاح، واعلموا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

أخي أو أبي: حتى ولو كنت عالماً جليلاً أو من أكبر دعاة بني زمانك فأنت لا شيء لأن الذي أمدك بذلك هو الله.

أرشدك إلى لطيفة يا عبد الله: يقول الباري سبحانه وتعالى لنبيه وصفوته من خلقه صلى الله عليه وسلم: (وَلَيْنِ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا).

فلو شاء الله تعالى أن يرفع القرآن الكريم من صدر نبيه صلى الله عليه وسلم ويذهب بعلمه وفقهه أي: يسلبه أعظم نعمة انعم بها عليه وعلى أمته.

فمن تكون أنت حتى تغتر بعلمك وبيع بعض ما آتاك الله من البيان وما أنعم عليك من فصاحة اللسان فرمما يجعلها الله هباء منثورا لما طلبت بها الدنيا وكبرياء النفس واتبعت هواك ولم تجعلها فيما أراد الله من تأليف القلوب وتضميد الجراحات.

أيها الدعاة في الشام المباركة: إن من أسباب زيادة الجراحات وتفاقم الوضع هو الاختلاف الظاهر بين علمائكم ودعاتكم.

اعلموا أن أكبر تنازع نهي عنه البارئ سبحانه وتعالى هو التنازع بين العلماء والدعاة وهو سبب الفشل في أي مسعى يسعى إليه طرف الحوار والمصالحة.

فكونوا على قلب رجل واحد وغيروا ما بأنفسكم يغير الله ما بواقعكم.

### أعظم الجهاد:

إن أعظم جهاد في هذه الفتنة أن يضحي كل طرف بكل ما في وسعه ويجاهد نفسه على قبول الحوار والمصالحة.

أولاً: لابتغاء مرضاة الله تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ جُحُوحِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا).

وثانياً: من أجل هؤلاء البراء الذين تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا شذر مذر، وهم اليوم يتسولون في شتى الأقطار.

وأقول يتسولون: فوالله إنهم في بلادنا وفي حيننا وعلى أبواب مساجدنا يمدون بأيديهم طلباً للعون والقوت والغوث فماذا حدث لكم يا أهل الشام يا من كنتم قدوتنا يا كرام!!

فكنا نعبر القارات ونقطع المسافات طلباً لأيديكم وأبدأ لا ننسى فضلكم علينا وعلى الناس يا من لم تبخلوا علينا بكرمكم وجودكم، فهل انتهى هذا الجود والكرم بينكم!؟

أيها الإخوة الأحبة: اتركوا الشحناء والبغضاء واعلموا أن الله تعالى لما بارك في الشام بارك في من فيها ومن حولها فأنتم القوم لا يشقى جليسكم.

فلا سني ولا صفوي ولا شيعي ولا علوي ولا بدعي ولا زنجي ولا طريقي المهم أنك مسلم سوري، رضوان الله عليك ومصالحة البلاد وأمن العباد عندك فوق كل شيء.

### العدو المتربص:

إن الذي زرع بينكم هذه الأفكار وعمل دهنراً من الزمن في نشرها لزعة أمنكم هو عدوكم الحقيقي المتربص بكم الدوائر الذي يرقب عن كتب متى تسقط سوريا فيقيم بعدها عرس زفافه وأنتم المهر والصدقا، لأنها البلد الوحيد والشعب الفريد الذي لا يزال يقلقه ويهيبه ويربكه ولا يهدأ له بالاً حتى يرى سوريا وبالاً، ولا يقر له قراراً حتى يراها تشتعل نارا "إنهم اليهود"!!

أفيقوا واستفيقوا: ألا فاستفيقوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا على ما حل بكم من شدة وفتنة فهي من الله وأطيعوا الله ورسوله فيها ولا تجزعوا بمخالفتكم هدي نبيكم في رفعها عنكم، واعلموا أن الله معكم إن اتبعتم هدي نبيكم وطاعة البقية التي لا تزال تسعى في لمّ شملكم وإيقاف نحر الدم الذي يجري بينكم.

### والسعيد من اعتبر بغيره:

فنحن في الجزائر عشنا دهرًا من الزمن في فتنة شباب لهولها الولدان فلم يرفعها الله عنا حتى رضينا بحكم الله بيننا وجلسنا معاً على طاولة الحوار وتصلحنا في ما بيننا فتألفت القلوب وضممت الجراحات وطويت هذه الصفحة السوداء فلا أحد اليوم يذكرها رغم ما حملت من جراحات وآهات، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فاعتبروا يا أولي الأبصار يا علماء ويا دعاة ولتكن دعوتكم واحدة في التآخي والتصالح ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، إلى الصلح وجمع الشمل وحقن الدماء، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد علمهم ومعرفتهم بدينهم فبفرقتهم تفرقت بالناس الأهواء واختلطت عليهم الأشياء فحلت بالجميع الفتنة الشعواء.

فاللهم أصلح ذات بيننا واجمع يا ربنا شملنا ولم شعثنا واعصمنا من الأهواء وعرفنا في الأعداء.

اللهم أنزل على أهل سوريا الكرام رحمة واسعة تهدي بها للإصلاح صدورهم وتشرح بها للألفة قلوبهم وتؤلف بها بين قلوبهم وتجمع بها شملهم وتوحد صفهم وتفرج بها كربهم وتصدع رأبهم وترفع غبنهم وتنشر أمنهم، يا رحمان يا رحيم.

اللهم أحفظ مشايخ أهل الشام وتقبل دعاءهم واجعلهم هداة مهديين واجعل أفئدة أهاليهم تهوي إليهم وعافهم واعف عنهم وبارك يا رب في علمهم واشكر سعيهم واحشرنا معهم يوم أن نلقاك وأنت راض عنا وعنهم يا رب العالمين وأكرم الأكرمين.

وصل اللهم على سيدنا وحبينا محمد وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.



## حذار حذار من بدعة التكفير - خطبة جمعة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٢٠١١/٧/١

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

كلكم يعلم كم يهيب كتاب الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن يتحدوا وبأن يتضامنوا وبأن لا يتفرقوا وبأن لا يتنازعا ويتخاصموا، وما منكم إلا من قرأ أو سمع كثيراً من الآيات التي يهيب فيها البيان الإلهي المسلمين بالانقياد لهذا الأمر، من مثل قول الله عز وجل: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران : ١٠٣].

وقوله: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [الأنفال : ٤٦]. وقوله: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) [آل عمران : ١٠٥].

ولكن ما هي الضمانة التي شرعها البيان الإلهي لكي يستطيع المسلمون أن ينفذوا هذا الأمر القدسي الذي يكرره بيان الله عز وجل على أسماعهم؟ ما هي الآليات التي بما يمكن أن تتحقق هذه الوحدة وأن يتخلص المسلمون من المنازعات وأسباب التفرق؟ هنالك ضمانات شرعها الله سبحانه وتعالى، تعالوا أحدثكم عن طائفة منها:

**الضمانة الأولى:** دعوة الله عباده أن يتلاقوا على جامع مشترك من هوية العبودية لله سبحانه وتعالى. ولعلكم جميعاً تقرأون قوله:

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أُخْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) [مريم : ٩٣-٩٤].

وما أعلم - يا عباد الله - غذاءً تتنامى به وشيخة الأخوة الإنسانية كغذاء العبودية لله إذ تسري مشاعره بين عباد الله جميعاً فتحولهم مشاعر العبودية لله إلى ما يشبه أفراداً من أسرة واحدة يتلاقون بمشاعر الحب والوئام والتعاون، فهذه هي الضمانة الأولى.

أما الضمانة الثانية: فتتمثل في القرار التي أرسته الشريعة الإسلامية بناء على مصدرها القرآن والسنة، ألا يتعامل الناس في دنياهم إلا بالظواهر التي تتبدى عليهم وألا يقتحم أحدٌ بواطن الآخرين في هذه الدنيا، فلا الحاكم الأعلى ولا القاضي ولا المفتي حتى الرسل والأنبياء لا يملك أحد منهم إذا أراد أن يحكم أو إذا أراد أن يتبين الخير والشر من شخصية إنسان ما لا يملك إلا أن يقف عند الأدلة الظاهرة، فإذا أراد أن يقتحم ذلك إلى الباطن جاء التحذير من لدن رب العالمين لينبهه إلى أن المحكمة الباطنة موكولة إلى الله سبحانه وتعالى، فهذه هي الضمانة الثانية. لا يجوز للإنسان أن يحكم على الآخرين إلا بظاهر ما يتبدى له.

أما الضمانة الثالثة: فهي ما يقرره بيان الله عز وجل من أنك إذا رأيت احتمالين يتجادبان شعورك تجاه أخ لك أحدهما حسن الظن والآخر سوء الظن، يأتي بيان الله عز وجل ليأمرك بأن تنبذ سوء الظن وتلقيه ظهرياً وراءك وأن تعتمد على حسن الظن: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات : ١٢].

هذه الضمانات الثلاث هي التي تضمن يا عباد الله أن تتحقق الوحدة المنشودة بين المسلمين في أي عصر من العصور. هي الضمانة ألا يتسرب إليهم الشقاق وأسبابه.

تعالوا الآن يا عباد الله لنجد تطبيقات هذه الضمانات التي أرستها شريعة الله سبحانه وتعالى فيما بيننا.

من أهم تطبيقات ذلك ما قرره علماء المسلمين بالإجماع من أن زيداً من الناس إذا طافت به احتمالات الكفر وكانت احتمالات كثيرة ولم يبق إلا احتمال واحد في المئة لا اعتبار أنه لا يزال مسلماً فإن هذه الضمانات الثلاث التي حدثتكم عنها تجبرنا بأن نتمسك بالاحتمال الباقي الواحد وأن نطوي دلائل كفره، هكذا بين لنا المصطفى عليه الصلاة والسلام، انظروا إلى مصداق هذا الكلام.

روى الشيخان في صحيحهما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان).

فذرة الإيمان هذه هي التي تساوي أقل من واحد في المئة، ولقد أعلن المصطفى عليه الصلاة والسلام أن هذه الذرة تبقية مسلماً ولا يجوز لنا أن نلتفت إلى الاحتمالات الكثيرة الأخرى. أرايتم إلى هذه الدلالة في هذا الحديث الذي اتفق عليه الشيخان.

تعالوا إلى هذا الدليل الثاني: روى الشيخان أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام كان جالساً مع أصحابه إذ دخل رجل فسأه في أذنه، يقول راوي الحديث: فلم ندر ما ساره حتى أجابه رسول الله عليه الصلاة والسلام رافعاً صوته وإذا به يستشير في قتل شخص يرى أنه غير مسلم، قال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ألا يشهد أن لا إله إلا الله؟) قال: بلى ولا شهادة له، قال: (فأولئك الذي منعي الله سبحانه وتعالى منهم).

تعالوا أيها الإخوة إلى مزيد من الأدلة على هذا المعنى الذي تتمثل فيه الضمانات الثلاثة التي حدثتكم عنها، أحاديث صحيحة كثيرة وصلت إلى درجة التواتر المعنوي كلها تتضمن معنى واحداً:

(من قال لا إله إلا الله مخلصاً بها دخل الجنة) (من عاش لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) (من كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة) وأحاديث كثيرة أخرى بلغت كما أقول لكم مبلغ التواتر المعنوي.

تعالوا إلى عملية تطبيقية مارسها رسول الله. عباد الله: لو كان في المسلمين من يستأهل أن يكفر لذنب ما، لدليل ما لكان أولى الناس بأن يكفر هو عبد الله بن أبي بن سلول، ذاك الذي أمعن إيذاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام، ذاك الذي قال بملء صوته أثناء رجوع رسول الله عليه الصلاة والسلام من إحدى الغزوات: ما أرانا وجلايب قريش - أي رعاع قريش يقصد رسول الله وأصحابه - ما أرانا وجلايب قريش إلا كما قال المثل سمّن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل، ولكنه كان يشهد أن لا إله إلا الله وكان في ظاهره ملتزماً بالإسلام ومبادئه وأركانه.

إن فتحنا باب التكفير لسبب ما فليس أولى في الناس جميعاً من عبد الله ابن أبي بن سلول أن يكفر، وإذا كان في الحكام وفي القضاة وفي العلماء والمفتين من يحق لهم أن يكفروا فليس فيهم أولى من رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن يكفر ولكنه لم يكفر عبد الله بن أبي بن سلول. ولما مات كان رسول الله في مقدمة من صلى عليه.

عباد الله: عندما توفي رسول الله عليه الصلاة والسلام وكاد أن ينطوي عهد الصحابة وجاء عهد التابعين تنامت فرق إسلامية شاردة عن منهج الإسلام، تكاثرت في كيان الدولة الإسلامية كما تتكاثر التأليل على الجسد السوي من أمثال المرجئة والجهمية والحشوية والمجسدة والخوارج وما إلى ذلك، هل كفر المسلمون أي فرقة من هذه الفرق؟ نهائياً. أصغينا السمع إلى مواقف بقايا الصحابة، إلى مواقف التابعين - وهؤلاء هم السلف الصالح - لم نسمع قط أن فيهم من كفر خارجياً أو كفر مرجئاً أو كفر أيّاً من هذه الفئات أو الفرق التي شدت وشردت عن صراط الله سبحانه وتعالى. ويذكرني هذا بالإمام أحمد الذي يزعم اليوم بعض المتطرفين أنهم يسرون وراءه وأهم يتبعون نهجه. أحمد بن حنبل هو الذي أودى أشد أنواع الإيذاء عن طريق المعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق، لم يكن كلام الله ثم وجد، أودى وحسب وضرب مدة طويلة في عهد المأمون، ثم إن الله عز وجل شاء أن ترتفع عنه الحنة في عهد المتوكل. جاء بعض أصحابه يقولون له يا سيدي ادع

الله على ابن أبي دؤات رأس المعتزلة، قال له: وما يفيدك أن يعذب الله عز وجل يوم القيامة أحاً من أجلك، لا بل أدعو الله سبحانه وتعالى له.

عباد الله: هذا هو نهج السلف، وهذا هو المبدأ الذي أرساه ربنا في محكم تبيانه وطبقه حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام في حياته.

تعالوا الآن إلى هذا الفجور الذي يأبى بعض من الناس إلا أن يركنوا إليه بدافع من ماذا؟ لا والله لا بدافع من آي في كتاب الله ولا بدافع من كلام أوصى به رسول الله ولكن بدافع من أحقاد هيمنت على مشاعرهم وكياناتهم، تتنامى في نفس أحدهم مشاعر الحقد، يبحث يميناً وشمالاً عن متنفس فلا يعثر لذلك إلى على سلاح التكفير، سلاح التكفير هو الذي يشفى غليله، هو الذي يحقق تنفساً عن حقد، ومن هنا يتكون كلام الله عز وجل وبياناته التي لخصتها لكم وراءهم ظهرياً ثم إنهم يتبعون بدلاً عن ذلك مشاعر أحقادهم، مشاعر الضغائن التي تهيمن على كياناتهم.

أيها الإخوة: شريعة الله تقول إذا طافت احتمالات أكثر من مئة بالإنسان دالّة على كفره بقي احتمال واحد فوق المئة يدل على أنه لا يزال مسلماً، رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: تلك هي الذرة التي ستجيه يوم القيامة من عذاب الله عز وجل، (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان).

عباد الله: نحن نتداعى إلى الوثام وهذا ما يأمرنا به الله، نتداعى إلى الحب وهذا ما يأمرنا به كتاب الله، نتداعى إلى الوحدة وهذا ما نسمعه ونقره في كتاب الله لكن يا عجباً لمن يمسك بالمعاول ليهدم ما يأمر به كتاب الله، هذا هو الإشكال الذي نعيشه ورحم الله من قال:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه ... إذا كنت تبنيه وآخر يهدم

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

## بيان من هيئة كبار علماء السعودية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ ١٤١٩/٤/٢ هـ. ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت، ونظراً إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك، نصحا لله ولعباده، وإبراء للذمة، وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر في ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: التكفير حكم شرعي، مردّه إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحریم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: (أبما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بما أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه).

وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة مثلاً وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به. وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" أخطأ من شدة الفرح.

والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة؟

وإذا كان هذا في ولاية الأمور كان أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من منابذتهم فقال: (إلا أن تروا كفراً بواحد عندكم فيه من الله برهان).

فأفاد قوله: (إلا أن تروا)، أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة. وأفاد قوله: (كفراً) أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر، كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار والاستنثار الحرم. وأفاد قوله: (بواحد) أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح، أي صريح ظاهر، وأفاد قوله: (عندكم فيه من الله برهان) أنه لا بد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة.

وأفاد قوله: (من الله) أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم؛ لقول الله عز وجل: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

ثانياً: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطي من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامّة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت. فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك حرمة الأنفس المعصومة، وهتك حرمة الأموال، وهتك حرمة الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين مطمئنين في مساكنهم ومعاشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم وحرمة انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم أمته فقال في خطبة حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا) ثم قال صلى الله عليه وسلم: (ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد). متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه). وقال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة). وقد توعد الله سبحانه من قتل نفساً معصومة بأشد الوعيد فقال سبحانه في حق المؤمن: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: (وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً).

فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قتل خطأ فيه الدين والكفارة، فكيف إذا قتل عمداً؟ فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر. وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة).

ثالثاً: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخطورة إطلاق ذلك، لما يترتب عليه من شرور وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطي، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين. وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة، ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله.

قال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ)

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق والتناصح والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن كما قال الله سبحانه وتعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ). وقال سبحانه: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وقال عز وجل: (وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة). قيل لمن يا رسول

الله؟ قال: (لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). وقال عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه. انتهى.



## التحذير من خطر التكفير - للشيخ حسن بن محمد الهدار

نرى أنّ المسلمين أصيبوا بنكبةٍ قلّ أن يوجد لها نظير، لظهور جماعات منهم يكفّرون كلّ من خالفهم في الرأي في الأمور الفرعية لهذا الدين، دون أن يعلموا الأسباب المخرجة لصاحبها عن الحنيفية السمحاء وتوجب الحكم عليه بالكفر بمجرد اختلاف يسير في الرأي، ولو رجع ذلك المتسرع إلى كلام الله سبحانه وتعالى ولكلام رسوله صلى الله عليه وسلّم لوجد أنّ المصلين موحدون، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم: (إنّ الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم، وأنّ كل من قال: "لا إله إلا الله، محمّد رسول الله" معصوم الدم والعرض والمال امثالاً للتعاليم الإسلامية العليا، فقد قيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم هذه الكلمة العظيمة ممن قالها، فقال: (أمرت أن أقاتل الناس...) إلى آخر الحديث الذي سبق ذكره (أي قوله: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، وأعظم من ذلك ما ذكره الإمام الشوكاني في تفسيره عند قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَائِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: ٩٤]، قيل: المراد بالسلام هنا الإسلام، أي: لا تقولوا لمن ألقى إليكم الإسلام - أي: كلمته، وهي الشهادتان - (لست مؤمناً)، وقيل بمعنى التسليم، وهي التّحية في الإسلام، وسبب ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بعث أبا قتادة في سرية إلى بطن إضم على ثلاثة برد من المدينة في أول شهر رمضان، وذلك أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم لما همّ أن يغزو أهل مكّة بعثه ليظنّ ظاناً أنّه صلى الله عليه وآله وسلّم توجه إلى تلك التّاحية ولأنّ تذهب بذلك الأخبار، فلقوا عامر بن الأضبط فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله محلم بن جثامة، فأنزل الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا } [النساء: ٩٤]، فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (لا غفر الله لك)، فقام وهو يتلقّى دموعه بيرديه فما مضت له ساعة حتى مات، فلفظته الأرض ثمّ عادوا به فلفظته الأرض فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين أي جبلين فسطحوه ثمّ رضموا عليه الحجارة حتى واروه، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: (إنّ الأرض تقبل من هو شرّ من صاحبكم ولكن يريد الله أن يعظكم).

واستدلّ بهذه الآية على أنّ من قتل كافراً بعد أن قال: (لا إله إلا الله) قُتل به لأنّه عصم بما دمه وماله [انظر فتح القدير].

وقال الصابوني: أي: لا تقولوا لمن استسلم لكم وأظهر الإسلام لست مؤمناً فقتلوه. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى الحرقة من جهينة فصحبنا القوم على مياهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناها قال: (لا إله إلا الله) فكفّ عنه الأنصاري وطعته برمحي حتى قتلت، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقال لي: يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قلت: يا رسول الله.. إنّما قالها متعوذاً، فقال أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟، فما زال يكررها عليّ حتى تمتّيت أنّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) متفق عليه.

إنّ المتسرع إلى تكفير المسلمين يرى بنظره الضيقة أنّه لم يبق مسلم على وجه البسيطة إلا هو ومن وافقه الرأي، وأنّ الآخرين من المنتمين إلى هذا الدين كفّار مشركون، وأنّهم حلال الدّم والمال والعرض، وحينما يصبح هذا الخطأ الفادح جزءاً من صلب عقيدة شخص فإنّه خطر داهم لا يضاويه خطر. فالمعنى وما ينتج عنه استحلال الحرمات الثلاث التي حدّر منها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم في حجة الوداع بقوله فيما أخرجه البخاري عن واقد بن محمّد قال سمعت أبي قال سمعت عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حجة الوداع: (ألا أيّ شهر تعلمون أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا، فقال: ألا أيّ بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا، قال: ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإنّ الله تبارك وتعالى قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقّها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت "ثلاثاً").

## السلف الصالح

ومما يندى له الجبين وأدهى من ذلك وأمر أن ألسنة هؤلاء الجهال من حدثاء الأسنان يطلقونها على السلف الصالح، ممن نقلوا هذا الدين وأفتوا كل أعمارهم في الذب عن شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، أولئك الأفاضل الذين خدموا السنة فوصلت إلينا بيضاء نقيّة أمثال الإمام أبي حنيفة الذي وصفوه بأنه جهميّ مرجئيّ، وأنه مبتدع ضالّ شؤم على الإسلام وأهله، وكذا الإمام النووي وابن حجر العسقلانيّ، والإمام الغزاليّ والجنيد وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وسهل التستري، والإمام الذهبيّ، وسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام، وابن كثير، وابن عربيّ، وابن الفاضل، وغيرهم، رضي الله عنهم. وذلك بشتائم يحجل القلم عن تسطيرها وبألقاب شنيعة يعافها كل من يسمعا، وذلك عبر كتبهم وأشراطهم، ناهيك عن الشتائم الموجهة للعلماء المعاصرين، والذين لا زالت آثارهم واضحة للعيان، ممن بذلوا أرواحهم وأعمارهم رخيصةً في سبيل الله، والنتيجة من هذا كله العلم بأن مؤامرات أعداء الإسلام لازالت ليل نهار تنصب على ساحات العمل الإسلاميّ، وإذا ببطاقات التكفير والتبديع والتفسيق توزّع كما يهوى أولئك الناس في محاكم من أغرب المحاكم على مرّ التاريخ، حيث يتمّ ذلك دون تأكّد أو علم أو شهود أو أن يسمعو ممن يعادونه كلمة واحدة من أنه يستحقّ ذلك اللقب الشنيع الذي أنيط به، وبدلاً من التراحم عليهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، بدلاً من ذلك نرى البعض يرميهم بالكفر والشرك والضلال، محتجاً بأن عمله المشين ما هو إلا ضمن الجرح والتعديل، ومتى كان بجهله وغروره من فرسان ذلك الميدان؟ لقد بلغ من غرور تلك الفئة أن جعلت من نفسها بديلاً للمدارس الفقهيّة والفكريّة والمذاهب الإسلاميّة التي خدمت الإسلام منذ مئات السنين، وقدمت نفسها بديلاً لها بل قدّمت نفسها وكأنّها الإسلام الصحيح وأهل السنّة والجماعة والفرقة الناجية. وأعلنت أنّ ما سواها ما هو إلا باطل وهباء إلى غير ذلك من ألقاب في غير موضعها. فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

## الرسول الكريم يحذّر من التكفير

ورد في الصّحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من قال لأخيه: "يا كافر" فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه)، وأخرجنا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (من دعا رجلاً: "يا كافر" أو "عدوّ الله" وليس كذلك إلا حار عليه)، وأخرج أبو يعلى عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مما أحاف عليكم رجلاً يقرأ القرآن حتى رؤيت بمحجته عليه وكان رداءه الإسلام انسلخ منه ونبذ وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك، قال: قلت: يا نبيّ الله أيهما أولى بالشرك المرميّ أو الرامي؟ قال: الرامي) قال الحافظ ابن كثير إنسانه جيّد. وروى الخرائطيّ والديلميّ وابن النجّار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (ما شهد رجلٌ على رجلٍ بكفرٍ إلا باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه)، وروى ابن حبان في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (إذا قال الرجل لأخيه: "يا كافر" فهدم كفتله، ولعن المؤمن كفتله)، والأحاديث في ذلك كثيرة ومتواترة، فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب (شرح مسلم) للإمام النوويّ و(رياض الصالحين) وشرحه (دليل الفالحين) وكتاب (الإعلام بما يقطع الإسلام) و(الزواجر عن اقتراف الكبائر) وغيرها من كتب الحديث.

## وحدة المسلمين

إذا تأملنا قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، نرى أنّ الدين الإسلاميّ الحنيف يحثّ على وحدة الصفّ والرأي

والكلمة بين المسلمين، قال الإمام ابن العربي في "أحكام القرآن" عند قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٠٥] التفرق المنهبي عنه يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: التفرق في العقائد.

الثاني: التفرق في القلوب، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لا تحاسدوا ولا تدابروا).

الثالث: ترك التخطئة في الفروع والتبري فيها، وليمض كل أحد على اجتهاده، فإنَّ الكلَّ بجبل الله معتمصم وبدليله عامل، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لا يصلينَّ أحدكم العصر إلَّا في بني قريظة) رواه البخاري.

فمنهم من حضر العصر فأخترها حتَّى بلغ بني قريظة آخذاً بظاهر قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومنهم من قال: لم يرد هذا منَّا وإمَّا أراد الاستعجال فلم يعنّف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحداً منهم.

### ما يجب أن يتحلّى به المسلمون

وبيّن لنا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما يجب أن يتحلّى به المسلمون فيقول: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) متفق عليه. وحذّر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الظلم والتناحر فقال حينما وقف في الحجّ الأكبر: (ألا أيّ شهر تعلمون أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا، فقال: ألا أيّ بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا، قال: ألا أيّ يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإنَّ الله تبارك وتعالى قد حرّم دمائكم وأموالكم وأعراضكم إلَّا بحقّها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت "ثلاثاً") قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إمّا لوصيته لأمتّه: فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه البخاري. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار) رواه أبو داود والنسائي. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: صعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنّ من اتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله) رواه الترمذي.

### حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة

لقد بيّن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حرمة المسلم في الدّين الإسلاميّ الحنيف وعظم قدره عند الله سبحانه وتعالى، فقال محذراً لمن يتهاون بجرمات المسلم وينتهك أعراضهم فيما يرويه عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يطوف بالكعبة ويقول: (ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمةً منك ماله ودمه وأن نظنّ به إلّا خيراً) رواه ابن ماجه.

### العبادة

والمسلمون متّحدون في أصل العبادة، فالنطق بالشهادتين والصّوم والصّلاة والحجّ والزكاة والتوجّه إلى القبلة متفق عليه من قبل المسلمين أجمعين، وليس فيه خلاف يذكر، وإمّا الخلاف في أمور فرعيّة لا تستحقّ كل هذا الضّحيج وكلّ هذه العداوات.

## كلمة أخيرة

قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه البخاري.

لذلك كله أوجه ندائي ورجائي إلى كل مسلم له أدنى نصيب من التوفيق والتفكير بأن يكف عن إثارة العداوة بين المسلمين على أمور فرعية، فتمزيق صفوف المسلمين أمر في غاية الخطورة، قام بالتخطيط له أعداء الله ونقدوه بمؤامراتهم المتواصلة سراً وجهراً، ومعلوم أن المثير للفرقة والعداوة بين المسلمين ما هو إلا عامل مساعد لهم ولما يهدفون إليه من تمزيق وتحطيم لكل القيم الإسلامية أجمع، بداية بإثارة العداوة والبغضاء في المساجد وانتهاء بتفتيت الكيان الإسلامي لا سمح الله، قال الله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]، كما لا يخفى ما في التنازع والجدال من إثم عظيم وخطر كبير، ففي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة، أما إني لا أقول: تخلق الشعير، ولكن تخلق الدين) رواه البزار بإسناد جيد والبيهقي.

نسأل الله توفيقه وسداده وأن يرزقنا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه، وأن يرزقنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

\*\*\*

هذا المقال مستخلص من كتاب: التحذير من خطر التكفير - للشيخ حسن بن محمد الهدار

## خطورة التكفير - خطبة جمعة للدكتور محمد توفيق رمضان البوطي ٢٨/٦/٢٠١٣

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون يقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }

ويقول سبحانه:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

وقال سبحانه:

{ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ }

أيها المسلمون:

في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ أمتنا والتي ستمخض عن نتائج لعلها تعتبر منعطفاً في تاريخ البشرية، في هذه المرحلة الخطيرة من حياة هذه الأمة التي غدت أشلاء ومزقاً، أحزاباً تتناحر فيما بينها وتختصم على أمورٍ لم ترسبها هي وإنما رُسِمَتْ لها، وخلافات لم تولدها أفكارهم، وإنما استوردت لهم، خلافات مزقت الأمة وأهلكت البلاد والعباد، أوقعت الفتنة بين الأخ وأخيه والابن وأبيه والزوج وزوجته حتى غدونا في حالة يرثى لها.

نحن نعيش نكبة، نحن نعيش كارثة، نحن نعيش حالة مأساوية ما مر في تاريخ الأمة مثلها، مع كل هذه المخاطر يتولد خطر أكبر، هذه المخاطر ناجمة عن الخطر الآخر الكبير وهو إهدار بعضنا دم بعض بتكفير بعضنا لبعض، هذه الفتنة كافرة، وإذا كانت كافرة فدمها هدر، وتلك الفتنة كافرة، وطبعاً من كفرني ستكون ردة الفعل عندي أيضاً أن أكفره لأنتقم لنفسي، وهكذا تتنابد صفات التكفير وإهدار الدم وإحداث الواقعة في الأمة الواحدة، أهل التصوف كفرة، الشيعة كفرة، الفئة الغلانية كفرة ونحن بالمقابل نقول: الفئة المرتعون في أحضان أمريكا وأوروبا كفرة، والمستجدون للسلاح ليقاتلوننا ويقاتلوا وطنهم به كفرة، وهكذا كفرنا الأمة برمتها وغدونا أشلاء ممزقة يضرب بعضنا رقاب بعض، وفقاً لما حذر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تغدوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، الكفر هنا في هذا الحديث كفر سلوكي وليس اعتقادياً.

أيها المسلمون:

إذا عدنا إلى هدي الله ورسوله ونظرنا في ضوابط التكفير واتخاذ الموقف المترتب على التكفير، وفي حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم: جيش يقاتل المسلمين، يفر واحد من جيش من الكفرة المشركين لينأى بنفسه وشيابهه وبعض ما لديه ليفر بذلك من سيوف المسلمين، ويلحق به حُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنُ حبه: أسامة بن زيد رضي الله عنه فلما وصل إليه أسامة بسيفه قال الرجل: السلام عليكم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. المتبادر إلى ذهن كل فرد منا أنه إنما قالها لينجو بنفسه، لم تنطل الخدعة على أسامة بن زيد فقتله، فلما سمع رسول الله ما جرى قال لأسامة: (أقتلته بعد أن قالها، قال: إنما قالها متعوذاً، قال أقتلته بعد أن قالها؟ هلا شققت على قلبه).

اليوم يضرب بعضنا رقاب بعض وهم يعلنون لا إله إلا الله محمد رسول الله، نكفرهم لخلافات مذهبية بيننا. على أنه لا يجوز أن نحكم على فئة بالكفر بعد أن أعلنت أنها تؤمن بالله، والإيمان مسألة فردية وليست مسألة جماعية، أنا اليوم أقول هذه أمة إسلامية ولكني لا أقول فلان وفلان وفلان مسلمون إلا إذا كنت أعلم أنهم مسلمون، كما أنني أقول: أوربة بلاد كافرة ولكني لا أحكم على أفرادها ولا أحكم على خاتمة أي فرد منهم حتى أعلم أنه مات كافراً، أو أنه كفر فعلاً، فلو جاءني من تلك الأمة من يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله أرحب به وأقول: أهلاً بك أنت أخ لنا على أنه قد يكون منافقاً، هلا شققتُ على قلبه؟، هلا فتشتُ عن خبيئاته؟، ما في قلبه أمر انفرد رب العزة جل شأنه، ليس من شأننا أن ننظر في خفايا قلوب الناس، وليس بوسعنا ذلك. حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحكم على الناس من خلال ظواهر أحوالهم. [أقول: مع أنه كان يعلم المنافقين واحداً واحداً بوحى من الله]

عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق في المدينة بغير منازع، مواقفه أسوأ وأقذر مما يُتصور، وقف إلى جانب يهود بني قينقاع ضد المسلمين وضد النبي صلى الله عليه وسلم، بل وأمسك بتلابيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: أحسن في موالي، ثم عندما غدر بنو النضير ونقضوا العهد مع رسول الله وقف عبد الله بن أبي بن سلول مع بني النضير ضد المسلمين وضد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك وقف عبد الله بن أبي بن سلول يؤجج فتنة بين المسلمين ويقول عن النبي وأصحابه المهاجرين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أرانا نحن وجلابيب قريش إلا كما قالوا: سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ. والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعرز منها الأذل. عبارة واضحة في مراميها، قام عمر فقال: مرني يا رسول الله أو مر عبّاد بن بشر فليضرب عنقه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتريد يا عمر أن يقال محمد يقتل أصحابه بل نترفق به، المسألة بالنسبة للنبي الذي يتلقى الوحي من عند الله قلب عبد الله بن أبي كظاهرة وظاهره كقلبه، الأمور مكشوفة للنبي لأن الله عز وجل أطلعه على حقيقته، ومع ذلك لم يأمر بقتله ولم يأذن بقتله، وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول يستأذن رسول الله في قتل أبيه فقال له صلى الله عليه وسلم: (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي بيننا).

هل وصل قومنا المكفرون إلى درجة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقائق الرجال؟ وهل بلغ من هم في مواجهتهم -أي هل نحن بلغنا- من الانحراف والشذوذ درجة عبد الله بن أبي بن سلول! على أي أساس يكفرون الأمة، يكفرون مخالفيهم ويهدرون دمهم ويغتالوهم ويقتلوهم، إن شريعتنا تنهى عن أن يقتل المتعبد من النصارى في صومعتهم، فضلاً عن المسلم العالم في مسجده، وهل تركوا أحداً من إهدار الدم ونشر الفساد في الأرض؟

يا قومنا:

ترى على أي أساس نبني المواقف على أي أساس نبني التصرفات، إن الله تعالى يقول: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} نفى الإيمان عنهم كتاب الله عز وجل، ومع ذلك نحن لا نقول إن فلاناً كافراً، كتاب الله نفى الإيمان عمن لا يحتكم في المواقف، الأقوال والتصرفات إلى هدي الله وهدي رسوله، نفى عنه الإيمان وفي الوقت ذاته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) أي إن لم يكن في واقع الأمر كافراً فالآخر المكفر هو الكافر.

تحكم على فريق وفي هذا الفريق من هو ممعن في الكفر وفيهم من قد يكون مؤمناً. على أي أساس تبني موقفك؟ على أي أساس تبني التعميم في الأحكام؟ على أي أساس تقول الفئة الفلانية كافرة؟ هذه مواقف يجب أن ننأى بأنفسنا عن أن نخالف هدي الله وهدي رسوله بما، نحن بحاجة إلى أن نعود ونستعيد وحدة الأمة لا أن نعمل معول التحطيم في وحدة الأمة.

عد إلى تاريخنا، تاريخنا فيه الجهمية والشيعة والخوارج وغيرهم ممن هم خالفونا مخالفات كثيرة جداً، ومع ذلك هل سمعتم أننا كفرنا فقاتلنا فريقاً من هؤلاء؟، قوتل الخوارج لأنهم خرجوا على الأمة، خرجوا على الخلافة، نشروا الفتنة، لا لموقف اعتقادي أو لكلمات

**قالوها**، بل قتلوا الخلفاء خرجوا على الأمة يضربون برها وفاجرها، كفروا من لا يجوز تكفيره من الناس، ذلك كان سبب قتالهم، ولم يكن سبب قتالهم خلافاً اعتقادياً أو خلافاً اجتهادياً.

أما الخوارج الجدد فهم قد صح فيهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيراً ما كررناه: (سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان يقولون بقول خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) استباحوا دماء الناس.

أيها المسلمون:

علينا أن نراجع أنفسنا علينا أن نصحح مسارنا، المشكلة ليست بيني وبينك يا أخي المشكلة بينك وبين الله أنا سوف ألقى وجهه وأنت سوف تلقى وجهه، وبين يدي ديان السموات والأرض يجتمع الخصوم، هناك تبدو السريرة علانية هناك سوف تحاسب أول ما تحاسب عن دماء المسلمون، أول ما يحاسب الإنسان يوم القيامة يحاسب عن دماء الأمة عن دم أي فرد من أفرادها، فكيف بدماء أمة يسفك بعضها دماء بعض!! أما أن لنا أن نرعي ونعود إلى صوابنا، نستجدي السلاح من أعدائنا لنقتل إخواننا، نستعين بأمم الكفر بأعداء الأمة لكي نقتل أبناء أمتنا، على الرغم من الخلافات والتباينات التي فيما بيننا يبقى ابن أمتنا وابن أمتنا ويبقى العدو عدواً يحمي أوغاد الأرض في فلسطين، مغتصبي المسجد الأقصى، ثم نتحالف معهم على إخواننا، ونكفر إخواننا ونهدر دماءهم!! فلنلق الله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

أيها المسلمون:

لنستيقظ ولنعد إلى رشدنا ولننبذ مشاعر الكراهية التي شاعت فيما بيننا { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا } لا تفسدوا قال أصلحوا بين أخويكم.

الله تعالى يقول: { وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } نحن اليوم نطبق العكس نقول: تنازعوا، { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا }، نحن نقول تفرقوا ولا تعتصموا.

أيها المسلمون:

**الخلافات الفكرية والعقدية يمكن أن نعالجها في ندوات حوارية**، جرى ذلك في تاريخنا، حوارات جرت بين المعتزلة وأهل السنة بين الكثير والمخالفين وأهل السنة والجماعة جرت حوارات تفيض بها كتبنا والله الحمد، ليس بالسيف سبيل الإصلاح ولا هو طريقة إزالة خلاف، سبيل إزالة الخلاف هو أن اجلس وإياك محتكمين لكتاب الله ولسنة رسوله، ثم يطلبون منا أن نوافق منهجهم في تكفير بعضنا لبعض ويتولون أعداءهم، ويكون أميرهم من مخالفيهم، يعيرون أن يكون أميرنا مخالفاً لنا فيما يدعون ويتخذون كافراً لهم أميراً!! ألم يفعلوا ذلك؟ عودوا فانظروا.

لماذا تعيب على غيرك أمراً ترتكب أضعافه؟ اتقوا الله في حق أنفسكم.

نحن اليوم بحاجة إلى إعادة التدبر في كتاب الله، وفي استعادة وحدة الكلمة لا تمزيق الصف وتشتييت الكلمة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

## أساليب العدو في استغلال الشعوب وخداعهم

(من الضروري قراءة كتاب: بروتوكولات حكماء صهيون، وكتاب: أحجار على رقعة الشطرنج)

## الأسافين البريطانية لتفتيت الوحدة الإسلامية - خطبة جمعة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٢٠٠٣/٩/٥

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانتك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد؛ صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين، وأوصيكم . أيها المسلمون . ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى.

أما بعد، فيا عباد الله:

ما من عاقل متبصر في هذا العصر إلا ويعلم أن الإسلام هو المستهدف من خلال الأحداث المختلفة التي تسمعون عنها، سواء منها ما قرب أو بعد، وأن الإسلام هو المستهدف من خلال الشعارات التي ترتفع، ومن خلال الشعارات التي تمرر من تحتها عمليات العدوان. ومن المعلوم لكل عاقل أيضاً أن السلاح الاستراتيجي - كما يقولون - الأول الذي يستعمل بادئ ذي بدء للقضاء على الإسلام إنما هو سلاح التفرقة، إنما هو سلاح تأليب المسلمين بعضهم على بعض، وقديماً في أواخر الخلافة العثمانية، تعلم الدنيا كلها أن بريطانيا لعبت الدور الأول في تجربة تفتيت المسلمين، وتحويلهم إلى فئات متصارعة بين يدي الهدف الأكبر، ألا وهو القضاء على خلافة الإسلام.

وأنا مضطر أن أضعكم في هذا الموقف أمام بعض الأسماء والوثائق:

من قرأ كتاب أعمدة الحكمة السبعة للورانس، يعلم جلياً ما أقول، ويقف على كثير من الوثائق. بريطانيا هي التي خططت قبل غيرها للعمل على تفتيت المسلمين، وسخرت لذلك ثلاثة أسافين.

**الإسفين الأول القاديانية:** وهو إسفين غرسته بريطانيا في الهند وما حولها.

**الإسفين الثاني البابية والبهائية:** وقد غرسته بريطانيا في مصر وفي جهات من جنوب شرقي آسيا.

**الإسفين الثالث الوهابية:** وإنما غرسته بريطانيا في الجزيرة العربية عودوا إلى المصدر الذي ذكرته لكم، لتقفوا على الاعتراف الصريح والصارخ بهذا الأمر.

ووصلت بريطانيا إلى كثير مما ابتغت: قضي على الخلافة الجامعة والطوق الشامخ، ووضع السرطان الدائم في جسم العالم العربي والإسلامي متمثلاً في إسرائيل، ومزق العالم العربي والإسلامي بين هذه الأسافين الثلاثة التي حدثتكم عنها، لكن الإسلام لم يُقَضَّ عليه.

واليوم بعد أن انهار المعسكر الشرقي، وتصورت الدولة الغربية الأولى في العالم أنها غدت القطب الأوحده الذي يستطيع أن يتحكم بالعالم؛ كما يشاء، خُجِّل إليها أن الوقت أصبح مناسباً لتوجيه الضربة القاضية إلى الإسلام، والوثائق كثيرة الناطقة بهذا الأمر الذي أقوله لكم.

ولكن ما السبيل الأول إلى ذلك؟ ما الخطوة الأولى؟ الخطوة الأولى تلك التي رسمتها بريطانيا، الخطوة الأولى أن تتلمذ هذه الدولة الكبرى التي تعد نفسها اليوم القطب الأوحده في العالم على بريطانيا، وأن تتلقى منها الدرس الأمثل لتفريق المسلمين ولتحويلهم إلى فئات لا مختلفة فقط؛ بل متصارعة أيضاً.

في ظل هذا الواقع يجري العمل صباح مساء، وبكل الوسائل، لا أقول للقضاء على الوحدة الإسلامية، وإنما أقول للقضاء على البقية الباقية من الوحدة الإسلامية. اليوم ينفخ نيران العمل على القضاء على الإسلام في الوهابية وفي الوسائل الأخرى التي حدثتكم عنها.

وقد ذكرت أكثر من مرة أن هنالك وثيقة صدرت من المجلس القومي الأمريكي عام ١٩٩١م ينص على ضرورة القضاء على الإسلام، ويضع الوسائل الكفيلة بذلك، أولها: تأليب المسلمين بعضهم على بعض، الوسيلة الثانية: استثارة أسباب التناقص ولو كانت وهمية في العقائد والمبادئ الإسلامية. والوسيلة الثالثة: تحويل العمالة العربية الإسلامية في الخليج إلى عمالة آسيوية.

هذا شيء مقروء وشيء معروف، إذن أريد أن أقول لنفسي ولكل مسلم حذار من السلاح الأول الفتاك الذي يستعمل اليوم كما استعمل بالأمس للقضاء على وحدة الأمة الإسلامية، واستثارة الفكر الوهابي. ولا بد أن أذكر الأشياء بأسمائها. واحد من أخطر هذه الأسلحة اليوم.

ولابد أن أقول لكم: ليس المبتغى من وراء ذلك الانتصار لمذهب إسلامي ضد مذهب إسلامي، ليس المبتغى من وراء ذلك الانتصار للوهابية على غيرها، فلو تم ذلك لخسرت الدول الأوروبية، أو لخسرت أمريكا الهدف الذي تبتغيه، هم أيضاً مسلمون. وليس الهدف أن تنتصر الفئات الأخرى على الوهابية، كذا. لا، الهدف أن يقضي الإسلام نفسه على نفسه، الهدف أن يحرق الإسلام ذاته، الهدف أن يتألب المسلمون بعضهم على بعض فيمحي الإسلام بواسطة المسلمين أنفسهم، هذا هو الهدف.

وهذا الأمر يجعلني أنبهكم إلى أن الطابور المسخر لتحقيق هذه التفرقة في العالم الإسلامي مكون مما يلي:

قلة قليلة جداً من المرتزقة والرؤوس العميلة المفكرة التي تتقاضى أموالاً لا تأكلها النيران هي التي تخطط، وهي التي ترسم.

ومن كثرة كاترة من الرؤوس ذوي العقول الفجة، من الرؤوس ذوي العقول الجاهلة، سمعت بالدين ولم تدرك منه شيئاً، اهتاجت عواطفها الإسلامية، ولم تفسر أمام عاطفتها حقائق الدين بواسطة العلم أبداً، فجعلوا من أنفسهم جنوداً لتلك القلة العميلة التي تعلم ماذا تصنع، ومن الذي تخدم.

هذا هو الطابور، ومن هذين العنصرين يتألف.

ولعلكم إن أصغيتم السمع جيداً تلاحظون أو تسمعون كيف أن هذه الموجة عادت مرة أخرى إلى الظهور، عادت مرة أخرى إلى الاحتكاك، أنظر فأجد منشورات إن عن طريق الإنترنت، أو الوسائل الأخرى، تنشر، ما مضمونها؟ هياج وهجوم من مسلمين على مسلمين، هياج من مسلمين ينتحلون الوهابية التي غرستها بريطانيا في الجزيرة العربية، يتجهمون على الآخرين، ويعتوئهم بالكفر، ويخرجوهم من الملة، إلى آخر ذلك، أملاً في أن يستثير هذا الهياج الآخرين أيضاً، فيهاجوا ويقوموا، ومن ثم يقوم الصراع، ثم يتحول الصراع إلى أكثر من ذلك بين المسلمين أنفسهم. ومن ثم يتهيأ المناخ للخطوة الثانية، وللقضاء على البقية الباقية، من قوى الإسلام والمسلمين.

يجب أن أنبه نفسي وأنبهكم إلى هذه الحقيقة، ذلك لأننا مع الأسف لا نملك اليوم إلا سلاحاً واحداً، لم يبق في يدنا إلا سلاح واحد ألا وهو البقية الباقية من وحدة الشعور الإسلامي، أما القوى المادية فقد تبددت.

وأنتم تعلمون واقع أكثر الدول العربية والإسلامية، وأنتم تعلمون واقع أكثر من أكثر حكام الدول العربية والإسلامية، من حيث الاستسلام، ومن حيث السير وراء ما يراد لهم، لم يبق لنا أمل أيها الإخوة بالاعتماد على القوى المادية، وإنما اعتمادنا لا يزال قائماً على الإسلام ذاته، أي على القوة الجاذبة التي توحد المسلمين في الإسلام، تلك هي آمالنا الباقية المتمثلة في البقية الباقية من الوحدة الإسلامية التي تشعرون - والله الحمد - بشبكتها الممتدة من أقصى الشرق الإسلامي إلى غربه، ومن أقصى شماله إلى جنوبه، هذه البقية الباقية الجزئية البسيطة هي التي تخوف الغرب اليوم، تخوف الغرب الأمريكي اليوم، ومن ثم تجنّد وسائل الأمم لتمزيق المسلمين اليوم.

بلدنا هذه والله الحمد هي أكثر البلاد العربية الإسلامية بعداً عن هذه الفقايع التي تهدد الوحدة الإسلامية بالتمزق والتشردم، ولعل مرد ذلك إلى شيئين اثنين: وعي إسلامي تتميز به هذه البلدة، وإخلاص يسري في أفئدة المسلمين في هذه البلدة. ولكن مع ذلك ينبغي أن تعلموا أن هذه البلدة مستهدفة لهذا السبب، مستهدفة، ربما بجثمت فوجدتم عششاً تحاول أن تستثير عوامل الشقاق وأسباب الخلاف فيما بين المسلمين، بعضهم مع بعض، من أجل القضاء على هذه المزية التي يمتاز الإسلام بها في بلدنا هذه، أيها الإخوة، فكونوا على حذر من ذلك..

كيف تكونون على حذر من ذلك؟ أعيدكم إلى وعيكم الإسلامي. كلكم يقرأ كتاب الله بتدبر، ألا تلاحظون الآيات الكثيرة التي يهيب بنا بيان الله عز وجل فيها إلى الاتحاد، إلى نبد الفرقة والشقاق، إلى الابتعاد عن التنازع، إلى الاعتصام بحبل الله، إلى عدم التفرق، كلكم يقرأ، كلكم يقرأ قول الله عز وجل آية مشهورة كثيراً ما نردها مرسومة على الجدران في البيوت وفي أماكن أخرى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم} [آل عمران: ١٠٣/٣] كلكم يقرأ قول الله عز وجل: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} [الأنفال: ٤٦/٨] كلكم يقرأ قول الله تعالى: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليقين وأولئك لهم عذاب عظيم} [آل عمران: ١٠٥/٣]. كلكم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبهنا إلى أن المسلمين إذا كانوا تحت مظلة كلمة سواء؛ وجاء من يريد أن يفرق أمرهم؛ فليهم أن يضرهوا عنقه أياً كان، وكائناً من كان، كل هذا لماذا؟

لينبها رسول الإسلام، ولينبها قبل ذلك كلام الله عز وجل إلى أن السلاح الأول الذي شرف الله عز وجل به عباده المسلمين إنما هو وحدتهم، إنما هو اعتصامهم بحبل الله.

حسناً، إذا عرفنا هذا، فكيف يمكن لمسلم وعي هذا الكلام أن ينقاد لمن يريد أن يفرق؟ رب قائل يقول: ولكن هؤلاء الذين يفرقون؛ باسم الإسلام يفرقون. أقول: نعم، والقاديانية التي غرستها بريطانيا في الهند، باسم الإسلام يفرقون، والباوية والبهائية التي تنتشر اليوم في أمريكا والتي يصطاد إليها المسلمون في أمريكا، باسم الإسلام يفرقون، والوهابية التي غرستها بريطانيا في الجزيرة العربية، باسم الإسلام يفرقون. ولكن أحق هذا الذي يستعملونه؟

الإسلام مم يتكون أيها الإخوة؟ يتكون من مبادئ متفق عليها، يتكون بعد ذلك من سلوكات وشرائع متفق عليها، ثم يلي بعد ذلك أمور هي محل اجتهاد وخلاف، يدعونا الإسلام إلى أن نحكم سلم الأولويات في هذا القضاء، المبادئ الواحدة المتفق عليها لا تُمس، الأحكام السلوكية المتفق عليها لا تُمس، اليوم الأسلحة التي تستعمل لتفريق المسلمين بعضهم عن بعض، ما هي؟ أسلحة القضايا الجزئية الاجتهادية: هذه بدعة لا تفعلها، إذن أنت كافر إن فعلتها، والتصوف بدعة ما ينبغي أن تمارسوا هذا التصوف إذن أنت كافر إن جنحت إلى هذا السلوك. هذه هي الوسائل التي يتم بها تفريق المسلمين المسلم المخلص لربه الواعي لإسلامه لا ينقاد إلى هذا الأمر سواء سلك هذا السبيل أو هذا السبيل. الأمور الجزئية الاجتهادية نطويها، هكذا يقول لنا الله، هكذا يهيب بنا الإسلام، ريثما نجتاز هذا المنعطف، الذي يخيل إلى أمريكا فيه أن الوقت قد حان لتوجيه الضربة القاضية إلى الإسلام، الأمور المتفق عليها في عقائدنا معروفة، والأمور المتفق عليها في سلوكاتنا الإسلامية معروفة، وهذه الأمور هي سر جمع الباري عز وجل للمسلمين تحت مظلة كلمة سواء.

كيف يتم تفريق المسلمين اليوم؟ يتم تفريق المسلمين اليوم باستشارة أمور اجتهادية، كانت اجتهادية بالأمس، ولكن المسلمين لم يقاتل بعضهم بعضاً بسببها، بل مدت جسور التعاون والتآخي والإعذار فيما بينهم. أما اليوم فهذه الأسباب الاجتهادية ذاتها تُتمشَّق لتصبح سكاكين، ولتصبح أسلحة لتمزيق الوحدة الإسلامية. نعم، نحن نقول: إسلامنا جامع، ولا يكون مفرقاً، وعندما نجد أن الأمة قد تفرقت باسم الإسلام فلنعلم أنه ليس الإسلام الذي ابتعث الله به رسله وأنبياءه وختم به بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

بالأمس وقع في يدي منشور، نُشِرَ ووَرِّعَ في أنحاء من الخليج، مضمونه كله ثورة لاهية، ضد من؟ لا ضد العدو المشترك الذي يخطط لتمزيقنا، ضد المسلمين، ضد جماعات إسلامية، إن نسائية أو غير نسائية، يقومون بما أمر الله بدافع من الحرقة على دين الله، بدافع من الإخلاص لله سبحانه وتعالى، كم وكم هدى الله عز وجل على أيديهم ضالين وتائهين، كم وكم جمع الله سبحانه وتعالى عن طريق دعوتهم شاردين وضائعين وملحدين ربما، هؤلاء الذين تتجه إليهم أسلحة العدوان، من الذي يجهل أنهم جنود هذا الطابور الذي حدثتكم عنه أيها الإخوة.

هذا الكلام الذي قلته أريد أن أنتهي منه إلى حصيلة: كونوا رقباء في أحيائكم وفي مدنكم وحيثما وجدتم على دين الله سبحانه وتعالى، لا يتسربن واحداً من أفراد هذا الطابور إلى وحدتكم الإسلامية ليمزقها، إياكم وإياهم. وأنا أعلم أن هنالك من يحاول، وهنالك من يفعل الوسائل المختلفة إن في الظلام أو في الضياء، إن في السر أو العلانية، لعله يصل إلى ما ابتغي منه، لعله يبيض وجهه أما الذين أمروه وأمام الذين دفعوه.

ولكني أقول بعد هذا كله: المستعان هو الله، والاتكال على الله، وإني لأسأل الله عز وجل أن يجعل من أسرار شامنا هذه التي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، أن يجعل من ذلك حصناً يقي هذه الأمة أسباب الفرقة وأسباب الشقاق، وأسأله سبحانه وتعالى أن يهب كلاً منا جذوة من نعمة الإخلاص لذاته العلية، ونعمة الإخلاص سر من أسرار الله يودعه الله في قلب من أحب من عباده. فاللهم إنا نسألك أن تجعلنا من عبادك الذين أحببتهم حتى تحبنا هذه الجذوة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.



## آن الأوان أن ندرك الحقيقة - د. محمد سعيد رمضان البوطي: ٢٠١١/٦/٦

كلام هام: تحدث فيه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في الجزء الأخير من درس يوم الاثنين الماضي ٢٠١١/٦/٦ عن الأحداث التي يمر بها بلدنا الحبيب، وهو موجه للغافلين عن حقيقة ما يجري عامة، وإلى منتقدي موقفه خاصة.

الآن الشيء الذي يتم أيها الأخوة إنما يتم بتخطيط من الخارج، بتخطيط من الخارج، ونحن لا نعلم من هو هذا الذي يخطط، وما الهدف الذي يتبع من وراءه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من قاتل تحت راية عُمَيَّة - أي لا يعلم من يحملها ولا يعلم إلى أي غاية يسير بها - فقتل فقتلته جاهلية)، إذاً هذه الحرية التي نراها الآن، حرية الانقياد إلى الأوامر الآتية من الخارج هذه توصلنا إلى شقاء، إذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب، المسألة خطيرة.

قد -بكثير من الأحيان- أتهم أبي أقف في صف المسؤولين في هذه القضية، أنا لم أكن يوماً ما إلى هذه اللحظة وإلى أن أموت معنياً لا بمعاملة المسؤولين ولا بمعاملة هؤلاء الناس أبداً، أنا معني بأن أستمسك بموازن الكتاب والسنة وأن أرضي ربي عز وجل، وأنا عندما أقول للناس يا ناس إذا كانت القيادة مجهولة لا يجوز شرعاً نص من كتاب الله ونص من كلام رسول الله لا يجوز أن أنقاد للمجهول أبداً مهما كانت الظروف قاسية لدينا، ينبغي أولاً أن نكون نحن المخططين وينبغي أن نعلم النهج الذي نسير إليه، وينبغي أن تكون القيادة باختيارنا ونسير خلفها، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام نهي عن ذلك إذاً أنا صرت في صف هؤلاء المسؤولين، النبي عليه الصلاة والسلام قال: (من خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفني بذي عهدها فليس مني) وأنا أقول: هذا الكلام منطبق على المسؤولين وعلى هؤلاء، من خرج من أمتي على أمتي.

الخطة أيها الإخوة معي مرسومة ووصلتني، بعض الوثائق تصلني والله من دون أن أبحث عنها، الخطة منذ أن رسمت خطة القضاء على العراق لما وجد المفاعل النووي، من وقتها إسرائيل وأمريكا خططوا للقضاء على العراق، لكن وضع مع ذلك خطة للقضاء على أماكن أخرى منها سوريا، الخطة التي رسمت لسوريا هي تقسيمها إلى أربع أو خمس دول، موجودة هذه الخطة، لكن الطريقة التي قضى بها على العراق واستراتيجية الوضع في العراق تختلف عن استراتيجية الوضع في سوريا، الطريقة التي رسمت للعراق غير الطريقة التي رسمت لسوريا، الطريقة التي رسمت لسوريا بدأت بها، مسيرات ثم إسقاط ثم بعد ذلك تخريب، تخريب ولو بدون أي شيء، تخريب قضاء قتل تحريق كذا إلى آخره من أجل أن يكون هنالك فعل وردة فعل، من أجل أن يوجد القتل ثم يستحرق القتل ويزداد القتل، المرحلة الأخرى التي نستحرق لها البلد الوطن الدولة هو الحرب الأهلية، الحرب الأهلية إذا تمت لا يستطيع أحد أن يملك خياراً فيها، المرحلة الثالثة يأتي المعلم الكبير الذي يخفي الآن وراء الأسوار، يدخل من أجل أن يحل المشكلة، يأتي من أجل أن ينهي هذه المشكلة، يأتي وأيضاً يأخذ مننا إبتاوة، سوف يأخذ مننا إبتاوة ليحل هذه المشكلة، كيف يحلها؟ بأن تقسم سوريا إلى خمسة أقسام، هذه الوثيقة موجودة لدي الآن.

فيا أخي أنا كيف أجد نفسي لأكون جندياً لهؤلاء الناس؟! النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من قاتل تحت راية عمية فقتلته جاهلية) وأحاديث كثيرة عمجية وغريبة كأنه يصف هذا الوضع لدينا. هذا لا يعني أنني أؤيد أيّاً كان لا الدولة ولا غير الدولة في باطل، يا إخواننا أنا أقول لهؤلاء الذين يرفعون لواء الجهاد ويتهمونني بأنني بطلت الجهاد، ففي شهر رمضان عندما تحدثت في هذا المكان عن الغضب الإلهي الذي يقدم إلينا بسبب مسلسل ما ملكت أيماكم وبسبب ١٢٠٠ منقبة وزير التربية السابق سرحهن وبسبب كذا وكذا وكذا، من الذي أيدني في ذلك؟ أين كان الذين ينادون بالجهاد الآن؟ لماذا لماذا لم يكونوا ينادون بالجهاد آنذاك؟ لماذا؟ أين الذين انتصروا لي بكلمة واحدة؟ نعم قلت هنالك غضبة عارمة آتية، في رمضان كل ليلة من الليالي يُستهزأ بكتاب الله عز وجل تحت اسم ما ملكت

أيماكم، الداعيات، الداعيات المتمسكات الزاهدات يوصفن بأهمن داعرات، رنا عز وجل يرى وقلت هذا الكلام، الآن الموقف هكذا يقتضي، لا يجوز أن أتبع الأجنبي.

في المؤتمر الذي عُقد في تركيا خليط علمانيون وماركسيون وتحير إسلامي الذي تتبناه بريطانيا وإسلاميون مكفرون -أنا كافر بنظرهم - مكفرون وجماعة خدام، خليط، هذا الخليط، كل أولئك جنود للخطة التي هي تنمة لخطة العراق، شرق أوسط جديد قرأت كيف يكون جديداً، نعم، هذه هي الخطة يا إخواننا، نعم، فلا هؤلاء ولا هؤلاء ولا أولئك سيفوزون، نعم كلهم الآن متفقون على أن تسقط سوريا كفرنسية، فرنسية، ثم بعد ذلك يأتي دور النهش من هذه الفرنسية، نخش أنا أنا أقول هذا الكلام، نعم، هذا النهش عبارة عن ماذا؟ تقسيم، كيف سيكون؟ على الساحل ما هو اسم الدولة وفي حلب ما هو اسم الدولة وما إلى ذلك وأظن أي قلت جزء من هذه الخطة وذكرتها في بعض المناسبات، نعم.

إذاً أنا أهيب بإخواننا وشبابنا أن يضبطوا عواطفهم بالعقلانية وأن يضبطوا عقلايتهم بالإسلام، وأن يجعلوا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً لهم، لا يجعلوني لا أنا ولا غيري، بل يقرؤوا سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وأن يقرؤوا أحاديث الفتن التي يتحدث بها رسول الله عن هذا الواقع تماماً ويطبقوه، أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثم بالإضافة إلى هذا أدعو نفسي وأدعوهم كما أكرر دائماً أكرر وأكرر أن نلتجئ إلى الله بصدق، ونتوب، قبل كل شيء نتوب نتوب نتوب، أنتم والله كلكم أفضل مني لكنني أريد الذين في الخارج أن يتوبوا، الذي في الخارج والذي لا أراه، أن يتوب إلى الله عز وجل، رجال الأعمال يخرجوا قليلاً من البحار التي كادوا أن يغرقوا فيها، بحار الدنيا والتجارة والمال والصادر والوارد وما إلى ذلك، ابقوا مع الله قليلاً، ابقوا مع الله قليلاً، الناس الذين يسهرون على المحرمات وما إلى ذلك ارجعوا وتوبوا إلى الله قليلاً، الذين لا تعرف جباههم السجود ولا يعرفون توجهاً إلى القبلة ولا يحملون القرآن ليقرؤوا منه في السنتين مرة، يا أخي أنتم مسلمين، اليوم على وجه الأرض وغداً في باطن الأرض، ارجعوا ارجعوا إلى الله عز وجل، توبوا توبوا توبوا، إن تاب لا أقول الكل بل نصفهم فأنا ضامن اعتماداً على ما أعرفه من سعة فضل الله وسعة كرم الله وصفح الله أن هذه الغمة ستنتشع بشكلٍ عجيب حارق، نعم، لكن إذا ركبنا رؤوسنا يا إخواننا، شيء عجيب إذا ركبنا رؤوسنا، رجال الأعمال، رجال الأعمال كثيرون منهم لا يجوبون أن تتحقق إصلاحات، لأنه إذا تحققت إصلاحات مراجعهم ستتهبط خمسين بالمئة، يجب أن يوجد فساد وقفز فوق القوانين ويجب أن تتم الرشاوي ويجب كل واحد منهم أن يجنب نفسه وراء مسؤول يجب ويجب حتى تزداد الأرباح، تصوروا تصوروا.

يا إخواننا سيدنا الحسن البصري سمع رجلاً يسب الحجاج فقال له: لا تقل ذلك يرحمك الله، فإني أخشى إن هلك الحجاج أن يتولاكم القردة والخنازير، هذا كلام الحسن البصري، روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عمالكم أعمالكم كما تكونوا يولي عليكم)، نعم، إذا أردنا أن نصلح الحال فلنبداً بإصلاح أنفسنا، يجب أن نصلح أنفسنا، هذا ما أقوله، أقوله لنفسي وأقوله لأكثر مسؤول وأقوله للمسؤولين الذين إلى جانبه وقلت وقلت في مجلس لا أريد أن أصفه قلت يجب أن نتوب إلى الله، لا بد أن نتوب إلى الله، نعم التوبة إلى الله ضرورة لنا جميعاً، رنا عز وجل يقول للجميع بما فيهم سيدنا رسول الله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا على ما يرضيه، والله يا إخواننا لا أحد يسيء الظن فيّ بعد ذلك فرنا عز وجل يجعل سوء ظنه نكال، أنا لم أعش يوماً ما أستجدي رضی مخلوق، لا حكام ولا محكومين، وبين القبر خطوات، أنا بشباني لم أكن هكذا، الآن أستجدي؟!، لا، أنا أستجدي رحمة الله، أستجدي رضی الله، أنا لا أريد غير حديث رسول الله: (من استرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضى الله كفاه الله مؤونة الناس) هذا مبدئي عليه حييت وعليه عاهدت والدي بعد الله وعليه سأستمر وعليه سألتقى الله.

## قصة الطابور المستأجر لتشويه الإسلام - خطبة جمعة للدكتور البوطي ٢٠١٢/١١/٢

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليفه. خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاةً وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين. وأوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبه بتقوى الله تعالى. أما بعد فيا عباد الله:

سؤال يتطرحه اليوم كثيرٌ من الناس: ما هي العوامل التي تلاقت من شتى الجهات فأعلنت حرباً عالميةً على سوريا؟ بل ما هي الجريمة التي اقترفتها سوريا في حق بقاع العالم أجمع مما جعلها تقذف سوريةً بسهامها من قوس واحد؟ هذا سؤال يتكرر كما تعلمون على كثيرٍ من الأفواه وينبغي أن أجيب عن هذا السؤال بشيء من التفصيل الذي تسمح به الدقائق التي أملكها في مثل هذا الموقف.

عباد الله: إن عداوة الغرب للإسلام من خلال المسلمين حقيقة تاريخية لا تُنكر ولا ريب فيها وقد تنقلت في أطوار شتى، ولا شأن لنا بالحديث عن تلك الأطوار التي خلت، ولكن الذي يهمنا أن نتحدث عن عداوة الغرب بشطريه الأوروبي والأمريكي للإسلام في هذا العصر.

أيام الاتحاد السوفييتي كانت الصيغة التي تبدو أنها علمية في تبني الإلحاد والوقوف في وجه الإسلام القائم على دعائم العلم، كانت هذه الصيغة متمثلة في الفلسفة الماركسية كما تعلمون، ومن ثم فإن الغرب -لاسيما الغرب الأمريكي- كان سعيداً بذلك وكان يرى أن هنالك من يجارب الإسلام بالوكالة عن الغرب متمثلاً في الجدلية الماركسية، ولعلكم تذكرون أو تعلمون أن في تلك الأيام شيئاً كان يعرفه الناس يسمى الشيوعية الأمريكية -أي التي تتبناها أمريكا- لم تكن تتبناها لمزاياها الاقتصادية والاشتراكية ولكنها كانت تتبناها لأنها كانت تملك مطهراً للصيغة العلمية التي تستطيع بها أن تقف في وجه الإسلام.

انهار الاتحاد السوفييتي ونظر الغرب بشطريه الأوروبي والأمريكي وإذا بالأداة التي كانت تحارب الإسلام فيما يتصورون بالنيابة عنهم قد غابت، فاستعملوا بمناسبات شتى عن أهمية الوقوف في وجه الإسلام وعن ضرورة الوقوف في وجه هذا العدو الأخير الوحيد الباقي، وكان تصريح رئيس الوزراء في حكومة بريطانيا -تصريح تاتشر- أول إعلان عن هذه الحقيقة التي أقولها لكم، وها أنا أنقل هذا التصريح بنصه يا عباد الله. في اليوم الثالث من شباط من عام تسعين وتسعمائة وألف بثت لندن في برنامجها العربي هذا التصريح لتاتشر، تقول ما نصه: كان أمام الغرب عدوان اثنان، الشيوعية والإسلام، وقد تم القضاء على العدو الأول دون أن يقدم الغرب في سبيل ذلك خسائر تذكر، ويقف الغرب اليوم كله في خندق واحد لمجابهة العدو الباقي وهو الإسلام. هذا ما قالته تاتشر، ولعل هذا التصريح أول تعبير عن ضرورة الوقوف في وجه الإسلام بعد أن انهار الوكيل الوحيد الذي كان يقف وقفة علمية فيما يتصورون في وجه الإسلام. وعلى الرغم من أن بعض المسؤولين في بريطانيا آنذاك لم تعجبهم تلك الصراحة الفاقعة الذي تمتع بها تصريح تاتشر ولكن الغرب كله أيدها في ذلك، وفي مقدمة من أيدها في ذلك الغرب الأمريكي، لماذا الغرب الأمريكي أيها الإخوة؟ لأن الإدارة الأمريكية متمثلة في الكونغرس وغيره كانت تعتقد أن أمريكا هي المناخ الأول لتقبل الإسلام وأن الذين يقبلون على الإسلام في أمريكا ربما كان ضعف من يتقبل الإسلام ويستأنس به في أوروبا. وإليكم هذا التصريح الآخر من طبيب أمريكي مرموق نشر مقالاً في مجلة الفيكارو الفرنسية في يوم الثالث عشر من حزيران من عام اثنين وتسعين وتسعمائة وألف، يقول فيه ما نصه: إن الإسلام دين تسامح، وإن الحكومة الأمريكية تجابه الإسلام في كل مكان من العالم لأنها الديانة التي تُفْعَلُ الفرد بسرعة كما تحارب توجه المسلمين إلى أي اتحاد فيما بينهم لأنه إذا اتحد المسلمون فلن تكون هنالك ولايات متحدة أمريكية في العالم، هذا كلام طبيب أمريكي مرموق وليس كلامي، نعم.

بناءً على ذلك كان لابد أن ينهض الغرب بالوقوف في وجه الإسلام بعد أن كان مطمئناً إلى أن الجدلية الماركسية تنوب عنه في ذلك، اقتضى الأمر في هذه المرحلة أن يتطور السبيل إلى محاربة الإسلام بعد أن كان سبباً بل سبباً تقليدية لا داعي إلى الحديث عنها. تطورت

السبيل إلى محاربة الإسلام عبر نقطتين اثنتين: هدف وخطة. أما الهدف المرسوم فهو أن يقضي الإسلام نفسه على نفسه بذاته وأن يحرق الإسلام ذاته وذلك عن طريق تألب المسلمين بعضهم على بعض بكل الوسائل الممكنة، ومن تتعب وقائع مؤتمر كالورادو الذي عُقد في أمريكا في هذه الولاية يتبين تفصيل هذا الذي أقوله لكم. هذا هو الهدف، أما الخطة فتتكون من عنصرين -وأنا ألخص حقيقة- العنصر الأول يتمثل في ضرورة محاربة الإسلام بسلاح من مظاهر الإسلام ذاته، وهم يقصدون في هذا السلاح الذي هو من مظاهر الإسلام ذاته تجميع طابور من الخليقة البشرية ذات طابع وأخلاق شاذة عن هذه الخليقة كلها تثير الرعب في أخلاقياتها وفي سلوكها، مهوى أفتدتها البطش والقتل وارتكاب المجازر، أمتع ما تتمتع به أعينها مظهر الدماء الزكية المتفجرة من جسوم ومدابح البراء من عباد الله سبحانه وتعالى، أبرد ما يشفي غليلها الجسوم التي تقطع إلى أوصال والأوصال التي تقطع إلى أشلاء، ولا بد أن يكون لهذا كله غطاء من المبررات الإسلامية، وماذا عسى أن يكون هنالك مبرر لذلك إلا التكفير؟! إذاً ينبغي أن يغطي ذلك كله بمبرر التكفير، أي أن التكفير إنما أتى به من أجل تبرير هذا القتل المرعب المهلك وليس العكس. هذا جزء من الخطة التي رسمت، قلت لكم إن الخطة تتكون من عنصرين اثنين، هذا هو العنصر الأول، أما العنصر الثاني فيتمثل في ضرورة أن يُمرَرَ هذا كله من وراء ستار كثيف من العناوين الإسلامية، عناوين المؤسسات، عناوين الاهتمامات الإسلامية، عناوين متألقة برافعة على ألا يكون لها أي مضمون، على ألا يكون لها مضمون أكثر مما يتضمنه الطبل، ليس فيه إلا الهوان الذي يسري في داخله، منظمة التعاون الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عناوين ندوات ومؤتمرات ضخمة كبيرة وكثيرة تعقد هنا وهناك باسم الإسلام، أقتية خاصة لخدمة القرآن ولتلاوة القرآن وما إلى ذلك، ينبغي أن توجد هذه العناوين من أجل أن يمرر من وراء سترها العنصر الأول في الخطة التي ذكرتها لكم.

عباد الله: هل أنا أتى بهذا الكلام من خيالٍ يحوكة ذهني؟ معاذ الله، ارجعوا إلى وقائع مؤتمر كالورادو تجدون ما أقول مفصلاً، ارجعوا إلى أكثر من تقرير أصدره مجلس الأمن القومي الأمريكي تجدون مصداق ما أقول، إذاً فالخطة المرسومة الجديدة لحرب الإسلام هي تلك التي تجتث مشاعر الاستئناس بالإسلام في أمريكا، هي التي تقف على مشاعر الركون والإصغاء إلى حقيقة الإسلام، عقائد، حضارة، أحكام، كيف السبيل إلى احتثائها؟ أن توضع هذه الصورة أمام الشارع الغربي في مظهره الأمريكي والأوروبي. إذا وجد الغرب هذه الصورة للإسلام لا بد أن يشمئز منها ولا بد أن يتصور أن الإسلام هو البعبع، هو الشبح الذي لا بد للإنسانية أن تستعيد بالله عز وجل منه، هذا هو الذي يجري اليوم، وهذا هو الجواب عن هذا السؤال مختصراً.

بقي أن فينا من قد يسأل: فلماذا حصر هذا العدوان أو حصر هذه الحرب في سوريا بالذات والعالم العربي والإسلامي واسع الأرجاء؟ والجواب عن هذا يا عباد الله أن سوريا تمثل عقدة التماس، هذا شيء، وأن معظم الذين يعيشون حول سوريا هنا وهناك خاضعون، مستسلمون، ولعل فيهم من يمثلون جزءاً من هذا الطابور الذي صاغته العدوان الأمريكي ضد دين الله سبحانه وتعالى، من أجل هذا يتمركز العدوان على الإسلام من خلال العدوان على هذه الأرض المقدسة، من خلال العدوان على المسلمين في هذه الأرض المقدسة. في الناس من ينظر إلى هذه البلدة نظرة سطحية عجلية فيقول أين هو الإسلام، أين هو الخوف من الإسلام في سوريا؟ يقول هذا نتيجة لنظرته العجلية، ولكن الغرب أدهى من أيقف هذا الموقف السطحي الساذج. الغرب لا ينظر إلى الوقائع عندنا نظرة سطحية عجلية ولكنه يحخر إلى اللباب، الغرب يرى الوعي الإسلامي المتألق في هذه البلدة، الغرب يعلم أن المسلمين يمثلون في سوريا الإسلام الصافي عن الشوائب الذي يتمثل في كتاب الله والذي يتجسد في هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعلمون أن الإسلام الذي يعتنقه حل المسلمين في سوريا إنما هو ذاك الذي يجسد خطاب الله عز وجل لرسوله القائل:

(فِيمَا رَجَعَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

يعلمون أن الوعي الإسلامي يدرك أن الإسلام في سوريا منبثقاً من كتاب الله ومنبثقاً من سنة رسول الله أبعد ما يكون من أن يخضع لما يسمى حرب طائفية، لما يسمى احتكاكات طائفية، يعلم الغرب هذا، وكم وكم قرر هذه الحقيقة رسل جاؤوا فأقاموا في سوريا واحتكوا بكثير

من الناس واحتكوا بأمثالي ورأوا المعاهد ورأوا الحقائق الإسلامية التي يعتنقها ويدركها المسلمون، يعلمون ذلك، أما السطحيون فأرجو أن يستفيدوا من نظرة الغربيين وأن يعلموا أن الإسلام في سوريا، وإن لم يكن في مظهره ذا دلالة على حقيقته ولكنه في مخبره كما أقول لكم.

فيكم من قد يسأل: فما العلاج؟ هذا هو العدوان وذلك هو الهدف وهذه هي الخطة فما العلاج؟ أقول لكم اليوم يا عباد الله: إن إدراك المشكلة يساوي نصف الطريق إلى حلها، إذا أدركنا حقيقة هذه المشكلة وأدركنا السبب في هذا العدوان الذي يتمركز من العالم كله على سوريا بالذات، إذا أدركنا السبب فلنعلم أننا ملكنا نصف العلاج إلى حل المشكلة، أما النصف الثاني فأرجو أن يوفقنا الله لبيانه ولشرحه مع شيء من التفصيل في المواقف القادمة إن شاء الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

عباد الله: كلمات موجزة ألفت أنظاركم وأنظار بعض إخوة ربما وقعوا في خطأ سببه سبق لسان، أحدهم عبّر عن هذه الكارثة التي فاجأت أمريكا بغضب الطبيعة أو بهياج الطبيعة. هذه الكلمة أيها الإخوة شاذة لا مكان لها في بصيرة الإنسان المسلم ولا مكان لها في بصيرة الإنسان الذي يتعامل مع العلم. طبيعة، كلمة طبيعة هذه على وزن فعيلة بمعنى المفعول أي مطبوع، والطبيعة التي ينطقون بها أو يتكلمون بها يعبرون بها عن هذه المكونات، هذه المكونات مطبوعة أي وُجِدَ من طبعها بنظامها القائمة عليه، وُجِدَ من طبعها بقانونها، بسننها السائرة على منهاجها، فمن هو الطابع ومن هو المنظم ومن هو الواضع لسلسلة هذه القوانين الكونية، جل الإله الذي أمر موسى أن يقول لعدو الله فرعون:

(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

ربنا من؟ باختصار هو (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) مظهرًا ثم هداة إلى قانونه، إلى العكوف على نظامه، إلى العكوف على سننه التي أقام الله هذه المكونات عليها. الطبيعة! أنى للطبيعة أن تقرر وأن لها أن تصول عندما تريد أن تصول وأن تتمد وتتمد عندما تريد أن تفعل ذلك، لا. جل الإله الذي جعل من الماء سرًّا للحياة عندما يشاء وجعله سببًا للهلاك عندما يريد، جل الإله الواحد الأحد الذي جعل الرياح الهابّة سببًا لانتعاش الروح، سببًا لتجدد الحياة عندما يشاء وجعلها سببًا للهلاك والدمار عندما يشاء، جل الإله الذي يسخر ما يشاء من خلقه لما يشاء. لا يا أخي، إياك أن تلوث لسانك بهذه الكلمة، قل: إنها قضاء الله وحكمه، قل: إنها إيقاظ لأولئك الناس لعلهم يستيقظون،

(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ) [الرعد: ٣١].

هذا ما وقع. عندما ابتلع غضب الله عز وجل جزيرة كاملة في إزميت في تركيا بعد منتصف الليل أفكانت الطبيعة هي التي قررت ذلك؟! ابتلعها بكل من فيها من الأوغاد، من الذين كانوا يتحدثون الله بطريقة عجيبة حتى الطغاة من قبل لم يفعلوا ذلك، عندما ابتلع قضاء الله عز وجل تلك الجزيرة الكبيرة التي كانت قد استأجرتها أمريكا من بريطانيا بكل ما فيها من عتاد وبكل ما فيها من أناسي أكان ذلك قرارًا قرره الطبيعة؟! لا، لا أيها الإخوة، إنه إيقاظ إلى قضاء الله عز وجل وحكمه، إنه بيان من الله عز وجل يذكرنا بقول الله عز وجل:

(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر: ٦٧].

تلك هي الحقيقة، فلنستغفر الله من هذه الكلمة الباطلة.

## من خفايا الثورة الفرنسية - للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله

دبر اليهود مكائدهم لاستغلال الثورة النفسية التي وصلت إليها الشعوب الأوروبية، لا سيما الشعب الفرنسي ذو المزاج الثوري الانفعالي الحاد، فأعدوا الخطط اللازمة لإقامة الثورة الفرنسية، الرامية إلى تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية.

وفعلاً قامت هذه الثورة الكبرى عام (١٧٨٩م). واستطاع اليهود أن يجنوا الثمرات لأنفسهم، واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بعيداً عن الأضواء، وأن يزوروا كثيراً من الحقائق من الحقائق التاريخية لستر مكائدهم وغاياتهم. واستطاعوا أن يصوروا هذه الثورة وما جرّت وراءها بالصورة الجميلة المحببة، وأن يجعلوها إحدى الأعمال التاريخية المجيدة، وذلك عن طريق الدعايات والإشاعات المزخرفة المقرونة بالشعارات البراقة التي انخدعت بها الجماهير، وأخذت ترددها بغفلة وجهل وحمافة، وهي لا تدري الهدف الذي ترمي إليه.

ووضع اليهود شعاراً مثلثاً لهذه الثورة هو: (الحرية - المساواة - الإخاء).

أما أصل مخططات هذه الثورة فقد وضعها جماعة النورانيين من الحاخامين اليهود، واستخدموا للبدء بالدعوة إليها بين سادة المال اليهود العالميين، الثري المرابي الكبير (روتشيلد الأول) ثم ابنه (ناتان روتشيلد).

فدعا (روتشيلد الأول) اثني عشر رجلاً يهودياً من أرباب المال العالميين إلى (فرانكفورت) وتدارسوا في إعداد الخطب اللازمة لإقامة الثورة الفرنسية، واتفقوا على وضع إمكاناتهم المالية لتنفيذها.

ثم عرض (روتشيلد) عليهم الوثائق المكتوبة التي عهد إليه بها جماعة النورانيين من الحاخامين اليهود وقرأها عليهم، وتتضمن هذه الوثائق تنظيم خطة للعمل مرسومة بدقة بالغة وعناية فائقة.

وقد جاء في هذه الوثائق المكتوبة ما يلي:

١- إن الحقائق التاريخية الواقعية تثبت أن معظم الناس يميلون إلى الشر أكثر من ميلهم إلى الخير.

والنتيجة المنطقية لذلك، هي أن المؤامرة تستطيع الوصول إلى النتائج التي نرغبها، إذا كان نظام الحكم مبنياً على الإرهاب والعنف والمغامرات واغتصاب السلطة.

أما حكم الشورى والشرعية فإنه يمنعها من الوصول إلى مآربها. وقال (روتشيلد): "إن القوانين الطبيعية تقضي بأن الحق هو القوة".

٢- إن الحرية السياسية ليست سوى فكرة، فهي ليست أمراً واقعياً، أي: إنها لا يمكن أن تصبح أمراً واقعياً.

فكل ما يقتضيه الوصول إلى السلطان السياسي هو التبشير بالتححر السياسي بين الجماهير، وعندما تعم هذه الفكرة تقبل الجماهير بالتنازل عن امتيازاتها وحقوقها التي تمنحها إياها الأنظمة الشرعية دفاعاً عن هذه الفكرة، ويستطيع المتآمرون آنئذ، الاستيلاء على جميع هذه الامتيازات والحقوق.

٣- إن سلطة الذهب تمكنت دائماً من التغلب على سلطة الحكام الأحرار.

وكان الدين هو المسيطر على المجتمع ذات يوم، ثم استعاض عنه فيما بعد في العديد من البلدان بفكرة الحرية، ولكن الناس لم يعرفوا كيف يتصرفون بهذه الحرية باعتدال.

وهذه حقيقة واقعة، تجعل من المنطق ان نعلم ان استخدام واستغلال فكرة الحرية، حتى نثير النزاع داخل المجتمع الواحد. وقال (روتشيلد): لا يهم مطلقاً لنجاح مخططنا أن يتم تدمير الحكومة القائمة عن طريق القوى الداخلية أو الخارجية، لأن المنتصر كائناً من كان سوف يحتاج إلى (الرأسمال) وهو بكامله في أيدينا نحن.

٤- إن السعي لنجاح هذه المؤامرة يبرر استعمال أية وسيلة مهما كان شأنها، لأن الحاكم الذي يحكم بموجب القواعد الخلقية ليس بالسياسي الماهر في المناورات، لأنه يلتزم بالحق والشرائع، ولا يقبل بالكذب على الجماهير، ولا يعاقب خصومه إلا إذا ثبت عليهم الجرم.

وقال (روتشيلد): إن الفضائل الاجتماعية الكبرى كالصدق والاستقامة، ليست إلا عيوباً كبرى في السياسة.

٥- إن حقنا في قوتنا، وليست كلمة حق سوى تعبير خيالي لا معنى له. لقد وجدنا معنى جديداً للحق، هو الهجوم متذرعين بحق القوي وتمزيق جميع مفاهيم العدالة إرباً إرباً.

ونستطيع بعد ذلك أن نضع جميع المؤسسات والأنظمة الاجتماعية كما نشاء، ونصبح بالتالي السادة المسيطرين على صفوف الجماهير، التي ستعطينا هي بنفسها الحق في السلطان، في اليوم ذاته الذي سننادي فيه في فرنسا بالتححر المزعوم.

٦- يجب أن تظل سلطتنا الناجمة عن سيطرتنا على المال خفية عن أعين الجميع، حتى يأتي اليوم الذي تصل فيه هذه السلطة إلى درجة من القوة يستحيل معها على أية قوة أخرى أن تحطمها...

٧- يجب تبني (نفسية التجمعات الجماهيرية) للتمكن من السيطرة على زمام الجماهير، والسبب في ذلك هو ان الجماهير عمياء وبعيدة التفكير، وسريعة الانفعال، وأنها دوماً تحت رحمة أي تحريض من أي طرف جاء... .

ولا يستطيع إنسان التحكم في الجماهير وتسييرها حسب مشيئته سوى حاكم طاغية، والطغيان المطلق هو السبيل الوحيد لبناء الحضارة التي نريدها.

**وفي اللحظة التي تسيطر فيها الجماهير على حريتها تنقلب هذه الحرية حالاً إلى فوضى.**

٨- يجب الاعتماد على الكحول والمشروبات الروحية، والمخدرات، والفساد الخلقي والجنسي، والرشوة، وإفساد الضمائر. وذلك كأمثلة على الرذيلة بجميع أنواعها، التي يترتب على منظمات العملاء أن تتبناها، وتخطط لاستعمالها بصورة نظامية مدروسة، وموجهة لتدمير البنيان الخلقي للشبيبة، في الأمة التي تتسلل إليها المنظمة.

ويترتب على الهيئات الخاصة في المنظمة أن تدرب أفرادها رجالاً ونساءً ليصبحوا أساتذة، وخداماً، ومربيات، ومستخدمين، ومستخدمات ونحو ذلك، وأن تنتقي نساءً لكي يعملن في أمكنة اللهو والفجور والدعارة من (الجويم).

أضيف إلى هذه الفئة من النساء بعض سيدات المجتمع اللواتي سوف يتطوعن من تلقاء أنفسهن، لمنافسة الأخيرات في ميادين الفساد والمتعة المترفة، على انه لا ينبغي أن نقف عند أي حد في ميادين الرشوة والفساد والفضائح والخيانة، ويجب ان نستغل كل شيء في سبيل الهدف النهائي.

٩- إن للمؤتمرين بصورة طبيعية الحق في اغتصاب أموال أي شخص كان، إذا كان ذلك يؤمن لهم المزيد من السيطرة، أو إخضاع أو إذلال الشخص المقصود.

١٠- سوف نسلك في دولتنا التي سنشيدها طريق الغزو التسلسلي، وبذلك نتجنب فظائع الحرب المكشوفة ونتائجها، مستعاضين عنها بطرائق أقل فداحة، وأضمن نتائجاً، وذلك كأحكام الإعدام بالجملة، الضرورية لممارسة حكم الإرهاب، الكفيل بتأمين خضوع الجماهير المطلق لنا.

١١- لا يوجد مكان في العالم لما يسمى بـ (الحرية) و (المساواة) و (الإخاء).

ليست هذه سوى شعارات كنا أول من تظاهر بتبنيها، ووضعناها في أفواه الجماهير لترددتها كالبغاوات.

١٢- ثم أوضح (روتشيلد) للمؤتمرين خطط إثارة الحروب، فأبان لهم وجوب كونها منهجية مدروسة محددة، ووجوب توجيهها بصورة تغرق معها الأمم المتحاربة في الديون التي ترتبط بصورة خفية بأصحاب المؤامرة، ثم يكون توجيه مؤتمرات الصلح بعدها بالصورة المرسومة سلفاً.

١٣- ثم أوضح (روتشيلد) للمؤتمرين وجوب الهيمنة على الانتخابات والتسميات للمناصب العامة.

أما الطريقة للوصول إلى ذلك فتقوم على استخدام سلطان شبكات العملاء، والدعايات الواسعة، باسم شعارات تحررية مزعومة، للتحريض على الفوضى والعصيان، وتأليب الجماهير بحملات منظمة تقوم بتمويلها مجموعة الأموال العالمية التابعة للمؤامرة.

ثم شرح الدور الذي سوف يقوم به من يتم إيصالهم إلى المناصب العامة، وإلى الزعامات فقال للمؤتمرين:

سوف يكون هؤلاء في خدمتنا ويطيعون تعليماتنا، أي: إنهم سيكونون مستعدين على الدوام ليلعبوا دور الأحجار في لعبة الشطرنج، سيكونون بالاختصار دمي يحركها من وراء الستار خيراؤنا المدربون القديرون.

أما هؤلاء الخبراء أو المستشارون فسوف يتم اتقاؤهم منذ الطفولة، ويستمر الإشراف عليهم وتعليمهم وتدريبهم، حتى يصلوا إلى مرحلة العبقرية التي تؤهلهم للسيطرة الخفية على مقاليد العالم...

١٥- إن أزمات البطالة العامة الناتجة عن توقف الأعمال، وأزمات المجاعة التي سوف نفتعلها، ونفرضه على الجماهير بفضل ما نمتلكه من سلطان يكفل لنا افتعال انعدام المواد الغذائية من البلاد، ستؤدي إلى ولادة حق جديد هو حق رأس المال في السيطرة.

وتابع (روتشيلد) مبيناً للمؤتمرين كيف ستقوم المنظمة بتسيير الجماهير والسيطرة عليها، وكيف يصبح من الممكن بالتالي اكتساح كل من يجروء على الوقوف في وجه المنظمة، عن طريق توجيه الجماهير للانقضاض عليه.

١٦- ثم بحث موضوع التسلل إلى قلب الماسونية الأوروبية، فذكر أن الهدف من ذلك الإفادة من تغلغل الماسونية وسريتها.

وأشار إلى أن الأعضاء الذين سوف تضمهم هذه المحافل الماسونية سيعهد إليهم بعد التدريب والتعليم بمهمة نشر العقائد الإلحادية والمادية بين صفوف (الجوييم).

١٧- سوف نشير حماسة الجماهير وانفعالها إلى درجة قصوى، عن طريق استعمال تعابير خلافة، مثل (الحرية) و (التحرر) إلى آخره...

وحينئذ يمكن توجيه الجماهير (الجوييم) إلى تحطيم واكتساح كل شيء، حتى القوانين الطبيعية والإلهية والخلقية.

وعندما نبلغ السيطرة النهائية أخيراً، سيكون من السهل علينا أن نمحو اسم الله، والقوانين الإلهية من الطبيعة.

١٨- يجب ان تصل دبلوماسيتنا الخفية إلى درجة من النفوذ والتغلغل، بحيث لا يصبح من الممكن لأية أمة أن تعقد أي اتفاق، أو تجري أية مفاوضات، دون أن يكون لدبلوماسيتنا يد في الأمر....

وذلك لكي تتمكن المنظمة من إحلال خبائها في المراكز الحساسة، الاقتصادية والسياسية والمالية ... متتكرين على شكل مستشارين مثلاً، يظهرون على المسرحين الداخلي والدولي، بحيث يقومون بتنفيذ المهمات التي تعهد لهم بها السلطة الخفية المسيطرة من وراء الستار، دون أن تخشى التعرض لأنظار الملاء.

١٩- سيكون من الضروري إنشاء احتكارات عالمية ضخمة، تدعمها ثرواتنا المتحدة بمجموعها، حتى تصل هذه الاحتكارات إلى درجة من السلطان والهيمنة لا يمكن معها لأي ثروة وطنية يمتلكها (الجوييم) في البلدان التي تسمح شرائعها بامتلاكها، إلا أن تقع تحت وطأة هذه الاحتكارات.

وعندما يجين الحين الذي نضرب فيه اقتصاد تلك الأمة الضريبة القاضية، تنهوى هذه الأمة اقتصادياً وسياسياً، وتنهوى معها جميع الثروات الوطنية.

وهكذا إلى بنود أخرى في مخطط شيطاني جهنمي أقرها هذا المؤتمر من يهود.

وقام اليهود بتنفيذ مخططهم المرسوم بكل دقة، وقامت الثورة الفرنسية الكبرى سنة (١٧٨٩م).

وانطلق المحرضون والمجرمون والانتهازيون يذبحون ويقتلون ويغتصبون علناً. وأخذ الذين جهزوا للقيام بالثورة بتصفية كل الذين عرفوا بولائهم للملك والبلاد.

وجرت الأمور وتتابعت لصالح اليهودية العالمية، وُزرت الحقائق التاريخية، وسميت هذه الثورة اليهودية في حقيقتها بالثورة الفرنسية الكبرى.

المصدر: كتاب كواشف زيوف للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة رحمه الله ص ٦٠ وما بعدها بتصرف



## لماذا لم يشغل بديع الزمان النورسي فكره بالحرب - بديع الزمان النورسي

سألني يوماً إخواني الذين يتولون خدمتي قائلين:

لقد أخذت الحرب العالمية باهتمام الناس وشغلت الكرة الأرضية وأوقعتها في اضطراب وقلق وهي ذات علاقة بمقدرات العالم الإسلامي إلا أننا نراك لا تسأل عنها رغم مرور خمسين يوماً على نشوبها - بل سبع سنين - في الوقت الذي نرى متدينين وعلماء يدعون الجامع والجماعة مهرعين إلى استماع الراديو، فهل هناك قضية أعظم منها تشغل بالك؟ أم أن الانشغال بما فيه خسارة وضرر؟! فأجبتهم:

إن رأس مال العمر قليل ورحلة العمر هنا قصيرة، بينما الواجبات الضرورية والمهمّات التي كلفنا القيام بها كثيرة، وهذه الواجبات هي كالدوائر المتداخلة المتحددة المركزة حول الإنسان فابتداءً من دائرة القلب والمعدة والجسد والبيت والمحلة والمدينة والبلاد والكرة الأرضية والبشرية وانتهاءً إلى دائرة الأحياء قاطبة والعالم أجمع، كلّها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر فكلّ إنسان له نوع من الوظيفة في كلّ دائرة من تلك الدوائر، ولكن أعظم الواجبات وأهمها بل أدومها هي بالنسبة له في أصغر تلك الدوائر وأقربها إليه، بينما أصغر الواجبات وأقلّها شأنًا ودواماً هي في أعظم تلك الدوائر وأبعدها عنه، فقياساً على هذا يمكن أن تتناسب الوظائف والواجبات تناسباً عكسياً مع سعة الدائرة، أي كلما صغرت الدائرة وقربت عظمت الوظيفة، وكلّما كبرت الدائرة وبعدت قلت أهمية الوظيفة، ولكن لما كانت الدائرة العظيمة فاتنة جاذبة، فهي تشغل الإنسان بأمر غير ضرورية له، وتصرف فكره إلى أعمال لا تعنيه بشيء، حتى يجعله يهمل واجباته الضرورية في الدائرة الصغيرة القريبة منه فيهدر عندئذ رأس مال عمره ويضيع حياته سدى، زد على ذلك قد يميل قلبه وينحاز إلى إحدى الجهتين المتخاصمتين لتتبعه بلهفة أخبار الحرب الطاحنة بينهما فلا يجد في نفسه إنكاراً لمظالم تلك الجهة، بل يرتاح إليها ويكون شريكاً في ظلمها!

أما الجواب عن النقطة الأولى فهو:

إنّ أمام كلّ إنسان ولا سيّما المسلم مسألة مهمّة وحادثه خطيرة هي أعظم من الصراع الدائر بين الدول الكبرى لأجل السيطرة على الكرة الأرضية، تلك المسألة هي من الأهميّة والخطورة ما لو امتلك الإنسان العاقل قوّة الألمان والإنكليز وثروتهما معاً، لما تردد في أن يضعها كلّها لأجل كسب تلك القضيّة المبتغاة، تلك القضية التي أعلنها مئة ألف من المصطفين الأخيار، ورفع رايتها ما لا يجد من نجوم البشرية ومرشديها المستندين إلى آلاف من موثيق ربّ العالمين ومن وعوده وعهوده، بل لقد شاهدها قسم منهم عياناً، تلك القضية قضية مصيرية للإنسان وهي:

أن يكسب الإنسان بالإيمان أو يخسر من ودونه ملكاً عظيماً خالداً ومساكن طيبة.

في جنات عدن عرضها السماوات والأرض، فمن لم يفز بشهادة الإيمان ولم يرعها حقّ رعايتها فسوف يضيع حتماً تلك القضية ويخسرها، وذلك هو الخسران المبين، ولقد ضيع الكثيرون في عصرنا هذا ممن ابتلوا بطاعون المادية قضيتهم هذه حتى كشف أحدهم وهو من أهل العلم والكشف وشاهد أنّ أفراداً قلائل فقط من كلّ أربعين شخصاً - في مكان ما - هم الذين نجوا بإيمانهم في سكرات الموت وختمت حياتهم بالحسن، أما الباقون فهلكوا!

ترى لو عوّض أحد هؤلاء سلطان الدنيا ومملكها وزينتها بديلاً عن تلك القضية.

العظمى، أفيكون هذا البديل كفؤاً لما فاته؟! أو يسدّ مسدّه في حال من الأحوال؟! كلا!

ولهذا فنحن معاشر طلبة النور نعلم يقيناً، أن ترك خدماتٍ عظيمةٍ تُكسبُ لنا تلك القضية، وإهمالٍ مُهمّاتٍ وكيّليها الذي يصونها - أي القضية - تسعين بالمئة، والانشغال عنها بما لا يعني من أمور خارجية واهتمامات تافهة كأن الدنيا خالدة، ما هو إلا من سخافة العقل وجنونه !!..

فنحن على يقين تام واطمئنان كامل من هذا، لذا لو ملك أحدنا عقلاً وإدراكاً للأمور أضعاف أضعاف ما يملكه الآن لبذله كلّه فيما يلزم تلك القضية وفي سبيلها.



## كيف تصرف الإمام العز والإمام النووي في ظروف شبيهة بظروفنا اليوم - الدكتور أسامة السيد الأزهرى

عاش الإمام العز بن عبد السلام في ظروف عصيبة جداً، وفي فترة حالكة من تاريخ هذه الأمة، حيث حصل الاضطراب السياسي الهائل، والتدهور الاقتصادي المروع، وحصل التراجع الحضاري المدوّي، حتى عاش رضي الله عنه فترة شبيهة جداً بظروف أمتنا في زمننا هذا، فقد ولد سنة ٥٧٧هـ، وعاش في دمشق، حتى رأى تسليم السلطان الصالح إسماعيل لمدينة صيدا إلى أيدي الصليبيين، فأنكر عليه جداً، وخرج إلى مصر سنة ٦٣٩هـ، فرأى بعينه نزول الصليبيين إلى مصر، واحتلالهم للمنصورة ودمياط وغيرها من مدن مصر سنة ٦٤٦هـ، وعاش حتى رأى سقوط بغداد على أيدي التتار، سنة ٦٥٦هـ.

فما أشبه الليلة بالبارحة، وقد احتلت إسرائيل فلسطين وأعلنت قيامها رسمياً سنة ١٩٤٨م، واحتاحت أمريكا بغداد، كما دخلت دخولاً مُقنَّعاً أو صريحاً إلى عدد من العواصم العربية والإسلامية، وسبق ذلك اتفاقيات سايكس بيكو سنة ١٩١٦م التي تم بموجبها تقسيم الهلال الخصيب أو بلاد الشام، وما صاحب ذلك كله من انخيار حضاري، وتراجع مهين، ملأ قلوب الأمة وأجياهاها يأساً، وإحباطاً، وصدمة، وفقداناً لليقين في كل شيء، وارتباكاً ذهنياً ومعرفياً وحضارياً لا مثيل له، فهي الأحداث بعينها، على نفس النحو الذي وقعت به في أيام العز بن عبد السلام، لكن اختلف حال الرجال في التعامل مع الحدث.

كما أن الإمام النووي أيضاً ولد سنة ٦٣١هـ، فلما دخل التتار إلى بغداد سنة ٦٥٦هـ كانت سنه خمساً وعشرين سنة، أي أنه شهد الكارثة وهو في عنفوان شبابه، وأشد أوقات تحصيله العلمي، وتكوينه المعرفي، وكان مقيماً في الشام، في الوقت الذي كان فيه العز بن عبد السلام في مصر قد بلغ التاسعة والسبعين من العمر، وعاش بعدها أربع سنوات أخرى، فكيف كان وقع هذه الأحداث الهائلة على هذين الإمامين.

لقد شغلي لفترة طويلة كيفية معاشة أولئك الأئمة المشهود بإمامتهم وجلالتهم لأحداث الانكسار والهزيمة والانخيار، كيف استوعبوا صدمات زمانهم، وكيف تجاوزوا صدمة المعرفة، وكيف خرجوا من حالة اليأس والإحباط والضياع والعدمية، وكيف كانوا نقاط تحول في تاريخ أمتهم، وكيف صمدوا في أوقات الانخيار العسكري والحضاري حتى نفضوا بالعلم، وتبحروا فيه، وأخرجوا المؤلفات الجليلة، التي لا نظير لها، والتي حفروا بها في تاريخ العلم، وكيف تصدوا في الوقت نفسه للشأن العام في زمانهم، وعرفوا الأمراء والسلاطين والأعيان، فما كانوا إلا مصدر بصيرة، وحكمة، وكانوا في غاية المقدرة على إدارة الأزمات.

وكان لهم نظر سديد في شؤون الاقتصاد، وترتيب مصادر الدخل لخزانة الدولة، ومتابعة الشؤون العسكرية، وكانوا في الدرجة العليا من الريانية والجلالة، حتى وقعت لهم الهيبة في القلوب، ووجدت الشعوب فيهم ملجأً وحصناً، حتى صار أولئك الأئمة رحمة وسكينة وراحة على الدول والأمم والشعوب، ونهضوا بها معرفياً وإدارياً، وحولوا مسارات الهزيمة إلى استيعاب وامتصاص للصدمة، واجتياز لها وآثارها النفسية.

فحرصت لكل هذا على لفت نظر الخبراء والدارسين لتلك النماذج الرحيمة الحكيمة الشجاعة من الأئمة، بخلاف كثير من الناطقين باسم الدين في زماننا هذا، ممن كانوا على الخلق فتنة وغلظة وفضاظة، وحيرة وضياعاً، حتى تزلزل دين الله تعالى في قلوب عدد من الناس بسبب ما يرونه من تصرفات طائشة، تحركها نفوس مظلمة، ليس فيها أدنى بصيص من أنوار المعرفة بالله، ولا البصيرة بطباع الناس، ولا رصانة موارث النبوة، ولا الفهم الرفيع لمسالك نهوض الأمم، ولا التصدي للشأن العام بما يرفع عن الناس الحرج، ويربهم أنوار النبوة وكيف تستنير بما عقول أهل العلم.

لقد عاش الإمام العز بن عبد السلام في مصر، وكانت تربطه صحبة عميقة، وأخوة صافية بالإمام زكي الدين المنذري، إمام أهل مصر في علوم الحديث النبوي، وبالإمام أبي الحسن الشاذلي، شيخ الزاهدين، وإمام الأولياء في زمانه، والإمام محيي الدين بن سراقه، وابن دقيق العيد، والقرافي، وكانوا جميعاً ينزلون إلى خيام الجنود، ويشاركون في تدير موارد الدولة، فما زادتهم الكوارث إلا بصيرة وحكمة وهداية، وما صنعت الكوارث من الإمام النووي إلا إماماً متبحراً في الفقه والحديث.

فيا معشر الشباب، كوّنوا مجموعات بحثية تدرس وتناقش كيفية تعامل أولئك الأكابر مع الأزمات والكوارث، افتتحو عشرات الصفحات على "الفيس بوك" لمناقشة مناهج أولئك العباقرة في صناعة الحضارة، وبناء الدولة، وكيف اعتصروا علوم الشريعة فصنعوا نهضة، وكيف كانوا على الخلق رحمة وراحة.



## منهج العلماء الربانيين في مواجهة الأزمات (١) - د. نصح الشامي

أكتب هذه الكلمات لكلّ عاقل يريد أن يتبين كيف يتصرّف العلماء الحكماء في أعقد الظروف وأصعبها، وكيف يقودون سفينة الأمة في المحن ليخرجوها إلى برّ الأمان .. وأكتبها ليعلم الناس أنّ أعظم الأبطال ليس هو الذي يقدّم روحه ليقتل في سبيل حقّه ومبدئه، ولكنّه ذاك الذي يستطيع أن يسلك بالناس السبيل الآمن، فيحقن دماءها ولا يفرّط فيها ولا في أعراضها ولا أمنها، نعم إنه ذاك الذي يستطيع أن يخرج الناس من المعضلات شبه مستحيلة الحلّ بأقلّ الخسائر.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعالوا بنا لتتعرف على المنهج الرباني في التعامل مع الأزمات، من خلال مواقف عالم رباني مجاهد مجدّد، محقّق زاهد، من بقيّة السلف الصالح، ادّخره الله تعالى للمتأخّرين ليبقي به معاني النبوة، إنّه بديع الزّمان سعيد النورسي رحمه الله تعالى.

لقد عاش الأستاذ النورسي في أحلك الظروف وعاصر أعنف محنة شهدها المسلمون في تركيا .. فقد منعت الكتابة بالحرف العربي، كما منع تدريس الكتب العربية، وحظر على الناس تعليم القرآن الكريم لمن هم دون سنّ الثانية عشرة، بل منع الناس من الأذان بالعربية، وحتى الصلاة ألزم الطغاة الناس بقراءة الترجمة التركية لمعاني القرآن فيها، ومنعوا من قراءة القرآن الذي أنزل على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم كما أنزل، وكان مخطّطاً أن يُقضى على الإسلام في تركيا بتحالف بين الحلفاء والنظام الجمهوري المستبدّ .. في هذه الظروف عاش النورسي، وكان عليه أن يخوض معركة الإيمان في وجه الكفر.

اندلعت ثورات عدّة في الولايات الشرقية ضدّ هذا الاستبداد الرّهب والکفر المظلم، كان أهمّها ثورة الشيخ سعيد بيران (البالوي) رحمه الله .. وقد طلب من الأستاذ النورسي استغلال نفوذه لإمداد الثورة، ولكن الأستاذ رفض المشاركة، وكتب إليه رسالة جاء فيها: "إنّ ما تقومون به من ثورة، تدفع الأخ لقتل أخيه، ولا تحقّق أية نتيجة .. فالأمة التركية قد رفعت راية الإسلام وضحت في سبيل دينها مئات الألوف بل الملايين من الشهداء؛ فضلاً عن تربيتها ملايين الأولياء، لذا لا يُستلّ السيف على أحفاد الأمة البطلّة المضحّية للإسلام .. وأنا أيضاً لا أستلّه عليهم".

كان حسين باشا - وهو شيخ عشيرة حيدران، في منطقة (وان) إحدى ولايات شرق الأناضول (كردستان) وقد كان بينه وبين الأستاذ النورسي عقد أخوة أحرورية - معظماً لأهل العلم، مجاهداً بطلاً، أبلى بلاء حسناً في جهاد الرّوس وكبدهم خسائر فادحة؛ فرفعت حكومة الاتحاد والتّرقّي إلى رتبة (ميرالاي) أي أمير اللّواء .. جاء حسين باشا هذا مرّة لزيارة الأستاذ النورسي، ودار بينه وبين الأستاذ حوار ذو مغزى عميق، طلب حسين باشا من الأستاذ أن يخرج من عنده من التلاميذ حتى يستشيرهم في أمر هام، ولكن الأستاذ رفض إخراجهم، وقال له: لا يمكن .. فهؤلاء جزء من كيان، لا يفارقوني .. قل ما عندك.

قال له حسين باشا: سيدي، أرجو أن تأذن لي بالعصيان (مع الشيخ سعيد بيران) فنحن مستعدّون .. فرفض الأستاذ أن يأذن له، قائلاً: لمّ تقومون بالعصيان؟ إن كان لزيد وعمرو ذنب؛ فما ذنب غيرهما .. بل ستراق دماء المسلمين.

قدّم حسين باشا للأستاذ مسوّغات الخروج، والضّرورة التي ألجأتهم إلى هذا الخيار المرّ فقال: لقد أهلكتنا الرّوس وقتلونا وأبادوا أموالنا وذرارينا، بينما ظلّ شرفنا مُصاناً دون أن يمسّه أحد .. ولكن الآن أصبح ديننا مهدّداً، وشرفنا معرّضاً للهلكة. فأذن لنا بالعصيان، فجنودنا المشاة والفرسان على أهبة الاستعداد.

وبعد أن أوضح الأمر والحوادث المؤلمة، والأستاذ مطرق ومستغرق في التفكير، رفع الأستاذ رأسه وقال له بكلّ لطف ولين بيتاً من الشّعر لشاعر صوفي كبير، هو الشيخ أحمد الجزري رحمه الله، يقال أنّه أعظم من أشعر باللّغة الكرديّة، وترجمة هذا البيت هي: (منهم من يرجع من طريق الكنيسة، ومن من يعود إلى معبد اليهود فيتهوّد، أما أنا فلست من هؤلاء ولا من هؤلاء).. ثمّ قال له: فأنا لست منكم ولا منهم.

قال له حسين باشا: لقد أوهنت عزمي وضعفت همّي، فلو عدت إلى عشيرتي سيقولون، حين الباشا؛ فتخلّي عن العصيان.

قال الأستاذ بحزم: نعم. وليقولوا: حين وخاف، ولا يقولوا أراق الدّم.. وعندما استودع الباشا الأستاذ، كرّر عليه الأستاذ ثلاث مرّات: لا تُرقِ الدّم يا باشا.. لا تُرقِ الدّم.. لا ترقِ الدّم. وعاد حسين باشا إلى عشيرته وفرّق قوّاته، لذا لم تحدث أيّة حادثة في منطقة وان".

يلاحظ أنّ ثورة الشيخ سعيد بيران كانت جهاداً مشروعاً، وأنّ طلب حسين باشا أيضاً كان مشروعاً، فقد كانت الشروط الشرعية

للخروج متحقّقة، لما يأتي:

١- أنّ الحاكم ومن حوله من حاشيته المقرّبة تلبّسوا بالكفر البواح.

٢- أنّ دافع الخروج عند الرّجلين ومن على شاكلتهما كان الغيرة على الدّين، وليس أي غرض دنيوي.. ذلك أنّ ما رأوه من الخطر الذي يتهدّد دينهم - الذي هو اسمى شيء وأغلاه عندهم - أنساهم كلّ شيء آخر، حتى الحرّية، بل حتى لقمة العيش.

٣- توقّف القيادة، فقد كان الذين تبنّوا قيادة الجهاد معروفين بأعيانهم، وموثوقين، فالشيخ سعيد وحسين باشا كانا معروفين بصلاحيهما وصدقهما.

فلماذا اتّخذ الأستاذ النورسي هذا الموقف السّلي، ولم يدعم أيّاً من الرّجلين؟!.. وأيّ الموقف كان صواباً، ومحقّقاً لمصلحة الدّين والدّنيا معاً؟. لمعرفة أسباب اتّخاذ هذا الموقف نقتطع بعض عباراته ونتناولها بالتّحليل:

١- "لمّ تقومون بالعصيان؟ إن كان لزيد وعمرو ذنب؛ فما ذنب غيرهما.. بل ستراق دماء المسلمين".. معنى هذا الكلام هو، إذا كان مصطفى كمال أتاتورك حاكماً مستبدّاً مجاهراً بمعاداته للدّين وشعائره وأهله، وكان معه حفنة ممّن هم على شاكلته في معاداة الدّين، وكانوا يرتكبون الجرائم والفظائع، فما ذنب الجيش الذي تحت إمرته، إنهم مجبرون على أداء الخدمة الإلزامية، وهم ليسوا راضين بما يصنعه قادتهم المجرمون، ولكن ما حيلتهم؟!.. لاحظ أنّ الأستاذ النورسي لم يسمّ هؤلاء الجنود أعوان الظّلمة، ولم يُجزّ قتلهم.. وكيف يكون الواحد منهم من أعوان الظّلمة، وهو لو وجد سبيلاً لفرار آمن لسلكه، ولو استطاع أن يتحرّر من سلاطنتهم لما توانى، ولكن ما ذنبه إن لم يجد حيلة.

٢- "إنّ ما تقومون به من ثورة، تدفع الأخ لقتل أخيه، ولا تحقّق أيّة نتيجة" هذا ما قاله الأستاذ النورسي للشيخ الشهيد سعيد بيران.. أجل إنّ المعركة ليست بين معسكرين متميّزين، معسكر كفر لا إيمان فيه، ومعسكر إيمان لا نفاق فيه؛ لأنّ الجيش النّظامي الذي تريدون أن تقاتلوه إنّما هم أولادنا وإخواننا، وليسوا من بلاد أخرى، فقد يقتل الأخ أخاه؟!.

كما أنّه لا يحقّق أيّة نتيجة!!.. أليس وضعنا اليوم في سورية مصداقاً مطابقاً لهذا الكلام النظري الذي يقوله الأستاذ النورسي؟.

نعم لا يُنكر أنّه كان هناك تضيق كبير على الناس في سوريا، وبخاصّة على أهل الدّين، ولكن الأمر لم يصل إلى درجة الكفر البواح الذي لا يحتمل التأويل.. فما الذي جنّبه من قيامنا في وجه الحاكم؟.. أليس كلّ يوم يمرّ تنكب فيه مئة أسرة، وتشكل عشرات الأمهات، وترتل عشرات النساء، ويبتّم مئات الأطفال.. بأيدي من؟، أليس بأيدينا؟!.. وما هو أدهى وأمرّ من هذا - وهو لا يدخل في حساب أكثر

الناس اليوم - أنه كل يوم ينزل المزيد من سخط الله تعالى لقتل الأبرياء، ويوجه العشرات من الذين يقتلون أولئك الذين لا يستحقون القتل إلى جهنم؛ ليقبوا لعنة الله تعالى وغضبه وما أعد لهم من العذاب الأليم، أجل. كل يوم يمرّ تحجز أماكن لأفواج من أبنائنا في جهنم .. ما ذنب أفراد هذا الجيش - وهم مسلمون وأبناء المسلمين - حتى نلجئهم إلى خوض معركة، أعظم نصر فيها هو أعظم هزيمة!! .. أجل إنّها معركة الخيارات الصعبة الخاسرة، أفراد الجيش النظامي بين خيارين أحلاهما مرّ؛ فهم إمّا أن يمتنعوا عن تنفيذ أوامر قادتهم الظالمين؛ فيقتلهم قادتهم، وإمّا أن يستجيبوا لأوامرهم فيقتلوا المسلمين الثائرين من أجل المطالبة بحقهم في الحرية والكرامة، فيقعوا تحت طائلة قول الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} النساء ٩٣.. ما ذنب هؤلاء حتى يوضعوا بين هذين الخيارين؟!

سيقول البعض: إنّ هذا ذنبهم، لماذا يقتلون الناس، ولماذا يعينون الظالم على ظلمه؟ .. ولكن ألا نعلم أن الذنب ذنبنا، ألسنا نحن السبب، إنّنا لو ربنا أولادنا على الخوف من الله تعالى، وزرعنا فيهم الإيمان وسقينا بذرته فيهم بماء العلم والتقوى، لعللوا ما معنى أن يعتدي الإنسان على أخيه الإنسان، ولعللوا ما للإنسان من الكرامة عند الله تعالى، وإذن لما اعتدى أحد على أحد، ولفضّل الواحد منهم أن يقطع مرقاً على أن يعين - ولو بالكلام - على قتل بريء، فضلاً عن أن تتلخّخ يده بدمه، هل سمع أولادنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "من أعان على قتل امرئ مسلم ولو بشرط كلمة؛ جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه آيسٌ من رحمة الله" أي يائس من رحمة الله .. هل عاش أولادنا مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "من اقتطع حقّ امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة" أليس الذي يفهم هذه المعاني معذوراً إذا دعا الناس جميعاً إلى أن يتصالحوا؛ رغم كلّ الفطائع التي ارتكبت والتي تُرتكب؟ .. إذا كان قدر أفواج من الناس أن زجت بهم الفتنة في نار جهنم، أفلا نشفق على من لم يتورطوا بعد، فنرحمهم ونمنعهم من الدخول فيها.

ثمّ ما النتيجة؟ .. منذ أيام بدأت الاشتباكات في داخل دمشق وفي حلب .. يفرح بذلك أناس ويستبشرون بقرب النصر، ويحملون بالانفراج القريب، خصوصاً بعد قتل أفراد من خلايا الأزمة، ولكنهم يتغافلون عن المآسي التي يمكن أن تقع، أليس من الممكن، بل من المرجح - لا سمح الله - أن تتحوّل دمشق وحلب أيضاً إلى الرستن أو التلييسة أو حمص أو إدلب أو دير الزور أو درعا، وأن يتكرّر فيهما مجازر أفظع من مجزرة الحولة والترمسة وغيرها؟ .. هب أن النظام سقط؛ فما الذي يبقى من البلد .. أليس هذا يذكّر بذلك التاجر الذي تسلّط على دكانه الفئران فعبثوا ببضاعته وأزعجوه، ثمّ كان أن اجتاحت الطوفان دكانه فأتى على كلّ ما فيها، ويبدو أنّه كان ظريفاً صاحب دعاية، فقال: الحمد لله أن تلك الصّولة لم تبق للفئران!.. أفي هذا يسرّ صديقاً أو أيّ إنسان عاقل .. ماذا بعد أن يدمر البلد وتذهب قوّته، ويصح كالجسد الذي أثنخته الجراح، هل ينعم علينا الغربيون بالحرية والديمقراطية؟، بل هل يتركونا نضمد جراحاتنا؟، إنّ القوم - وعلى رأسهم سيّدتهم إسرائيل التي تخدم بلدنا اليوم لحسابها - ينتظرون لحظة التدخّل، وها هم يحتلقون ذريعتهم، وهي الأسلحة الكيماوية، فتارة يقولون إن النظام إذا فقد السيطرة على سورية؛ فإنّ الدّول الغربية قد تتدخل تفادياً لوقوع هذه الأسلحة الكيماوية في أيدي عصابات إرهابية، وتارة يقولون إن النظام يقوم بنقل الأسلحة الكيماوية من أماكنها إلى أماكن أخرى، وأنّ ذلك خطر على أمن وسلم هذه البلدان .. وما هي إلا مقدمات للتدخل الذي سيكون، ليس باسم الاستعمار، ولكن بغطاء عقلائي وقانوني.

٣- "نعم. وليقولوا: جبن وخاف، ولا يقولوا أراق الدّم.. لا تُرقِ الدّم يا باشا.. لا تُرقِ الدّم .. لا ترقِ الدّم". هكذا يحرص العلماء الرّبّانيون على حقن الدّماء، لذا فلا غرابة أن يمتنعوا عن المشاركة في قتال الكافر؛ إذا كان سيراك بسبب ذلك دم بريء، فكيف بدماء الألوّف؟.. ولا غرابة كذلك في أن يوجهوا النصيحة برفق للحاكم الجائر الذي يقتل الأبرياء؛ إذا كان فيه تقليل للقتل .. ولا يباليون بأنّهم الناس لهم بالجبن وبمساندة النظام، ولسان حالهم يرّدّ قوله تعالى: "واللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ".

٤- يلاحظ أنّ حسين باشا حين ودّع الأستاذ النورسي قبل يده، وحين رجع إلى قومه المتأهبين للعصيان والدخول في المعركة ضدّ الحكم الكافر، وأبلغهم كلام الأستاذ تلقّوه بقلوبهم، ووضعوه فوق رؤوسهم، ولم يخونوا أحد، ولا اتهم بأنه من فقهاء السلطان، ولا أنّه من

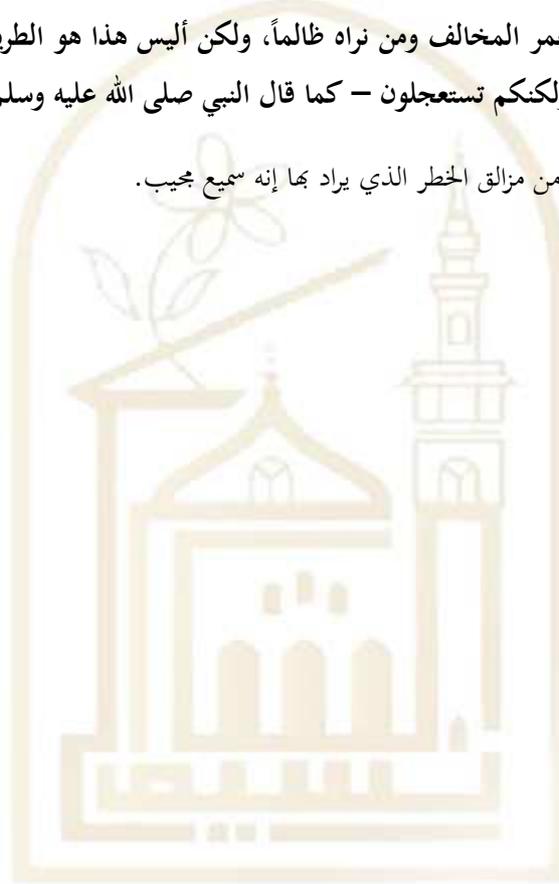
أعوان الظلمة .. إن من حسن حظ أولئك الناس أنه لم يكن لديهم الإنترنت وصفحات الفيسبوك، التي يكتب فيها الصادق والكاذب، والمصلح والمفسد، وصارت هي التي تحرك الشارع وتقوده، أجل لم يكن الناس آنذاك فوضويين، ولا كانوا يتمردون على علمائهم وحكمائهم الذين عرفوا منهم الصدق طوال حياتهم، كما أن الأمور لم تكن بأيدي شباب صغار تعوزهم التجربة والخبرة بالحياة، وتتحكم فيهم العواطف.

لقد أثبت الواقع أن الأستاذ النورسي ومن تبعه كانوا أهدى سبيلاً منّا، فقد حققت بموقف النورسي أنهار من الدماء، وبفضل دعوته العلمية الهادئة بقي الإسلام في تركيا غضاً طرياً، وذهب أعداؤه الجائرون إلى غير رجعة بإذن الله تعالى.

وسؤال يفرض نفسه هنا: ألم يكن سبيل المناصحة - مهما كان وعراً - أجدى من سبيل الخروج والمناوأة... وهل استعصت علينا تلك السبل؟ لا سيما إذا كانت المناصحة صادرة عن إخلاص، وكان الناصحون متفقين على منهجها وسلوك سبيلها بدلاً من الخروج والمناوأة.

قد يعدّ البعض هذا المنهج إطالة في عمر المخالف ومن نراه ظالماً، ولكن أليس هذا هو الطريق الذي تصان به دماء الأمة ويوصل -ولو مع طول صبر- إلى الهدف. (ولكنكم تستعجلون - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم)

نسأل الله أن يلهم الأمة رشدها ويصونها من مزالق الخطر الذي يراد بها إنه سميع مجيب.



## منهج العلماء الربانيين في مواجهة الأزمات (٢) - كيف تأخر سقوط دولة الإسلام في الهند مائتي سنة؟ - د.

### نصوح الشامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول علي الطنطاوي رحمه الله: "إنّ تاريخ المسلمين في الهند يشكّل ثلث التاريخ الإسلامي .. فقد فتح المسلمون بلاد الهند سنة ٥٩٢هـ، واستمرت الهند إسلامية إلى سنة ١٢٤٧هـ".

وهذا المقال يحكي قصّة فترة دقيقة وعصيبة جدّاً في تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند؛ فقد أوشكت الهند أن تنسلخ من دينها، وكان سبب ذلك أن الملك المغولي جلال الدين أكبر بن همايون بن بابر مؤسس الحكومة المغولية في الهند - و"أكبر" هذا هو أكبر ملك عرفه تاريخ الهند - كان مسلماً ثم ارتد وعادى الإسلام والمسلمين عداءً شديداً، حتى يُروى أنّه كان لا يطيق أن يسمع اسم "محمد"، وأنّه كانت تثور ثائرتة إذا سمع هذا الاسم الكريم، وأباح الخنزير والخمر، كما أصدر أوامره الشديدة بأنّ كل من يذبح بقرةً فإنّه يُقتل، وحرّم على رجال بلاطه أن يسمّوا أولادهم محمداً وأحمد.

في هذه الفترة الدقيقة قيّض الله تعالى لمواجهة هذه الفتنة رجالاً ربّاناً عظيماء، يعدّ من أعظم رجال الإصلاح في تاريخ أمّتنا الإسلامية، ذلك الرّجل هو الإمام الجليل أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي (٩٧١ - ١٠٣٤هـ)، المعروف بالإمام الربّاني، وهو مجدّد الألف الثاني، وهو من كبار أئمّة التصوّف، ومن سادات سلسلة الطريقة النقشبندية.

أجل لقد ارتدّ الملك "أكبر" عن الإسلام وجاهر برّدته وبمعاداته للإسلام، وعظّم شعائر الكفر والشّرك .. يقول السيّد أبو الحسن الندوي رحمه الله: "أقول لكم - أيها الإخوان - عن تجربة واختبار: إنّ الذي يرتدّ عن الإسلام يكون أكثر عناداً للإسلام، وأكثر معارضة للإسلام والمسلمين من الذين ليس لهم عهد بالإسلام، ومن أتباع كل ديانة، مسيحيّين كانوا أو يهوداً، وهذا الذي تشهدونه اليوم في بعض البلاد العربية والإسلامية، التي يحكمها الذين وُلدوا في الإسلام ونشؤوا في بيت مسلم وفي بيئة مسلمة، ثمّ كرهوا الإسلام وأبغضوه لتأثير أجنبي أو بفعل ثقافة أو فلسفة، فهم دائماً أشدّ عناداً للإسلام من الهنادك والمجوس والمسيحيّين".

وهكذا أصبحت الهند الإسلامية، مهدّدة في وجودها الإسلامي، فكيف واجه الإمام السرهندي رضي الله عنه هذه المحنة؟.

**الإمام السرهندي في مواجهة الفتنة:** كان الإمام السرهندي يحظى بالقبول عند المسلمين عامّة في الهند، فقد كان الجميع يسلمون له برسوخ القدم في العلم، وكان مع علمه الغزير من أئمّة التقوى المشهود لهم بالاستقامة والزهد في الدّنيا، والتحرّق على الإسلام والمسلمين .. لقد كانت كلمة واحدة منه كافية ليهب الملايين من المسلمين، لخوض الجهاد ضدّ هذا الملك الذي ارتدّ عن الإسلام وتلبّس بالكفر البواح، ولكن الإمام لم يشأ أن يزيح المسلمين في هذه المعركة الخاسرة، لأنّ الإمام الربّاني - وهو ذو القدم الراسخة في العلم والولاية، والعارف بأسرار التشريع ودقائق الأحكام - كان يعلم أنّ الشرع يأمرنا أن نوازن بين المصالح والمفاسد التي قد تترتّب على هذا الخروج، فرأى أنّ المفسدة التي تنجم عن الخروج ستكون عظيمة جدّاً، وستكون كارثية، بل رأى أن الخروج يعني الانتحار، فلم يوافق على أن يعارض الملك والحكومة بالسيف؛ لأنّ هذه الحكومة إذا ضعفت؛ فمعنى ذلك أنّ الهنادك سيستولون عليها، وأنهم سيخلفون المسلمين في حكم الهند، فكان من الاحتياط ومن الحكمة وكان من السياسة ألاّ تضعف شوكة المسلمين المادية والعسكرية، فاقصر على الدّعوة، وافتصر على الرّفق والحكمة.

نعم. لقد نهى الإمام السرهندي الناس عن القيام في وجه الحاكم الكافر؛ فانقاد جميع المسلمين في الهند لرأيه حباً وكرامة وثقة، وما تردّدا - ولو للحظة - في خضوعهم للرأي الذي أشار به عليهم .. لقد كان المسلمون آنذاك يتلقون تعاليمهم من الكتاب العزيز والسنة المطهرة، إذ كانا هما الموجهين لأفكارهم وتطلعاتهم وآمالهم، ولم يكن الموجه الفضائيات، ولا نشرات الأخبار وتحليلات السياسيين، كما أنّ قادتهم كانوا علماءهم الرئاسيين، وليس الفيسبوك وشبابه المجهول، الذي لا تبيّن الصالح الذي يكتب فيه من الطالح الذي يبغى الفساد، نعم لقد كان المسلمون يعلمون أن العالم الرئاسي يحسن الفهم عن الله تعالى، ويتكشّف له من الحقائق ما لا يتكشّف لغيره، وكانوا يفهمون معنى قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَخَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (يا أيّها الذين آمنوا إنّ تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) من الذي يؤمن بهذا الكلام الرئاسي ثم يراحم الإمام السرهندي في الرأي؟! .. فما الذي صنعه الإمام؟.

كان الإمام منعزلاً عن مركز الحكم، ولكن كان له اتّصال برجال البلاط والأمراء، يكتب إليهم الرسائل البليغة التي تسيل عدوية، وتشتعل ناراً في وقت واحد، والتي تعتبر من أقوى الرسائل الدعوية والإصلاحية في المكتبة الإسلامية .. لقد كان يثير فيهم غيرتهم الإيمانية، ويلهب فيهم جمة الإيمان التي كانت مدفونة تحت الرماد، فيزيل عنها التراب، فيقول للواحد منهم: "أنت مسلم، والحياة عارضة، والملك لا يعيش دائماً، وهذا الحكم لا يدوم، اتق الله في نفسك، واتق الله في أمّتك، واتق الله في بلادك" هذا كان دأبه على مرّ الأيام، حتى استطاع أن يجزّ إليه عدداً كبيراً من الأمراء والوزراء.

مات "أكبر" وانتهت أيامه، فخلفه ابنه "جهانكير" وكان أحسن حالاً من أبيه .. طلب جهانكير الإمام السرهندي لزيارته فذهب إليه، ولما دخل عليه لم يأت بالأداب والتقاليد التي كان يلتزم بها الوافدون على السلطان، فلقت بعض أبناء الدنيا - ممن لا يخافون الله - نظر السلطان إلى أنّ الإمام لم يراع أدب الدخول عليه، ولم يأت بالتحية المعتادة للملوك، فسأله السلطان عن السبب، فقال: "إنني لم أزل متقيداً بالأداب والأحكام التي دعا إليها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا أعرف غير هذه الآداب"، فغضب السلطان وقال: "اسجد لي!!" .. فقال الإمام: "ما سجدت لغير الله قط، ولن أسجد لغيره أبداً"، فتغيظ السلطان وزاد غضبه فسجنه .. فما الذي كان؟ هل ثار الشيخ ودعا الناس إلى الثورة على هذا الحاكم؟ لا، ولكنه صبر على هذا الابتلاء لغاية أكبر... بيد أنّه لم يستسلم ولم يسكت، بل اتخذ من السجن ساحة للدعوة، ليس للقيام في وجه الحاكم، بل لم يكن يذكر الحاكم أصلاً، ولكن للدعوة إلى الله تعالى، فكان سجنه له خلوة زادت زكاءً نفس وسموّ روح وإشراق باطن، فشمّر هذا السجن كسجين مصر عن ساعد الجدّ والاجتهاد والدعوة والإرشاد في أولئك المسجونين، الذين كانوا معه، ونادى وراء جدران السجن بأعلى صوته: (يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَاتُ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) ممّا اهترت له أركان السجن، وسمع صدهاء في الخارج، فأسلم على يديه الآلاف من غير المسلمين، وصلح حال الآلاف من المسلمين، فترقوا في درجات الولاية .. وكان من ثمرات دعوته هذه أن تأثر بها الملك جهانكير نفسه؛ فأزال كثيراً من مفاسد أبيه، فحرّم الخنزير والخمر، وذبح البقر، وقرب المسلمين وأقصى الهندوس، وأظهر شعائر الإسلام .. ثم مات الملك، فخلفه من بعده ابنه (شاه جهان) الرّجل الصالح العابد الخاشع، وتوفّي الإمام رضي الله عنه، فخلفه في الإرشاد والدعوة ابنه النجيب، المتّم عمله والأمين على دعوته الشيخ محمد معصوم بن أحمد السرهندي (١٠٠٧-١٠٧٩هـ)، وله فضل كبير في تربية السلطان (عالمكير أورنك زيب) بن شاه جهان، الذي يُعدّ من أكبر ملوك المسلمين، ليس في الهند فقط، بل في تاريخ الإسلام، وهو الذي دون "الفتاوى الهندية" وجعلها قانوناً للدولة، وهو الذي طبّق الأحكام الشرعية بدقّة وعناية، وحفظ القرآن الكريم، وجمع أربعين حديثاً وشرحها، وله عوائد والتزامات لا يقدر عليها كثير من العلماء والعباد؛ فضلاً عن الملوك والسلاطين، هذا الرّجل قلب تيار الحياة وأرسخ قواعد الإسلام في بلاد الهند وربط مصيرها بالمسلمين وبالعلم والدين وأزال خطر زوال الإسلام وجلاء المسلمين، كما وقع في إسبانيا.

إنّ أول درس نقتنصه ممّا سبق وأعظم عبرة نأخذها هي، أنّ المسلمين ينبغي أن يرجعوا في الملمات والدواهي إلى علمائهم الرّئاسيين .. ولعلّ قائلًا يقول إنّ العلماء كثيراً ما يختلفون، فكيف نعرف العالم الرّئاسي؟! .. ولا أظنّ أن الإنسان الذي يصدق مع نفسه

يخطئ هذا العالم الرّباني، إن أول معيار - بعد العلم - هو الزّهد في الدّنيا، فإذا رأيت عالماً قادراً على أن يجمع المال ويسكن القصور ويمتلك المزارع ويركب السيارات الفارهة، ثم يعرض عن ذلك كلّهُ؛ فاعلم أنّه عالم ربّاني .. وإذا رأيت هذا العالم الزّاهد مخالطاً للسلطان ولا ينتفع منه بشيء فاعلم أنّه عالم ربّاني .. وإذا رأيت من ينصح الحاكم برفق ولين، ولا يثور في وجهه؛ فلا تتهمه بممالة السلطان؛ لأنّ هذه هي طريقة الأنبياء مع الحكام الظلمة، ألم يقل الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين وجههما إلى فرعون (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وإنك تعلم أن فرعون كان يذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم وأنّه كان يدّعي الرّبوبية .. وإذا رأيت العالم لا يلتفت إلى مديح الناس له ولا يكثر بشعبية؛ فاعلم أنّه عالم ربّاني .. ثمّ اعلم أنّ من حق المسلم على المسلم - أيّاً كان هذا المسلم، فضلاً عن يكون عالماً زاهداً - أن يحسن الظنّ به .. فإذا رأيت من هذا العالم موقفاً يزيح بك في الحيرة، فردّ موقفه الذي تراه من التشابه إلى المحكّم من حاله وصفاته وتاريخه الطويل الناصع.

**الدّرس الثاني:** أنّه لا يكفي أن يكون العالم صالحاً حتى يُستفتى، بل لا بدّ أن يكون من أهل البلد الذي يستفتى بشأنه؛ لأنه أخبر به، فإذا رأيت الذي يتكلّم بشأن بلدٍ ما، ولا يبالي بمن فيها من العلماء؛ فاعلم أنّه ليس من هؤلاء الرّبّانيين الذين يرجع إليهم، بل العالم الرّبّاني حقّاً هو الذي يوجهك إلى علماء بلدك الصالحين .. قد سئل العالم الفقيه الأصولي عبد الله بن بيه حفظه الله عن الأوضاع في سورية مرّات؛ فكان جوابه أنّ علماء سورية هم الذين يتكلّمون في شأنها .. مع أنّك ترى أناساً متعلّمين يتكلمون فيما يجري في سورية، وهم لا يبلغون كعب الشيخ ابن بيه لا علماً ولا حالاً.

**الدّرس الثالث:** أنّ الشّأن العام يجب أن لا يتكلّم فيه غير العلماء الرّبّانيين، فما ينبغي أن نلتفت إلى الشباب ذوي العواطف الهائجة، ولا إلى علماء لا يحرصون على دماء الناس وأعراضهم، وليس لديهم من الحصافة والفطنة ما يصدّهم عن قول الكلمة التي تؤدّي إلى اشتعال البلد كلها ناراً على رؤوس الناس، كهؤلاء العلماء الذين يدندنون أحياناً حول كلمة الطائفية وأحواتها .. إنهم لو تنبّهوا لعلّموا أن التفوّه بهذه الكلمات في هذه الظروف يكاد يلحق بالكفر.

**الدّرس الرابع:** أنّه يجب على الناس أن يتحمّلوا المفسدة الأدنى لدرء المفسدة الأشد، فإنّ الإمام السرهندي صبر على الكفر البواح، ودعا المسلمين في الهند إلى أن يصبروا عليه، لا رضاً به، ولكن من أجل ألاّ تذهب دولة الإسلام في الهند إلى الهندوس .. فكان ثمرة هذه الحكمة العالية أن امتدّ عمر دولة الإسلام في الهند مائتي سنة .. ليتنا نحن في سورية وغيرها اعتبرنا، أليست إسرائيل خنجراً مغروراً في خاصرتنا، ألا نرى مسؤولي الأمن القومي والاستخبارات والسياسيين الأمريكيين والإسرائيليين كيف ينشطون فيلتقون ويتباحثون بشأن سورية في هذه الأيام .. ونحن أهلكنا جيشنا بل دمّرناه ودمّرنا أنفسنا وبلدنا بأيدينا .. إن الجيش كان جيش البلد، والحكام لا يدومون ولكن الجيش يبقى، نعم لقد كان جيشنا مع الأسف منحرفاً إلى حدّ كبير عن مهمّته، وشاعت فيه معاصٍ كثيرة، بل كان كثيرون من أفراد الجيش يمارسون الكبائر وأكثر منها، ولكن أحداً لا يرتاب في أنّ هذا الجيش ما كان ليتخلّف للحظة عن مواجهة إسرائيل، لو أنّها سوّلت لها نفسها أن تحاربنا.

**الدّرس الخامس:** أنّه ما ينبغي أن يكون تعويلنا كلّهُ أو جلّه على تغيير رأس الهرم السلطوي لجلب الصلاح، بل إن الذي يعوّل عليه أكثر هو صلاح حال الناس في المجتمع، من خلال التربية الإسلامية الصالحة، فقد لاحظنا أن الإمام السرهندي لم يتجه باهتمامه إلى الحاكم، بل توجه إلى الناس ليهديهم إلى الله تعالى، لأنّه - رضي الله عنه - كان يعلم أنّ سنّة الله في المجتمعات الإنسانية تسير مع الأكثرية، فإذا صلحت الأكثرية صلح المجتمع بسائر مرافقه، بما فيه الحاكم، وإذا كانت الأكثرية فاسدة فهيئات هيئات أن يصلح الحال بتغيير الحاكم، ألم يقل سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُمّ سلمة رضي الله عنها حين سألته أهلك وفيها الصالحون: (نعم إذا كثر الخبيث).. لكن صادقين مع أنفسنا .. كم كانت نسبة الباعة الأمانة في بلادنا، وكم كانت نسبة الموظّفين والمسؤولين الصالحين، وكم كانت نسبة الذين يؤدّون حقّ الله تعالى في أموالهم، وكيف كانت صلة الرّحم، وكم كان عدد المتخاصمين وكم عدد الدّعوات في محاكمنا؟ سيقول أناس

كلُّ ذلك ذنب الحاكم، لأنه هو الفاسد وهو أفسد الناس؟ هب أن هذا الأمر فيه شيء من الصِّحة، ولكن أليس القسط الأكبر من الخطيئة على هذه الجماهير الغفيرة التي استجابت له، بل الحقُّ أن الناس كان فيهم قابلية لا يستهان بها للفساد .. لقد قال عالم كبير من علماء الشام الصادقين يوماً: "إنَّ العدو قد يتمكّن منك فيقتلك ويسلب مالك، ويجردك من ثيابك، ولكنه لن يستطيع بشكل من الأشكال أن يصل إلى قلبك فيفسد علاقة ما بينك وبين أخيك" .. وحقُّ ما قال هذا العالم الجليل، فهل غشُّ بعضنا لبعض ووشاية بعضنا ببعض كان بسبب الحاكم، أم بسببنا نحن؟.

وبعد، فإذا علمنا أن سبب فساد حالنا هو فساد أنفسنا ورداءة تربيتنا وضعف علاقتنا مع ربِّنا؛ فلنرجع إلى الأسباب الحقيقية للأدواء التي يعاني منها مجتمعنا، فلنعالجها، فإنَّ الانشغال بما أولى من الانشغال بالعوارض الناجمة عنها.

حبذا لو أننا أخذنا من منهج الإمام السرهندي ما نستطيع به معالجة أزمئتنا في بلادنا، بدلاً من سفك الدماء وإقامة جدار يحول دون هداية الآخرين بدافع العصبية وإثارة مشاعر الكراهية التي لم نحن منها سوى الخسائر والتراجع. (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا).



## عبرة من التاريخ - الشيخ: علي بن يحيى الحدادي حفظه الله

أحداث هذه العبرة وقعت في أرض الأندلس، أما تاريخها ففي ولاية ثالث أمراء بني أمية في المغرب بعد أفول شمسهم في المشرق، في ولاية الحكم بن هشام الرضي وذلك في سنة ٢٠٢هـ.

أما خبر العبرة، فقد كثر المنتسبون في زمانه إلى العلم حتى كان بقرطبة أربعة آلاف ممن يتزيا بزوي العلماء، ثم انحرفت سيرة (الحكم) وأظهر الفسوق والفجور. كان مقتضى الحكم الشرعي الذي هو صريح النصوص الشرعية أن يبذل العلماء جهودهم في نصح الأمير وموعظته سراً، مع الاشتغال بتعليم الناس دينهم، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الطاقة، والسكوت عن ذكر معائب الأمير بين العامة والخاصة؛ رعاية لمصلحة اجتماع الكلمة، وبقاء الولاية، وحقن الدماء، والبعد عن أسباب الفتن، ولكن الذي حصل غير ذلك.

غلبت عليهم العاطفة الدينية، والغضب لحرمان الله ولم يضبطوها بحكم الله العليم الحكيم الذي قضى به على لسان نبيه حين قال صلى الله عليه وسلم: (ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة) رواه مسلم. وحين قال صلى الله عليه وسلم: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية) متفق عليه. لكنهم لما رأوا ما يكرهون ما صبروا، بل نزعوا يداً من طاعة، وائتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا الجيوش لقتاله، وقدر الله أن بلغ الأمير خبرهم، فقبض على من قدر منهم، فقتل من العلماء سبعة وسبعين، ضرب أعناقهم، ثم صلبهم. فهاجت العامة وتأهبت للخروج.. ولم يعد ينقصها إلا شرارة لتشتعل نيران الفتنة، واتقدت الشرارة حين اختلف أحد موالى الأمير مع رجل من الرعية فقتل الرجل مولى الأمير وتحزب الناس طائفتين، واقتتلوا. فعلم أمير الأندلس (الحكم) فجمع جنوده، والتقى الصفان فهزمهم فولوا هاربين، والتفاهم جيش الأمير من خلفهم فأثخن فيهم حتى قتل منهم أربعين ألفاً، عندها أعلنوا الطاعة، وأذعنوا، وطلبوا العفو. فعفا عنهم على أن يخرجوا من قرطبة ففعلوا... ثم هدم ديارهم، ومساجدهم، وآثارهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولم تنته المحنة عند هذا الحد بل كان للمأساة فصل آخر في مدينة (طليطلة) حيث نزلها ألوف من أهل الريض بعد تشريدتهم منها، وكانوا لا يصبرون على ظلم الأمراء بل كانوا يثبون عليهم ويخرجونهم فوثى عليهم (الحكم) أحد الدهاة الفاتكين يقال له (عمروس) فكاد لهم حتى قتل من أعيانهم خمسة آلاف رجل..

هذه واقعة واحدة من وقائع الخروج على ولاية الجور، اضطرب فيها الأمن، وسفكت الدماء، واختلقت القلوب، ودمرت الديار، وتشرد الألو، وقتل كثير من الأخيار، وبعد ذلك كله بقي الأمير على كرسي الإمارة حتى جاءه الأجل الموعود، في وقت غير بعيد عن زمن الفتنة بل كان بين موته وبينها أربع سنين فقط، كان الأمر قريب، فلو صبر العلماء وأتباعهم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر لكان خيراً لهم وله، وللإسلام والمسلمين، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

إني أتساءل كيف لم يتعضوا بما حصل قبلهم من المآسي وهم قريبو عهد بها حين خرج من خرج من الصالحين على ولاتهم فنتج من الشر والفساد أضعاف أضعاف ما كانوا ينقمون!! كيف لم يتعضوا بما حصل للقراء مع الحجاج بن يوسف حين ضجوا من ظلمه، وإسرافه في الدماء، فما صبروا ولكن خرجوا فكانت العاقبة وخيمة جد وخيمة، سفك بسببها من الدماء ما لا يعلمه إلا الله، ولو لم تخسر أمة الإسلام في تلك الفتنة إلا سعيد بن جبير لكفى بما خسارة (فقد مات - كما قال ميمون بن مهران - وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه) والله المستعان.

لقد جرّ تضييع أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرعية بالصبر عند رؤية ما تكره من أمرائها جرّ ويلات عظيمة على المسلمين على مدى تاريخهم الطويل. ومحنة الريض إحدى تلك الويلات والفجائع ومع ظهور شؤم الخروج على الأئمة إلا أن الشيطان لا يزال يزين لكثير من

المتحمسين للدين إثارة الفتن والقلاقل غيرة على محارم الله وشرعه فيما يزعمون. فأين التسليم والانقياد الذي يقف بصاحبه عند حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ وأين العقول التي تتعظ وتعتبر بما جرى لمن قبلها فلا تسلك طريق الهلكة الذي سلكوا حتى لا يكونوا عظة وعبرة لمن بعدهم؟. من المستفيد إذا قامت سوق الفوضى في بلاد المسلمين، واختلفت كلمتهم، وتنافرت قلوبهم، وسالت دماؤهم بأيديهم؟، وانشغلوا بالفتن عن الإصلاح، وعن الدعوة إلى الله، وعن الجهاد في سبيله، وعن الأخذ بأسباب العزة والرفعة والرقى؟. إن المستفيد هم أعداء الله من الكفار والمشركين كما حصل في الأندلس نفسها التي شهدت فتنة الرض ومحتتها، وذلك بعد قرون؛ يوم صار بأس المسلمين بينهم شديداً فاهتبل العدو الفرصة فانقض عليهم فقتلهم، وشردهم، وسلبهم أرضهم (وَمَا رُبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ).



## أين أنت يا شيخ حسن حبنكة، ألم يرث حكمتك إلا البوطي؟ للأستاذ بدر الدين الخراط

منهج الشيخ حسن حبنكة رحمه الله تعالى هو منهج السلف الصالح في الفتن وهو اليوم منهج كل علماء الشام المعتبرين، وما شذ عن هذا المنهج منهم إلا دعاة التجديد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذه نقول أسوقها من كتاب لولده العلامة عبد الرحمن رحمه الله تعالى:

"بينما الشيخ الإمام يخاطب أراد بعض المندسين إطلاق كلمات إثارة ضد الدولة، من شأنها التحريض على الهياج والتظاهر الجماعي، فأخرسه الوالد الإمام وقال: "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها" وحسم الأمر، ومضى في خطابه رصيناً هادئاً شجاعاً ضابطاً للموقف، محلاً تحليلاً منطقياً، يطالب الجماهير بالألا يحركوا ساكناً، ويطالب الدولة بأن تعلن موقفها في صحفها، وشجب المقالة الفاجرة التي نشرت في إحدى مجلاتها".

"وأراد البعض تحريك المصلين للتظاهر ضد الدولة فوقف الوالد في محرابه مغضباً يطالب الجماهير بالهدوء وقمع الفتنة.. وقام الشيخ حسين خطاب يخاطب بالناس بعدم إثارة الفتنة واشتد صائحاً لإخراص المشاغبين المثيرين".

"وبعد الخطبة جاؤوا للقبض على الوالد الإمام وكانت الجماهير تحيط به والمسلحون من شباب حي الميدان يلتهبون حماسة للدفاع، لكن أبي لم يسمح أن يطلق رصاصة واحدة ونظر إلى الأمر بحكمته وعقله، فقد علم أن مسلحي حي الميدان لا قدرة لهم على مقاومة أسلحة الجيش ورأى أن الدفاع دفاع خاسر وأن الضحايا سيسقطون دون أي ربح يرجح للقضية، وأن حي الميدان سيتعرض لتدمير واسع وأن النكبة ستحل بسكانه من جراء القيام بدفاع أرعن، أو ثورة رعناء، ففدى الأمر بنفسه وحمل الرجال والنساء وساكني حي الميدان المجاهد البطل واستسلم للاعتقال وسلم أمره إلى الله عز وجل بعد أن تمنع أول الأمر".

والشيخ كريم راجح حاول جهده أن يوصل رسالة الحكمة هذه ولكن الأمر كان أكبر منه، فقد نهي عن التظاهر في أول الأحداث بلهجة صارمة:

"وأخر كلمة أقولها لكم: لا أريد أن أسمع أي صوت، وإذا ببصير أصوات لن تكون من جماعتي أنا !! اللي عندي أنا مريهم هدوليه ما بيشتغلوا شي".

"ولا أريد كذلك في الخارج شيء من الصراخ والعياط والزعيق، لا أريد شيئاً من ذلك".

وقد لخص معاناته قائلاً:

"ولقد كان واثقاً بأن الغوغائية لا يجني منها ذووها إلا العنت والفشل، والتقهر والزلل.. وما أحوج المسلمين اليوم إلى التأسيس الهادئ والخطى الثابتة، وكم فوّت الغوغائيون على المسلمين فرصاً سانحة".

الشيخ البوطي هو الوريث الشجاع الوحيد لمدرسة السلف في أي مدرسة ينتسب الشتامون!!؟

## وصول عبد الملك بن مروان إلى الحكم ومقتل عبد الله بن الزبير - الكامل في التاريخ لابن الأثير

مقدمة:

إذا ذكرت قصة من التاريخ، فإني أذكرها لا لأمدح طرفاً أو شخصاً ولا لأنتقد آخر، ولا أذكرها للتندر ولا للتسلية، ولكن لأخذ العبر منها. كنت قد نقلت سابقاً إجماع العلماء بانعقاد إمامة من يصل إلى سدة الحكم بالقوة والغلبة وإن كان فاسقاً، وذكروا الأدلة على ذلك والسبب، فهل هناك أمثلة من التاريخ الإسلامي تدعم هذه الفكرة؟ في الحقيقة الأمثلة كثيرة جداً، وسأنتقل إحداها ولعلها الأشهر. سأنتقل هنا خبر مقتل الصحابي عبد الله بن الزبير على يد الحجاج، وقد كان -أي عبد الله- خليفة المسلمين في مكة بعد موت معاوية بن يزيد. ولكن عبد الملك بن مروان رأى أنه الأحق بالخلافة فخرج عليه وأرسل له جيشاً بقيادة الحجاج فقتله ونكّل به وبأصحابه، بعد أن ضرب مكة بالمنجنيقات مما أدى إلى تدمير جزء من الكعبة المشرفة!!

وكما يقول الفقهاء: "إنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير."، وهذا طبعاً لا يبرر له ما فعله، ولكن الفقهاء صححوا خلافته حقناً للدماء وجمعاً للكلمة، كما جاء سابقاً في بحث (انعقاد الإمامة بالقهر والغلبة).

من هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنه؟ (تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، كنيته أبو بكر، وقيل أبو حبيب بضم الخاء المعجمة، صحابي ابن صحابي وأبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، وأم أبيه صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولد بالمدينة بعد عشرين شهراً من الهجرة وقيل في السنة الأولى، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، وفرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً لأن اليهود كانوا يقولون سحرناهم فلا يولد لهم ولد، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتمرة لآكها وسماه عبد الله وكانه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته.

كان صواماً قواماً طويلاً للصلاة وصولاً للرحم عظيم الشجاعة، قسم الدهر ثلاث ليال، ليلة يصلي قائماً حتى الصباح وليلة راکعاً وليلة ساجداً حتى الصباح.

روي له عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة وثلاثون حديثاً، روى عنه أخوه عروة وابن أبي مليكة وعباس بن سهل وثابت البناني وعطاء وعبيدة السلماني وخلائق آخرون.

خلافة عبد الله بن الزبير ومقتله - باختصار (تاريخ الخلفاء)

كان ممن أبي البيعة ليزيد بن معاوية وفرّ إلى مكة ولم يدع إلى نفسه لكن لم يبايع، فوجد عليه يزيد وحداً شديداً، فلما مات يزيد بويج له بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام ومصر فإنه بويج بهما معاوية بن يزيد. فلم تطل مدته، فلما مات أطاع أهلها ابن الزبير وبايعوه. ثم خرج مروان بن الحكم فغلب على الشام ثم مصر واستمر إلى أن مات سنة خمس وستين وقد

عهد إلى ابنه عبد الملك. والأصح ما قاله الذهبي أن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين بل هو باغ خارج على ابن الزبير ولا عهده إلى ابنه بصحيح، وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير.

وأما ابن الزبير فإنه استمر بمكة خليفة إلى أن تغلب عبد الملك بن مروان فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفاً فحصره بمكة أشهراً ورمى عليه بالمنجنيق. وخذل ابن الزبير أصحابه وتسلموا إلى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه.

### خلافة عبد الملك بن مروان (تاريخ الخلفاء)

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو الوليد، ولد سنة ست وعشرين، بويح بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير فلم تصح خلافته، وبقي متغلباً على مصر والشام ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فصحت خلافته من يومئذ واستوثق له الأمر.

### تفصيل مقتل عبد الله بن الزبير كما جاء في (الكامل في التاريخ لابن الأثير)

لما بويح عبد الملك بالشام بعث إلى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره أن لا يدخل المدينة، وأن يعسكر بالعرضة وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر الجمحي، فهرب الحارث وكان ابن أنيف يدخل ويصلي بالناس الجمعة ثم يعود إلى معسكره فأقام شهراً ولم يبعث إليهم ابن الزبير أحداً.

وكتب إليه عبد الملك بالعود إليه فعاد هو ومن معه وكان يصلي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظي، ثم عاد الحارث إلى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الرزقي الأنصاري وكان رجلاً صالحاً عاملاً على خيبر وفدك فنزل في عمله فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحارث بن الحكم وقيل: اسمه عبد الملك -وهو أصح- في أربعة آلاف، فسار حتى نزل وادي القرى وسيّر سريةً عليها أبو القمقام في خمسمئة إلى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فأدركوه فقتلوه ومن معه. فاغتم عبد الملك بن مروان لقتله وقال: قتلوا رجلاً مسلماً صالحاً بغير ذنب.

وعزل ابن الزبير الحارث واستعمل مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزهري، فوجه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستمئة فارس وأربعين فارساً إلى خيبر، فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس، فقاتلوهم فانهزم أصحاب أبي القمقام وأسر منهم ثلاثون رجلاً فقتلوا صبراً. وقيل: بل قتل الخمسمئة أو أكثرهم.

ووجه عبد الملك طارق بن عمرو مولى عثمان وأمره أن ينزل بين أيلة ووادي القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويسد خلافاً إن ظهر له. فوجه طارق إلى أبي بكر خيلاً فاقتتلوا فأصيب أبو بكر في المعركة وأصيب من أصحابه أكثر من مئتي رجل.

وكان ابن الزبير قد كتب إلى القباع أيام كان عامله على البصرة يأمره أن يرسل إليه ألفي فارس ليعينوا عامله على المدينة، فوجه إليه ألفي رجل، فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الأسود أن يسير جيش البصرة إلى قتال طارق، فسار البصريون عن المدينة وبلغ طارقاً الخبر فسار نحوه، فالتقى فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم.

ورجع طارق إلى وادي القرى وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الأسود، وعزل ابن الزبير جابراً واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف الذي يعرف بطلحة الندى سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتى أخرج طارق.

فلما قتل عبد الملك مصعباً وأتى الكوفة، وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين وقيل: في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير.

وكان السبب في تسييره دون غيره أنه قال لعبد الملك: قد رأيت في المنام أبي أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني إليه وولي قتاله.

فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا، فسار في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة، ونزل الطائف وكان يبعث الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير أيضاً فيقتلون بعرفة، فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر.

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويخرجه بضعفه وتفرق أصحابه ويستمدده، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجاج، فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة، فكان ثعلبة يخرج المخ وهو على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة، وكان مع ذلك شديداً على أهل الزبير، وقدم طارق على الحجاج بمكة في ذي الحجة في خمسة آلاف.

وأما الحجاج فإنه قدم مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجة، فنزل بئر ميمون وحج بالناس تلك السنة إلا أنه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة، منعه ابن الزبير من ذلك، فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل ابن الزبير، ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لأنهم لم يفوا بعرفة ولم يرموا الجمار ونحر ابن الزبير بدنة بمكة.

ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة، وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون: خذل في دينه.

وحج ابن عمر تلك السنة فأرسل إلى الحجاج: أن اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فإنك في شهر حرام وبلد حرام، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيراً، وإن المنجنيق قد منعهم عن الطواف فكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة.

فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا، ولم يمنع ابن الزبير الحجاج من الطواف والسعي، فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج: انصرفوا إلى بلادكم فإننا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد.

وأول ما رمي بالمنجنيق إلى الكعبة رعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة، فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم، فأخذ الحجاج حجر المنجنيق بيده فوضعه فيه ورمى به معهم، فلما أصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، فانكسر أهل الشام، فقال الحجاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فأبشروا.

فلما كان الغد جاءت الصاعقة فأصاب من أصحاب ابن الزبير عدة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها، وكان الحجر يقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف، وكان أهل الشام يقولون: يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا إليك لتجزين بالذي أتىكا يعنون: عصيت وأتيت.

وقدم عليه قوم من الأعراب فقالوا: قدمنا للقتال معك، فنظر فإذا مع كل امرئ منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من غمده فقال: يا معشر الأعراب لا قربكم الله! فوالله إن سلاحكم لرت وإن حديثكم لغث وإنكم لقتال في الجذب أعداء في الخصب.

فتفرقوا ولم يزل القتال بينهم دائماً، فغلت الأسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد الذرة بعشرين درهماً، وإن بيوت ابن الزبير لملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمرًا، وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلا ما يمسك الرمق ويقول: أنفس أصحابي قوية ما لم يفن.

فلما كان قبيل مقتله تفرق الناس عنه وخرجوا إلى الحجاج بالأمان، خرج من عنده نحو عشرة آلاف، وكان ممن فارقه ابنه حمزة وخبيب وأخذوا لأنفسهما أماناً، فقال عبد الله لابنه الزبير: خذ لنفسك أماناً كما فعل أخواك فو الله إني لأحب بقاءكم. فقال: ما كنت لأرغب بنفسي عنك. فصبر معه فقتل.

ولما تفرق أصحابه عنه خطب الحجاج الناس وقال: قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق. ففرحوا واستبشروا فتقدموا فملؤوا ما بين الحجون إلى الأبواء.

فدخل على أمه فقال: يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي إلا اليسير، ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يتلاعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك، وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، كم خلودك في الدنيا! القتل أحسن! فقال: يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني. قالت: يا بني إن الشاة لا تتألم بالسليخ إذا ذبحت، فامض على بصيرتك واستعن بالله.

فقبل رأسها وقال: هذا رأيي، والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله وأن تستحل حرماته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فقد زدني بصيرة فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر إلى الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عملاً بفاحشة، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء أثر عندي من رضا ربي، اللهم لا أقول هذا تركية لنفسي ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تسلو عني! فقالت أمه: إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً إن تقدمتني احتسبتك وإن ظفرت سررت بظفرك، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك.

فقال: جزاك الله خيراً فلا تدعي الدعاء لي. قالت: لا أدعه لك أبداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق. ثم قالت: اللهم ارحم طول ذاك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بأبيه وبني! فتناول يديها وقبلهما فقالت: هذا وداع فلا تبعد. فقال لها: جئت مودعاً لأني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا. قالت: امض على بصيرتك وادن مني حتى أودعك. فدنا منها فعانقها وقبلها فوقع يدها على الدرع فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد. فقال: مالبسته إلا لأشد منك. قالت: فإنه لا يشد مني، فزرعها.

فخرج وهو يقول: إني إذا أعرف يومي أصبر وإنما يعرف يومه الحر، إذ بعضهم يعرف ثم ينكر، فسمعتة فقالت: تصبر إن شاء الله أبواك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب. فحمل على أهل الشام حملةً منكرةً فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وقال له بعض أصحابه: لو لحقت بموضع كذا. قال: بئس الشيخ أنا إذاً في الإسلام، لئن أوقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم.

ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الأبواب وكانوا يصيحون به: يا ابن ذات النطاقين. فيقول: وتلك شكاة ظاهر عنك عارها، وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجلاً من أهل كل بلد، وكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني تميم، وكان الحجاج وطارق من ناحية الأبطح إلى المروة، فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية، فكانه أسد في

أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو في أثر القوم حتى يخرجهم، ثم يصيح: أبا صفوان! ويل أمه فتحاً، لو كان له رجال أو كان قرني واحداً كفيته! فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف: إي والله وألف.

فلما رأى الحجاج أن الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجل وأقبل يسوق الناس ويصمد بهم. صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه. فتقدم ابن الزبير على صاحب علمه وضاربهم وانكشفوا وعرج وصلى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بني شيبه وصار العلم بأيدي أصحاب الحجاج.

فلما فرغ من صلواته تقدم فقاتل بغير علم، فضرب رجلاً من أهل الشام وقال: خذها وأنا ابن الحواري! وضرب آخر وكان حبشياً فقطع يده وقال: اصبر أبا حمدة اصبر ابن حام.

وقاتل معه عبد الله بن مطيع وهو يقول: أنا الذي فررت يوم الحره، والحر لا يفر إلا مرة، واليوم أجزى فرةً بكره، وقاتل حتى قتل وقيل: إنه أصابته جراح فمات منها بعد أيام.

وقال ابن الزبير لأصحابه وأهله يوم قتل بعد صلاة الصبح: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم وعليهم لمغافر. ففعلوا. فقال: يا آل الزبير لو طبتم بي نفساً عن أنفسكم، كنا أهل بيت من العرب اصطلحنا في الله فلا يرعكم وقع السيوف، فإن ألم الدواء للجراح أشد من ألم وقعها، صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا تسألوا عني، فمن كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول احمّلوا على بركة الله.

ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون، فرمي بأجرة، رماه رجل من السكون فأصابته في وجهه فأرعرش لها ودمي وجهه، فلما وجد الدم على وجهه قال: فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما. وقاتلهم قتالاً شديداً فتعاوروا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة، وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه إلى الحجاج فسجد ووفد السكوني والمرادي إلى عبد الملك بالخبر فأعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار.

وسار الحجاج طارق وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا. فقال الحجاج: أتمدح مخالف أمير المؤمنين قال: نعم هو أعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذر، إنا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو في غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف منا بل يفضل علينا. فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقاً.

ولما قتل ابن الزبير كبر أهل الشام فرحاً بقتله فقال ابن عمر: انظروا إلى هؤلاء ولقد كبر المسلمون فرحاً بولادته وهؤلاء يكبرون فرحاً بقتله.

وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون.

فأرسلت إليه، فكتب إليه يلومه ويقول: ألا خليت بينه وبين أمه! فأذن لها الحجاج فدفتته بالحجون، فمر به عبد الله بن عمر فقال: السلام عليك يا أبا حبيب! أما والله لقد كنت أهلك عن هذا ولقد كنت صواماً قواماً وصولاً للرحم، أما والله إن قوماً أنت شرهم لنعم القوم.

وكان ابن الزبير قبل قتله بقي أياماً يستعمل الصبر والمسك لثلاثين، فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك فقيل: إن الحجاج صلب معه كلباً ميتاً، فغلب على ريح المسك وقيل: بل صلب معه سنوراً.

ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة ناقه لم ير مثلها، فسار إلى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبد الله، فأتى باب عبد الملك فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل سلم عليه، ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة: إنه كان فقال عبد الملك: وما فعل قال:

قتل فخر ساجداً، فقال عروة: إن الحجاج صلبه فهب جثته لأمه. قال: نعم وكتب إلى الحجاج يعظم صلبه. وكان الحجاج لما فقد عروة كتب إلى عبد الملك يقول له: إن عروة كان مع أخيه فلما قتل عبد الله أخذ مالاً من مال الله فهرب. فكتب إليه عبد الملك: إنه لم يهرب ولكنه أتاني مبيعاً وقد آمنتته وحللتته مما كان، وهو قادم عليك فيايك وعروة. وعاد عروة إلى مكة وكانت غيبته عنها ثلاثين يوماً. فأنزل الحجاج جثة عبد الله عن الخشبة، وبعث به إلى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضواً عضواً فاستمسك وصلى عليه عروة فدفنته.

وقيل: إن عروة لما كان غائباً عند عبد الملك كتب إليه الحجاج وعواده في إنفاذ عروة إليه، فهم عبد الملك بإنفاذه فقال عروة: ليس الذليل من قتلتموه ولكن الذليل من ملكتموه، وليس بملوم من صبر فمات ولكن الملوم من فر من الموت. فسمع مثل هذا الكلام فقال عبد الملك: يا أبا عبد الله لن نسمع منا شيئاً تكرهه.

وإن عبد الله لم يصل عليه أحد، منع الحجاج من الصلاة عليه، وقال: إنما أمر أمير المؤمنين بدفنه وقيل: صلى عليه غير عروة، والذي ذكره مسلم في صحيحه: إن عبد الله بن الزبير ألقى في مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلاً وماتت وكانت قد أضرت وهي أم عروة أيضاً.

فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم، وسار إلى المدينة، وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة، فلما قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخف بهم وقال: أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة، منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد، ثم عاد إلى مكة فقال حين خرج منها: الحمد لله الذي أخرجني من أم نتن، أهلها أخبث أهل بلد، وأغشه لأمير المؤمنين وأحسد لهم له على نعمة الله، والله لو ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعوذون بها، ورمة قد بليت، يعني بذلك منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبلغ جابر بن عبد الله قوله فقال: إن وراءه ما يسوؤه، قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد أن أنظره. وقيل: إن ولاية الحجاج المدينة وما فعله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنة أربع وسبعين في صفر.

## فتنة ابن الأشعث وأخذ العبر منها - خطبة للشيخ سلطان العيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد ففي قصص من سبقنا عبرة ومزدجر (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين\* وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

يسمع الناس بالفتن وخطرها وسوء عاقبتها، ولكن كما قيل: **بالمثال يتضح المقال**. من الفتن التي هزت الأمة الإسلامية، وكادت تطيح بالخلافة زمن بني أمية؛ **فتنة عبد الرحمن بن الأشعث**، وكان ابتداءها سنة إحدى وثمانين. قال الحافظ ابن كثير: وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان **الحجاج يغيضه، وكان هو يفهم ذلك، ويضمر للحجاج السوء وزوال الملك عنه**، ثم إن الحجاج بن يوسف نائب الخليفة عبد الملك بن مروان على العراق جهز جيشاً من البصرة والكوفة وغيرها لقتال رتبيل الكافر ملك الترك، الذي آذى أهل الإسلام وقتل فئات منهم، وأمر الحجاج على ذلك الجيش ابن الأشعث، مع أنه كان يغيضه كما تقدم، حتى إنه كان يقول: ما رأيته قط حتى همت بقتله. ودخل ابن الأشعث يوماً على الحجاج وعنده عامر الشعبي، فقال الحجاج: انظر إلى مشيئته!! والله لقد همت أن أضرب عنقه. فأخبر الشعبي ابن الأشعث بما قال الحجاج، فقال ابن الأشعث: وأنا والله لأجهدن أن أزيله عن سلطانه إن طال بي البقاء.

فسار ذلك الجيش بإمرة ابن الأشعث، حتى وطئ أرض (رتبيل)، ففتح مدناً كثيرة، وغنم أموالاً كثيرة، وسبى خلقاً من الكفار، ورتبيل ملك الكفار يهرب منهم من مدينة لأخرى. ثم إن ابن الأشعث رأى لأصحابه أن يوقفوا القتال، حتى يتقووا إلى العام المقبل، ولتستقر الأمور في البلاد التي فتحوها. فكتب إليه الحجاج يأمره بالاستمرار في القتال، ويذمه ويعيره بالنكول عن الحرب، فغضب ابن الأشعث، ثم سعى في تأليب الناس على الحجاج. وقام والد ابن الأشعث - وكان شاعراً خطيباً، فقال: إن مثل الحجاج في هذا الأمر ومثلنا كما قال القائل: (احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك)، إنكم إن ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطان الحجاج، وإن هلكتم كنتم الأعداء البغضاء. ثم قال: **اخلعوا عدو الله الحجاج، ولم يذكر خلع الخليفة، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا أميركم عبد الرحمن بن الأشعث، فإني أشهدكم أبي أول خالع للحجاج**. فقال الناس من كل جانب: **خلعنا عدو الله الحجاج - وكانوا يغيضونه -** ووثبوا إلى ابن الأشعث فبايعوه، ولم يذكروا خلع الخليفة. وبعد بيعة الفتنة تلك تبدلت الأمور، ووقع ما لم يكن في الحسبان، فقد انصرف ابن الأشعث عن قتال الترك الكفرة!! وسار بجيشه المفتون مقبلاً إلى الحجاج ليقاتله ويأخذ منه العراق، فلما توسطوا في الطريق، قالوا: إن خلعنا للحجاج خلع لابن مروان، فخلعوا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وجددوا البيعة لابن الأشعث، فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخلع أئمة الضلالة وجهاد الملحدين.

فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع أمير المؤمنين، كتب إلى الخليفة بذلك يعلمه، ويستعجله في بعثه الجنود إليه، فانزعج الخليفة واهتم وسعى الناصحون المصلحون في درء الفتنة.

فكتب المهلب بن أبي صفرة إلى ابن الأشعث يحذره، وينهاه عن الخروج على إمامه وقال:

إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل، أبق على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الله الله!! انظر لنفسك فلا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت أخاف الناس على نفسي، فالله أحق أن تخافه من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم أو استحلال محرم، والسلام عليك.

ثم أخذ الخليفة عبد الملك في تجهيز الجنود في نصرة الحجاج في قتاله الخارجين على الجماعة، وجعل المفتونون يلتفتون على ابن الأشعث من كل جانب، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومئة وعشرون ألف راجل!!!

حتى دخلوا البصرة، فخطب ابن الأشعث وبايعهم، وبايعوه على خلع الخليفة ونائبه الحجاج بن يوسف، وقال لهم ابن الأشعث:

ليس الحجاج بشيء، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك الخليفة لنقاتله، ووافق على خلعهما جميع من بالبصرة من الفقهاء والقراء والشيخ والشباب.

قال الحافظ ابن كثير: وتفاقم الأمر وكثر متابع ابن الأشعث على ذلك، واشتد الحال وتفرقت الكلمة جداً، وعظم الخطب واتسع الخرق ١.هـ.

ثم التقى جيش الخليفة وجيش ابن الأشعث، فقال القراء الذين خلعوا البيعة: أيها الناس قاتلوا عن دينكم وديناكم.

وقال عامر الشعبي \_ وكان من الأئمة، لكن ابن الأشعث فتنه \_ قال: قاتلوهم على جورهم، واستغلاهم الضعفاء!! وإماتتهم الصلاة.

ثم بدأ القتال، ما بين كر وفر، يقتتل الناس كل يوم قتالاً شديداً، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق كثير، واستمر هذا الحال مدة طويلة، ثم كتب الخليفة إلى ابن الأشعث ومن معه يقول:

إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج خلعتي، وأبقيت عليكم أعطياتكم، وليخير ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت.

فلما بلغ ذلك ابن الأشعث خطب الناس وندبهم إلى قبول ما عرضه عليهم أمير المؤمنين من عزل الحجاج وإبقاء الأعطيات، فثار الناس من كل جانب، وقالوا: والله لا نقبل ذلك، نحن أكثر عدداً وعدة!!

ثم جددوا خلع الخليفة عبد الملك واتفقوا على ذلك كلهم، واستمر القتال بين الفئتين مئة يوم وثلاثة أيام على ما قاله ابن الأثير.

وصبر جيش الخليفة بقيادة الحجاج، بالحرب، فأمر بالحملة على كتيبة القراء الذين خلعوا الخليفة، لأن الناس كانوا تبعاً لهم، وهم الذين يرضونهم على القتال، والناس يقتدون بهم، فحمل جيش الحجاج عليهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وبعدها انهزم ابن الأشعث ومن معه، فلحقهم جيش الحجاج يقتلون ويأسرون، وهرب ابن الأشعث ومعه جمع قليل من الناس، فأرسل الحجاج خلفه جيشاً كثيفاً ليقتلوه ويأسروه ففر ابن الأشعث حتى دخل هو ومن معه إلى بلاد رتييل الكافر ملك الترك!!! فأكرمه وأنزله عنده وأمنه وعظمه كيداً للمسلمين.

هرب ابن الأشعث بعد أن أثار فتنة أهلكت الحرث والنسل فقتل من أتباعه من قتل، وأسر كثير منهم، فقتلهم الحجاج بن يوسف، وهرب من بقي منهم. ومنهم عامر الشعبي الإمام الثقة، فأمر الحجاج أن يؤتى بالشعبي فجيء به حتى دخل على الحجاج.

قال الشعبي: فسلمت عليه بالإمرة، ثم قلت:

أيها الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، والله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، قد والله تمردنا عليك وحرضنا، وجهدنا كل الجهد، فما كنا بالأتقياء البررة، ولا بالأشقياء الفجرة، لقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا، وما جرت إليك أيدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك، وبعد فالحجة لك علينا.

فقال الحجاج لما رأى اعترافه وإقراره: أنت يا شعبي أحب إلي من يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثم يقول ما فعلت ولا شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبي.

ثم قال الحجاج: يا شعبي كيف وجدت الناس بعدنا يا شعبي؟ وكان الحجاج يكرمه قبل دخوله في الفتنة.

فقال الشعبي مخبراً عن حاله بعد مفارقتة للجماعة: أصلح الله الأمير؛ قد اكتحلت بعدك السهر!! واستوعرت السهول!! واستجلست الخوف!! واستحليت الهم!! وفقدت صالح الإخوان!! ولم أجد من الأمير خلفاً!!

فقال الحجاج: انصرف يا شعبي، فانصرف آمنا.

ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث، فقتلهم مثنى وفرادى!!! حتى قيل إنه قتل منهم بين مئة ألف وثلاثين ألفاً!!! منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، وجماعات من السادات، حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمه الله.

وكان ممن تبع ابن الأشعث طائفة من الأعيان منهم مسلم بن يسار وأبو الجوزاء، وأبو المنهال الرياحي ومالك بن دينار والحسن البصري رحمه الله. وذلك أنه قيل لابن الأشعث: إن أردت أن يقاتل الناس حولك كما قاتلوا حول هودج عائشة فأخرج الحسن البصري معك، فأخرجه وكان ممن خرج أيضاً سعيد بن جبير وابن أبي ليلى الفقيه وطلحة بن مصرف وعطاء بن السائب، وغيرهم.

قال أيوب: فما منهم من أحد صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه، ولا نجا أحد منهم إلا حمد الله أن سلمه!!!

ثم إن الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث، أرسل إليه يقول: والله الذي لا إله إلا هو، لئن لم تبعث إلي بابن الأشعث لأبعثن إليك بألف مقاتل ولأخربنها.

فلما تحقق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشاروا عليه بتسليم ابن الأشعث قبل أن يخرب الحجاج دياره، ويأخذ عامة أمصاره، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث فقبض عليه وعلى ثلاثين من أتباعه، فقيدهم بالأصفاد وبعثهم مع رسل الحجاج إليه.

فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له (الرخج) صعد ابن الأشعث وهو مقيد بالحديد إلى سطح قصر، ومعه رجل موكل به لئلا يفر فألقى ابن الأشعث بنفسه من ذلك القصر، وسقط معه الموكل به فماتا جميعاً، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاختزه، وقتل من معه من أصحابه، وبعث برؤوسهم إلى الحجاج، فأمر فطيف برأس ابن الأشعث في العراق، ثم بعثه إلى أمير المؤمنين عبد الملك فطيف به في الشام، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هناك، ثم دفن.

قال الحافظ ابن كثير: والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالإمارة: كيف يعمدون إلى خليفة قد بوع له بالإمارة على المسلمين من سنين، فيعزلونه وهو من صليبية قريش، ويباعون لرجل هندي بيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد!!!

ولهذا لما كانت هذه زلة وقلنة نشأ بسببها شر كثير، هلك فيه خلق كثير، فإننا لله وإنا إليه راجعون. هـ.

ذكر ابن الأثير في تاريخه: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال: أنا ابن فلان بن فلان، قتل جدي يوم بدر، وقتل جدي فلان يوم أحد، وجعل يذكر مناقب سلفه، فنظر عمر إلى جلسه فقال: هذه المناقب والله، لا يوم الجماجم ويوم راهط، من الخروج وحمل السلاح على المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

إن فتنة ابن الأشعث كانت فتنة عظيمة فرقت الكلمة، وقتل فيها أكثر من مئة ألف مسلم، وفي هذه الحادثة فوائد منها:

أولها: أن للفتن في أول نشوئها لذة وحلاوة تستهوي كثيراً من الناس، إلا من عصمه الله ونجاه، وقد خرج كثير من القراء مع ابن الأشعث، فضلاً عن عامة الناس، كان كلامهم في أول الفتن قوياً ومهيجاً، تكلم متكلموهم، وأبدع خطباؤهم، في التحريض على قتال جند الخليفة.

قال أبو البخترى: أيها الناس قاتلوهم على دينكم وديناكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم، وليبن على ديناكم.

قوال عامر الشعبي: أيها الناس قاتلوهم، ولا يأخذكم حرج من قتلهم، والله ما أعلم على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أعمل بجور منهم. وقال سعيد بن جبير نحو ذلك.

ووالله لو كانوا يعلمون ما ستؤول الأمور إليه لما قالوا ما قالوا، ولكنها الفتن تعمى فيها الأبصار.

ثانياً: إذا وقعت الفتن فإن ضحاياها الأبرار والفجار، قال الله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

ذكر ابن الأثير في تاريخه أن الحجاج لما غلب جيش ابن الأشعث أخذ يبايع الناس وكان ظالماً، وكان لا يبايع أحداً إلا قال له اشهد على نفسك أنك كفرت، يعني بنقضك البيعة وحملك السلاح، فإن قال نعم بايعه، وإلا قتله.

فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس كلهم، فسأله الحجاج عن حاله فأخبره باعتزاله، قال الحجاج، بل أنت متربص بنا، أتشهد أنك كافر؟

قال الرجل: بئس الرجل أنا أعبد الله ثمانين سنة، ثم أشهد على نفسي بالكفر.

قال الحجاج: أقتلك إذا؟

قال الرجل: وإن قتلتني.

فقتله الحجاج، ولم يبق أحد من أهل الشام والعراق إلا رحمه، وحزن لقتله.

ثالثاً: إذا ولت الفتنة مدبرة، عند ذلك يندم من دخل فيها لما يراه من الفساد والشر الذي نتج عنها، واستمع إلى أهلها وقد جيء بهم حتى أوقفوا بين يدي الحجاج بن يوسف. هاهو فيروز بن الحصين أسر فأتي به إلى الحجاج فقال له: أبا عثمان!! ما أخرجك مع هؤلاء، فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم؟ فقال: أيها الأمير فتنة عمت، فأمر به الحجاج فضربت عنقه، ثم دعا الحجاج بعمر بن موسى فجاء به موثقاً، فعنفه الحجاج، فاعتذر، وقال أصلح الله الأمير!! كانت فتنة شملت البر والفاجر، فدخلنا فيها، فقد أمكنك الله منا، فإن عفوت بفضلك، وإن عاقبت ظلمت مدينين. فقال الحجاج: أما إننا شملت البر والفاجر، فقد كذبت، ولكنها شملت الفاجر وعوفي منها الأبرار، وأما إقرارك فعسى أن ينفحك. فرجى له الناس السلامة، لكن الحجاج أمر به فضربت عنقه. ثم دعا الحجاج بالهضام بن نعيم فقال: ما أخرجك مع ابن الأشعث؟ وما الذي أملت؟ فقال الرجل: أملت أن يملك ابن الأشعث فيوليني العراق، كما ولاك عبد الملك. فقتله الحجاج، ثم دعا بأعشى همدان وقد تبع ابن الأشعث، وعمل الشعر في التحريض على قتال الخليفة، فلما دخل على الحجاج أنشد يعتذر:

أبي الله إلا أن يتم نوره ... ويطفى نار الفاسقين فتحمدا

فقتلهم قتلى ضلال وفتنة ... وجيشهم أمسى ذليلاً مرددا

فما لبث الحجاج أن سل سيفه ... علينا فولى جيشنا وتبددا

جنود أمير المؤمنين وخيله ... وسلطانه أمسى عزيزاً مؤيدا

ليهناً أمير المؤمنين ظهوره ... على أمة كانوا سعاة وحسدا

نزلوا يشتكون البغي من أمرائهم ... وكانوا هم أبغى البغاة وأعدنا

فقال الحجاج: والله يا عدو الله لا نحمدك، وقد قلت في الفتنة ما قلت، وحرضت الناس علينا، فضربت عنقه وألحق بأصحابه.

رابعاً: إذا وقعت الفتنة سعى أهلها في استدراج بعض الخواص إليهم ليحتجوا بهم عند العامة، وقد قيل لابن الأشعث: إذا أردت أن يقاتل الناس حولك كما قاتلوا حول هودج عائشة فأخرج الحسن البصري معك، فأخرجه. وخرج مع ابن الأشعث بعض الأئمة، كسعيد بن جبير، ومالك بن دينار وغيرهما، ففتن الناس والمعصوم من عصمه الله. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيد بالله من الفتن ويأمر بذلك في كل صلاة، لأن بعضها يجعل الحليم حيراناً، ذلك أن أهل الفتنة يزينون فعلهم بكثرة موافقيهم. فابن الأشعث قاتل معه أكثر من مئة وخمسين ألفاً، وتبعه جماعة من السادات، لكن فعلهم لم يكن مرضياً، إذ هو خلاف النصوص الآمرة بالجماعة والصبر، الناهية عن الخروج والفرقة والمنازعة. قال أيوب: ما منهم من أحد صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه، ولا نجا من نجا منهم إلا حمد الله وسلمه. قال الإمام ابن بطة العكبري في التحذير والاعتذار بالكثرة: والناس في زماننا أسراب كالطير يتبع بعضهم بعضاً!! لو ظهر فيهم من يدعي النبوة \_ مع علمهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء \_ أو من يدعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعاً وأشياًعاً.

خامساً: أن عاقبة الفتن وخيمة، ومآل أهلها الخسران، فهاهو ابن الأشعث خرج على جيش إسلامي مجاهداً في سبيل الله، ثم صار رأساً في الفتنة، فترك قتال الكفار وهجم على أهل الإسلام!! وقتل بسببه جمع كثير، واضطربت الأمور وكثر الشر، ثم آلت به الحال أن يلجأ إلى ملك الكفار الذي كان يقاتله بالأمس، فرح به الكافر وأكرمه إغاظة للمسلمين. وهكذا الفتنة تقود صاحبها إلا ما لا يريد. وليت ابن الأشعث وقف عند هذا لكان حيناً، وما هو وربي بهين، لقد غدر به الملك الكافر وأرسله موثقاً إلى الحجاج، فأسقط في يده، فلما كان ببعض الطريق، صعد قصرأ فألقى نفسه، فمات، فمن كان يظن أن نهايته تكون كذلك.

سادساً: لقد ألبس ابن الأشعث فتنته هذه لباس الشرع، وأوهمهم أنها إنكار للمنكر ونصرة للدين، لكن الباطن خلاف ذلك، قد ذكر ابن الأثير أن الحجاج كان يبغض ابن الأشعث، ويقول: ما رأيته قط إلا وأردت قتله، وهو يعلم ذلك، وكان يهدد ويقول: وأنا والله لأجهدن أن أزيل الحجاج عن سلطانه إن طال بي البقاء. ونص ابن كثير على أن سبب تلك الفتنة كره ابن الأشعث للحجاج، ثم جمع حوله من يبغضون الحجاج، فانظروا كيف استغل كره الناس ليشأر منه وينكد عليه!!

ولهذا فمن دعا إلى مفارقة الجماعة وإثارة الفتنة فهو صاحب هوى مريض قلب، مخالف للسنة، وإن ظهر فعله ذلك في صورة إنكار للمنكر.

سابعاً: إذا وقعت الفتنة، فإن أول من يصطلي بناها من أوقدها، فتقلب الأمور عليهم، ويتسلط الجهال من أتباعهم حتى يكون الأمر والنهي عليهم. وقد كتب الخليفة إلى ابن الأشعث عزل الحجاج وتوليته مكانه، وبقاء أعطيات الناس، فمال إلى ذلك ابن الأشعث، فخطب الناس وقال: اقبلوا ما عرض عليكم، وأنتم أعزاء أقوياء، فوثب الجهال من كل مكان يقولون: لا والله لا نقبل نحن أكثر منهم عدداً وعدة، وأعادوا خلع الخليفة ثانية، وبايعوا ابن الأشعث، فانصاع لأمرهم ووافقهم حتى آل أمره إلى ما آل إليه.

ثامناً: من فارق الجماعة ودخل في الفتنة فهو في غربة ووحشة، ومآله أن يتخلى عنه أحبائه وأعوانه. هاهو الشعبي يصف حاله بعد أن خلع البيعة ودخل مع ابن الأشعث: فقدت صالح الإخوان ولم أجد من الأمير خلفاً. من أجل ذلك كان الأئمة يحرضون على الاجتماع زمن الفتن. يقول حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله \_ يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله \_ يقولون له: إن الأمر تفاقم وفشا \_ يعنون إظهار القول بخلق القرآن، ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم الإمام أحمد في ذلك وقال: عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، لا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم،

واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر. وقال لهم: ليس هذا - يعني نزع أيديهم من طاعتهم - صواباً، هذا خلاف الآثار. هـ الإمام أحمد يقول هذا، وقد آذاه السلطان وجلده وسجنه، ثم منعه من لقيا الناس، لكن أهل السنة أهل عدل واجتماع ومتابعة للنصوص يرجون ما عند الله تعالى.

وآخرها: أن هذه الفتنة تدل على أهمية التمسك بالآداب الشرعية زمن الفتن، فمن تلك الآداب: الحذر من الفتن وعدم الاستشراف لها واعتزال أهلها. ومنها الحلم والرفق، فلا تعجل في قبول الأخبار، والأفكار والآراء، والحكم على الناس تحفظاً وتصويماً، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه. ومنها لزوم جماعة المسلمين وإمامهم والحذر من التفرق، لقول حذيفة رضي الله عنه لما ذكر له النبي صلى الله عليه وسلم الفتن، قال: فما تأمري إن أدركني ذلك؟ فقال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

ومنها الالتفاف حول علماء السنة أهل التوحيد، والحذر من التفرق عنهم ومنازعتهم، والصدور عن آرائهم والاستجابة لنصحهم ووالله، وتالله، وبالله: إن أول باب يلج الرجل منه إلى الفتنة الطعن بالعلماء، والاستبداد بالرأي دونهم. ومن رأيتموه يقدح في علمائنا فاعلموا أنه مفتون، فإن من علامة أهل البدع الوقعة في أهل السنة، ومنها أن الفتن إذا وقعت فما كل ما يعلم يقال، وليت بعض الناس يتكون الأمور العظام للعلماء الكبار حفاظاً على اجتماع الكلمة، لأن مرد الناس في آخر أمرهم للعلماء، فمن كان عنده رأي فليعرضه عليهم (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

انتهى

أضيف إلى الخطبة السابقة ما يلي:

**موقف الحسن البصري من الفتنة:**

كان الحسن البصري معارضاً للخروج على الحجاج على ابن الأشعث، ولكنهم مازالوا به حتى أكرهوه على الخروج معهم، ثم نجّاه الله - عز وجل - بفضلله ورحمته، وكاد أن يهلك، وهذه جملة من أخباره تنبئ بذلك:

"عن سليمان بن علي الربيعي قال: لما كانت الفتنة - فتنة ابن الأشعث - إذ قاتل الحجاج بن يوسف، انطلق عقبة بن عبد الغافر، وأبو الجوزاء، وعبد الله بن غالب في نظرائهم، فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد، ماتقول في قتال هذا الطاغية، الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة وفعل، وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج، قال: فقال الحسن: أرى أن لا تُقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادّي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاءً، فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نُطيع هذا العليج! قال: وهم قومٌ عرب. قال: وخرجوا مع ابن الأشعث، قال: فقتلوا جميعاً".

وعن الحسن قال: "لو أنّ النَّاسَ إذا ابْتُلُوا من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يُفْرَجَ عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيؤكلون إليه، فوالله ما جاؤوا بيوم خيراً قط".

وعن ابن عون قال: "كان مسلم بن يسار أرفع عند أهل البصرة من الحسن، حتى خفَّ مع ابن الأشعث، فلم يزل في علوٍ منها بعد، وسقط الآخر".

وجاء في سير أعلام النبلاء:

عن أيوب قال: "قيل لابن الأشعث: إن سرَّك أن يُقتلوا حولك كما قُتلوا حول جمل عائشة، فأخرج الحسن، فأرسل إليه، فأكرهه".

وعن ابن عون قال: "استببطأ الناس أيام ابن الأشعث؛ فقالوا له: أخرج هذا الشيخ - يعني الحسن - قال ابن عون: فنظرْتُ إليه بين الجسرين، وعليه عمامة سوداء. قال: فغفلوا عنه، فألقى نفسه في بعض تلك الأنهار، حتى نجا منهم، وكاد يومئذ أن يهلك"

### ندم الناس لأنهم لم يستمعوا إلى نصيح الحسن البصري الذي أمرهم بترك قتال الحجاج:

لقد ثبت مروياً بإسناد صحيح من طريق الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري: ندم كثير من الناس على عدم الأخذ بنصح الحسن البصري زمن فتنة ابن الأشعث، وتترك قتال الحجاج الحاكم الظالم، قالوا: يا ليتنا كُنَّا أظعنأه، يا ليتنا كُنَّا أظعنأه.

- رواية البخاري:

فقد روي البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٣٩/٧) قال: وقال لنا موسى بن إسماعيل -وفي «التاريخ الأوسط» (١٠٧٥/٢ رقم: ٨٦٧) قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن جعفر، قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: لقيت معبداً الجهني بمكة، بعد (فتنة) ابن الأشعث وهو جريح، وقد قاتل في المواطن كلها، فقال: لقيت الفقهاء والناس، لم أر مثل الحسن، يا ليتنا أظعنأه!! كأنه نادم على قتال الحجاج.

- رواية أحمد:

وروى الإمام أحمد في «الزهد» (٤٧٤/١ رقم: ١٦٣١) قال: حدثنا سيّار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار، قال: لقيتني معبداً الجهني، وأنا على ظهر وهو على ظهر، قال: فقال: (يا مالك! إني طففت الأمصار، ورأيت الناس، فلم أر مثل الحسن بن أبي الحسن، يا ليتنا كنا أظعنأه، يا ليتنا كنا أظعنأه).

أخيراً أقول: وكأني بالناس اليوم، أو في الغد القريب، يقولون: يا ليتنا كنا أظعنأه، يا ليتنا كنا أظعنأه، فوالله قد بلغنا وحدّرتنا، وبالمقابل حوّنناه وربما كقره أو بدّعه وفسّقه جهالنا، فسكتنا عنهم وربما شجعناهم، فغزّهم فعلهم فقتلوه، مع أن الإشفاق علينا كان يقطر من فمه. ولكنّها الفتنة، عمّت!!

رحم الله الدكتور البوطي وأسكنه فسيح جنانه، فقد وقف في وجه الفتنة وقوف الجبال، فلم ترحزحه عن الحق قيد شعرة حتى لاقى ربه، ولم ينسّق وراء الناعقين كما فعل غيره ممن فُتنوا فحملوا في رقابهم دماء المسلمين.

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعل خاتمة هذا الأمر إلى خير، وعجل لنا بالفرج.

## فتنة خلق القرآن ومحنة الإمام أحمد بن حنبل - البداية والنهاية لابن كثير

ما قصة هذه الفتنة؟ وكيف كانت امتحاناً للإمام أحمد؟ وكيف صبر وصمد في وجهها؟ وما كان موقفه من الخليفة الذي أكره الناس بالقوة على اعتناق مذهب يخالف مذهب أهل السنة والجماعة، فكان يضرب ويقتل كل من لا يستجيب له، ومن غُذّب الإمام أحمد رضوان الله عليه؟ هذه القصة توضح وتجيّب عن هذه الأسئلة.

روى البيهقي: عن الربيع قال: بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل، فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب فقال: أقرأته؟ فقلت: لا! فأحذه فقرأه فدمعت عيناه، فقلت: يا أبا عبد الله وما فيه؟ فقال: يذكر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وقرأ عليه مني السلام وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبه، يرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة.

قال الربيع: فقلت حلاوة البشارة، فخلع قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه، فلما رجعت إلى الشافعي أخبرته قال: إني لست أفجعك فيه، ولكن بله بالماء وأعطيني حتى أتبرك به.

### ملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السنة:

قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل.

قال البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهجهم، فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء (أي المعتزلة) فحملوه على ذلك وزينوا له، واتفق خروجهم إلى طرسوس لغزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثمان عشرة ومائتين.

فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فتهدهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين: واستمر على الامتناع من ذلك الامام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجند يسابوري، فحملاً على بعير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك، وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد، فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر، فسلم على الامام أحمد وقال له: يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل، وإنك إن لم تقتل تمت، وإن عشت عشت حميداً.

قال أحمد: وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه.

فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادماً وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول: يعز علي يا أبا عبد الله أن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف.

قال: فجتى الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال: سيدي، غرّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته.

قال: فجاهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل.

قال أحمد: ففرحنا، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد، وأن الأمر شديد، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، ونالني منهم أذى كثير، وكان في رحليه القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان، فأودع في السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً، وقيل نيفاً وثلاثين شهراً، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم. وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رحليه.

ذكر ضربه رضي الله عنه بين يدي المعتصم:

لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده، قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في التكة وحملتها بيدي، ثم جاؤوني بدابة فحملت عليها فكادت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني، فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم، فأدخلت في بيت وأغلق علي وليس عندي سراج، فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه، ثم قمت ولا أعرف القبلة، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة والله الحمد.

ثم دعيت فأدخلت على المعتصم، فلما نظر إلي وعنده ابن أبي دؤاد قال: أليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخ مكهل؟ فلما دنوت منه وسلمت قال لي: ادنه، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال: اجلس! فجلست وقد أثقلني الحديد، فمكثت ساعة ثم قلت: يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

قلت: فياني أشهد أن لا إله إلا الله.

قال: ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس، ثم قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه، وذلك أبي لم أتفقه كلامه، ثم قال المعتصم: لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أتعرض إليك، ثم قال: يا عبد الرحمن ألم أمرك أن ترفع المحنة؟ قال أحمد: فقلت، الله أكبر، هذا فرج للمسلمين، ثم قال: ناظره يا عبد الرحمن، كلمه.

فقال لي عبد الرحمن [بن إسحاق الشافعي]: ما تقول في القرآن؟ فلم أجبه، فقال المعتصم: أجبه. فقلت: ما تقول في العلم؟ فسكت، فقلت: القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله، فسكت، فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين كفرنا، فلم يلتفت إلى ذلك، فقال عبد الرحمن: كان الله ولا قرآن، فقلت: كان الله ولا علم؟ فسكت.

فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا، فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به، فقال: ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟ فقلت: وهل يقوم الإسلام إلا بهذا.

وجرت مناظرات طويلة، واحتجوا عليه بقوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) [الأنبياء: ٢] ويقول (الله خالق كل شيء) [الرعد: ١٦] وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله (تدمر كل شيء بأمر ربها) [الأحقاف: ٢٥] فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين

ضال مضل مبتدع، وهنا قضاتك والفقهاء فسلمهم، فقال لهم: ما تقولون؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد، ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظره أيضاً، ثم في اليوم الثالث، وفي ذلك كله يعلو صوته عليهم، وتغلب حجته حججهم.

قال: فإذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد، وكان من أجهلهم بالعلم والكلام، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل، فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الاحتجاج بها، وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها، وقد تكلم معي ابن غوث بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه، فقلت: لا أدري ما تقول، إلا أني أعلم أن الله أحد صمد، ليس كمثله شيء، فسكت عني.

وقد أوردت لهم حديث الرؤية في الدار الآخرة فحاولوا أن يضعفوا إسناده ويلفقوا عن بعض المحدثين كاملاً يتسلقون به إلى الطعن فيه، وهيهات، وأنى لهم التناوش من كان بعيد؟ وفي غيوب ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول: يا أحمد أجبني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي وممن يظاً بساطي.

فأقول: يا أمير المؤمنين يأتيوني بآية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجيبهم إليها.

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) [مریم: ٤٢] وبقوله: (وكلم الله موسى تكليماً) [النساء: ١٦٣] وبقوله (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) [طه: ١٤] وبقوله: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [النحل: ٤٠] ونحو ذلك من الآيات.

فلما لم يقيم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل.

وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتي، فعند ذلك حمي واشتد غضبه، وكان أليتهم عريكة، وهو يظن أنهم على شيء.

قال أحمد فعند ذلك قال لي: لعنك الله، طمعت فيك أن تجبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه.

قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وحيء بالعاقبين والسياط وأنا أنظر، وكان معي شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم مصورة في ثوبي، فجردوني منه وصرت بين العقابين، فقلت: يا أمير المؤمنين الله الله، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا الله إلا بإحدى ثلاث" وتلوت الحديث، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم" فيم تستحل دمي ولم آت شيئاً من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين الله كوقفي بين يديك، فكأنه أمسك.

ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر، فأمر بي فقمتم بين العقابين وحيء بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتي فلم أفهم، فتخلعت يداي وحيء بالضرايين ومعهم السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له - يعني المعتصم -: شد قطع الله يديك، ويجيء الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك، فضربوني أسواطاً فأغمي علي وذهب عقلي مراراً، فإذا سكن الضرب يعود علي عقلي، وقام المعتصم إلي يدعوني إلى قولهم فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك! الخليفة على رأسك، فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه، فأعادوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة، فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رحلي، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً، وقيل ثمانين سوطاً، ولكن كان ضرباً مبرحاً شديداً جداً.

وقد كان الإمام أحمد رجلاً رقيقاً أسمر اللون كثير التواضع رحمه الله.

ولما حمل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم، أتوه بسويق ليفطر من الضعف فامتنع من ذلك وأتم صومه، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن سماعة القاضي وصلت في دمك؟! فقال له أحمد: قد صلى عمر وجرحه يشعب دماً، فسكت.

ويروى أنه لما أقيم ليضرب انقطعت تكة سراويله فخشي أن يسقط سراويله فتكشف عورته فحرك شفتيه فدعا لله فعاد سراويله كما كان، ويروى أنه قال: يا غياث المستغيثين، يا إله العالمين، إن كنت تعلم أنني قائم لك بحق فلا تهتك لي عورة.

ولما رجع إلى منزله جاءه الجراحي ففقط لحمًا ميتاً من جسده وجعل يداويه والنائب في كل وقت يسأل عنه، وذلك أن المعتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندماً كثيراً، وجعل يسأل النائب عنه والنائب يستعلم خبره، فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك، ولما شفاه الله بالعافية بقي مدة وإهمامه يؤذيها البرد، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى (وليعفوا وليصفووا) الآية [النور: ٢٢].

ويقول: ماذا ينفعلك أن يعذب أخوك المسلم بسببك؟ وقد قال تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) [الشورى: ٤٠] وينادي المنادي يوم القيامة: "ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا" وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله".

وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيوا بالكلية أربعة: أحمد بن حنبل وهو رئيسهم، ومحمد بن نوح بن ميمون الجند يسابوري، ومات في الطريق. ونعيم بن حماد الخزازي، وقد مات في السجن، وأبو يعقوب البويطي وقد مات في سجن الوثائق على القول بخلق القرآن. وكان مثقلاً بالحديد. وأحمد بن نصر الخزازي وقد ذكرنا كيفية مقتله.

انتهى

أقول: روي أنه اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الوثائق إلى أبي عبد الله \_ يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله \_ يقولون له: إن الأمر تفاقم وفشا \_ يعنون إظهار القول بخلق القرآن، ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم الإمام أحمد في ذلك وقال: عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، لا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر. وقال لهم: ليس هذا \_ يعني نزع أيديهم من طاعتهم \_ صواباً، هذا خلاف الآثار. هـ الإمام أحمد يقول هذا، وقد آذاه السلطان وجلده وسجنه، ثم منعه من لقيا الناس، لكن أهل السنة أهل عدل واجتماع ومتابعة للنصوص يرجون ما عند الله تعالى.

ثم إنه عندما جاء الإمام أبو الحسن الأشعري، إمام أهل السنة والجماعة، قضى على بدع المعتزلة هذه، بالحجة والبرهان، ولم يقم لهم بعده قائمة. ونودي عندما مات: "اليوم مات ناصر السنة".

## رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول. ومعاملة المنافق في الإسلام للدكتور البوطي

(الجزء الأول من المقالة من موقع إسلام ويب، أما معاملة المنافق في الإسلام فهو من كتاب فقه السيرة للدكتور البوطي رحمه الله).

### عبد الله بن أبي بن سلول - موقع إسلام ويب

في شهر شوال من السنة التاسعة للهجرة، وبعد آخر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارى التراب جثماناً رجلاً كان من أشد الناس خصومةً للإسلام وأهله، وشخصيةً كانت مصدر قلقٍ ومنبع شرٍّ للمجتمع الإسلامي بأسره، ذلك هو زعيم النفاق ورافع لوائه عبد الله بن أبي بن سلول.

هذه الشخصية هي صاحبة الامتياز في إخراج ظاهرة النفاق إلى الوجود، فلم يكن الناس قبل ذلك إلا مؤمناً صادق الإيمان، أو كافرًا مجاهرًا بجهوده، فأضاف ابن سلول طريقاً ثالثاً أخطر من صريح الشرك، وهو الكفر الخفي؛ ليعمل على هدم الإسلام من داخله، ويقضي على تلاحم أبنائه، وتماسك أفرادهم.

وجذور النفاق عميقة في نفس ابن سلول، وكانت البداية قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، يوم كانت المدينة تعيش قتلاً شرساً بين الأوس والخزرج ما إن تهدأ ثأرتها قليلاً حتى تعود للاشتعال مرة أخرى، وانتهى الصراع على اتفاق بين الفريقين يقضي بنبد الخلاف وتنصيب ابن سلول حاكماً على المدينة.

ووددت هذه الفكرة بدخول الإسلام إلى أرض يثرب، وورود الناس حياض الشريعة، واجتماعهم حول راية النبي صلى الله عليه وسلم، فصارت نظرة ابن سلول لهذا الدين تقوم على أساس أنه قد حرمه من الملك والسلطان، وبذلك كانت مصالحه الذاتية وأهواؤه الشخصية وراء امتناعه عن الإخلاص في إيمانه والصدق في إسلامه.

ومنذ ذلك اليوم نصب ابن سلول العداوة الخفية للمسلمين، مدفوعاً بالحقد الذي تنامي في أحشائه، والخبث الذي طبعت عليه نفسه، فكرس حياته لتقويض دعائم الإسلام ودولته، وانطلق ينفث سمومه للتفريق بين المسلمين، وقد تفنن في صنع الافتراءات واختلاق الفتن، وشنّ الحرب النفسية، وزرع بذور الاختلاف، في الضوء حيناً، وتحت جنح الظلام أحياناً.

وإطالة سريعة على تاريخ المدينة تكفي للوقوف على جانبٍ من الأراجيف التي أنشأها، والمؤامرات التي حاكها، خلال سنيها السبع التي قضاها في الإسلام، فيوم أحد انسحب هذا المنافق بثلاثمائة من أصحابه قبيل اللقاء بالعدو، وقد علل ذلك بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟" ذكره الطبري في تاريخه.

وبعد انتصار المسلمين على يهود بني قينقاع سارع ابن سلول في الشفاعة لحلفائه كيلا يقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء إليه وقال: "يا محمد، أحسن في موالي"، وكثر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وأمسكه من ثيابه حتى ظهر الغضب في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد علل إصراره على هذا الموقف بقوله: "قد منعوني من الأحمر والأسود، إني امرؤ أخشى الدوائر"، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هم لك)، رواه ابن إسحاق في سيرته. [راجع تعليق الدكتور البوطي رحمه الله فيما بعد]

وفي غزوة بني النضير قام عبدالله بن أبي بن سلول بتحريض حلفائه من اليهود على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الاستسلام له، ووعدهم بالنصرة والمساعدة، فأعلنوا الحرب، وانتهى بهم الأمر إلى الجلاء من المدينة.

وفي غزوة بني المصطلق، استطاع ابن سلول -بدهاء ومكر شديدين- أن يجيك مؤامرة دنيئة للطعن في عرض خير نساء النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها، وظل المسلمون يكتوون بنار هذه الفتنة شهراً كاملاً حتى نزلت الآيات الكريمة من سورة النور لتفصل في القضية.

ويوم تبوك كان ابن سلول العقل المدبر لفكرة "مسجد الضرار"، وهو مسجد أسسه المنافقون ليكون مقرهم السري الذي تصدر منه الفتن وتصنع فيه الأراجيف لإثارة البلبة بين المسلمين.

وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي حاول فيها ابن سلول كتمان غيظه وبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين، إلا أن فلتات لسانه كانت تشير إلى حقيقة مشاعره الدنيئة، كقوله لرسول الله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين: "إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك"، وقوله لمن حوله: "لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا"، وقوله تعريضاً بالنبي صلى الله عليه وسلم: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل" وكل ذلك مذكور في الصحيحين.

ومع كل فتنة كان يثيرها، ونازٍ كان يشعلها، تنزل الآيات تباعاً لتفضح مسلكه وتبين حقيقته، كقوله تعالى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ (آل عمران: ١٨٦)، وقوله تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ (المائدة: ٥٢)، وقوله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ (المنافقون: ١)، وغير ذلك من الآيات.

وقد يتساءل البعض عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من ابن سلول، كيف تحمّله طيلة هذه السنوات ولم يأمر بقتله؟، والجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يُشاع بين القبائل أن محمداً يقتل أصحابه، حيث إن العرب في أنحاء الجزيرة لم يكونوا يدركون تفاصيل المؤامرات التي تحدث في المدينة، ولن يتمكنوا من استيعاب مبررات العقوبات التي سيتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ذلك المنافق، والصورة التي ستصلهم حتماً صورة مشوهة، حاصلها: أن سيّداً من سادات المدينة ووجهائها اعتنق الإسلام، ثم جاء الأمر بقتله، ولا شك أن هذه الصورة المنقوصة ستشكل حائلاً بينهم وبين اعتناق هذا الدين.

وثمة سبب آخر لا يقل أهمية عن سابقه، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على وحدة الصف الداخلي، خصوصاً في المراحل الأولى من قدومه إلى المدينة، في وقت كانت بذرة الإسلام في نفوس الأنصار لا تزال غضةً طرية، فاختر النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب المداراة والصبر على أذى ابن سلول لتظهر حقيقة الرجل من خلال تصرفاته ومواقفه، وقد أثمر هذا الأسلوب بالفعل، حيث وجد ابن سلول العتاب والبغض في كل موقف من مواقفه، وكان ذلك على يد من كانوا يرغبون في تنويجه ملكاً عليهم في السابق، فنبذه أهله وأقرب الناس إليه.

ولا أدل على ذلك من موقف ولده عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه، والذي كان من خيرة الصحابة، وقد قال يوماً للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله، والذي أكرمك، لئن شئت لأتيتك برأسه"، فقال له: (لا، ولكن برّ أباك وأحسن صحبتته) رواه البزار.

وتدور عجلة الأيام، والمسلمون في معاناتهم من أذى النفاق ومكائده، حتى حانت اللحظات الأخيرة من حياة ابن سلول، ففي أواخر شهر شعبان يسقط على فراشه ويقاسي آلام المرض وشدة الموت، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يكف عن زيارته والسؤال عن حاله بالرغم من عداوته له.

ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أراد بذلك أن يتألف قلب هذا المنافق، لعلّه يلين إلى ذكر الله، والقلوب بين أصابع الرحمن يقبّنها كيف يشاء، إضافةً إلى كون ذلك فرصة فاعلة لدعوة أتباعه وأوليائه.

وتروي لنا كتب السيرة تفاصيل اليوم الأخير من حياة ابن سلول، فقد دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يزوره، فطلب ابن سلول من النبي عليه الصلاة والسلام أن يعطيه ثوبه ليكون كفنًا له، وإنما فعل ذلك ليدفع به العار عن ولده وعشيرته بعد موته - كما قال الإمام ابن حجر -، ولم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم أن يردّ سائلًا أبدًا، فأعطاه قميصه، كرمًا منه وفضلًا، ومكافأة له لما كان منه يوم بدر، فقد استعار النبي صلى الله عليه وسلم من ابن سلول قميصه يوم بدر ليعطيه عمّه العباس رضي الله عنه، وقد كان العباس طويلًا فلم يكن يناسبه إلا قميص ابن سلول.

وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلّ عليه، واستغفر له"، فأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام قميصه، وقام ليصلي عليه، فلما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك أسرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: "أليس الله نكأك أن تصلي على المنافقين؟"، فقال له: (إني خيّر فاحترت، لو أعلم أتي إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها) يعني قوله تعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} (التوبة: ٨٠) فقد جاءت الآية بالتخيير بين الاستغفار وعدمه، فلما صلى عليه نزلت الآية الأخرى وهي قوله تعالى: {ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره} إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون { (التوبة: ٨٤).

بموت عبد الله بن أبي بن سلول انحسرت حركة النفاق بشكل كبير، وتراجع بعض أفرادها عن ضلالهم، في حين اختار البعض الآخر البقاء على الكفر الذي يضمرونه، والنفاق الذي يظهرونه، لا يعرفهم سوى حذيفة بن اليمان صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### معاملة المنافق في الإسلام - فقه السيرة للدكتور البوطي

هذه الحادثة [أي ما جرى من ابن سلول بعد خيانة اليهود في بني قينقاع] وما أعقبها من دفاع عبد الله بن أبي عن اليهود بالشكل الذي رأيناه [وكل ما ذكر أعلاه]، لا تكاد تخفي من أمر نفاق هذا الرجل شيئاً. فقد اتضح من موقفه ذلك أنه كان يصطنع الإسلام نفاقاً، وأنه في أعماق قلبه إنما يضمن شرّاً بالإسلام وأهله.

غير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عامله مع ذلك كله على أنه مسلم، فلم يخفر ذمته، ولم يعامله معاملة المشرك أو المرتد أو الكاذب في إسلامه، وأجابه إلى ما أصر وألحّ في طلبه.

وذلك يدل - كما أجمع العلماء - على أن المنافق إنما يعامل في الدنيا من قبل المسلمين على أنه مسلم، يعامل كذلك، وإن كان نفاقه مقطوعاً به. وسبب ذلك أن الأحكام الإسلامية في مجموعها تتكون من جانبين: جانب يطبق في الدنيا ويكلف المسلمون بتطبيقه على مجتمعاتهم وفيما بينهم، ويشرف على ذلك الخليفة أو رئيس الدولة، وجانب آخر يطبق في الآخرة ويكون أمره عائد إلى الله تعالى.

فأما الجانب الأول، فيقوم أمره على الأدلة القضائية المادية والمحسوسة بحيث لا يترتب شيء من نتائج الأحكام إلا بموجبها، فليس للأدلة الوجدانية والقرائن الاستنتاجية أي أثر في هذا الجانب.

وأما الجانب الثاني، فيقوم على ما استقر في القلوب واستكن في الصدور ومرّد القضاء في ذلك إلى الله تعالى. وليبيان هذه القاعدة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه: (إنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم). ويقول فيما رواه الشيخان: (إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذ منه شيئاً، فإنما هو قطعة من النار).

والحكمة من مشروعية هذه القاعدة، أن تظل العدالة بين الناس في مأمن من التلاعب بها والنيل منها إذ ربما اتخذ بعض الحكام من حجة الأدلة الوجدانية والاستنتاجية وحدها ذريعة إلى الإضرار ببعض الناس بدون حق.

وتطبيقاً لهذه القاعدة الشرعية، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من اطلاعه على كثير من أحوال المنافقين وما تسره أفئدتهم، بوحى من الله تعالى، يعاملهم معاملة المسلمين دون أي تفریق في الأحكام الشرعية العامة.

وهذا لا ينافي أن يكون المسلمون في حذر دائم من المنافقين، وأن يكونوا في يقظة تامة أمام تصرفاتهم، فذلك من الواجبات البديهية على المسلمين في كل ظرف ووقت.





## موقف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي من منتقديه: ٢٠١١/٥/١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أجيب عن سؤالٍ تردد علي كثيراً وأهملته لكن يبدو أنني يجب أن أجيب عن هذا السؤال:

كثيرون هم الأخوة من المحبون والغيارى على الحق وعلى الناس الذين يثقون بهم، فيرسلون إلي أو على الهاتف أو يخاطبونني شفهاً يقولون: كثيرٌ من الناس يتهموني لمواقفي السابقة في الدرس الخاص الذي ألقيته في هذا المسجد قبل ثلاثة أسابيع أو أربعة أسابيع وتعلمون الموقف، فيقولون: هؤلاء يتهمونك بالضلال والكفر وبالجهالة ويفندون موقفك و... إلخ، فما هو موقفك من هؤلاء الذين يقولون هذا الكلام؟ والبعض منهم يجوبن أن أرد عليهم حتى أشفي غليلهم، فهم يعلمون ويحسنون الظن بي أنني قلت كلام حق، والبعض منهم يتصورون أن كلام هؤلاء في بعض المواقع أو في بعض الأجهزة ربما يجعل بعض الشباب يرتابون ويشككون في كلامي فينبغي أن أعود فأبين وأوضح.

هنا أحب أن أجيب:

النقطة الأولى: أنا بوسعي أيها الأخوة - والحمد لله قد أوتيت لساناً بيتاً وقدرةً بالغة على التعبير وقدرة على حوك الكلام، أنا كنت ولا أزال قادراً عندما أتكلم في المناسبات الجماهيرية المختلفة أن أُرضي الناس كلهم على مختلف المستويات ولكن هذا يكلفني شيئاً غالياً جداً، يكلفني أن أصبح منافقاً، المنافق يستطيع أن يُرضي الناس كلهم وأسأل الله عز وجل أن يُجيبني مؤمناً صافي الإيمان، لا أرحل إلى الله وفي إيماني شائبة من الشوائب.

النقطة الثانية: أقول لهؤلاء الأخوة: بوسعي أن أدافع عما قلته وبُث في التلفاز أكثر من مرة وأن أدافع عن نفسي مبيناً أنني ما قلت إلا الحق المتفق مع كتاب الله عز وجل والمتفق مع وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتي لست كما يقولون وأنتي إنسان بريء من هذه التهم، بوسعي أن أقول هذا، لكن يا إخواننا إذا قلت هذا الكلام سأرحل إلى الله غداً بجعبة فارغة ولسوف أصبح مرأباً، إذاً أنا عندما قلت هذا الحق، قلته من أجل أن أبرز قيمة ذاتي، ومن أجل أن أبرز براءتي مما قد أُتهم به، وها أنا ذا أدافع عن نفسي وأقول كذا وكذا، لكن يوم القيامة سيقال لي: إنك قلت وفعلت من أجل أن يقال عنك أنك ملتزم وأنت مستقيم وأنت قادر أن تدافع عن نفسك فقد أخذت أجرك (اتفضل مع السلامة)، لا والله يا أخي لا أريد أن أرحل إلى الله سبحانه وتعالى خالي الوفاض بهذا الشكل أبداً، لذلك أنا لن أدافع أبداً، وإذا أردت أن أدافع عن نفسي أكون قد أهدرت كل الثواب لما قد فعلت إن كان لي ثواب.

النقطة الثالثة: موقف عدم الدفاع عن نفسي لا يخولني باسم التواضع مثلاً أن أقول: والله يمكن أن أكون أنا مخطئاً وهؤلاء الأخوة الذين يُضللوني ويُكفروني ويعتبروني جاهلاً ويعتبروني بلعام بن باعوراء هذا العصر، ويمكن أن يكونوا هم الصادقين وأنا جاهل كذلك، هذا غير جائز، لأن هذا إذا قلته يوجد ناس كثير يثقون بي ومن ثم موافقهم أنا أتحمّل وزرها يوم القيامة، وإذا أردت أن أقول يمكن أن يكونوا على حق وأدافع عنهم ويمكن أن أكون على خطأ وممكن وممكن... إلخ، ففي هذه الحالة أنا أتحمّل أوزارهم يوم القيامة.

إذاً ما الحل؟

الحل أن أصمت، لا أدافع عن نفسي فيما قلت وفي منهجي الذي التزمته ورُبيث عليه في بيتي وألقى الله عز وجل عليه، ولا أتحدث أيضاً مُبرراً مواقف الآخرين الذين يُكفرون ويُضللون... إلخ، إذاً ما الموقف الذي ينبغي أن أتخذه؟ أقول لهؤلاء الأخوة الذين يلاحقونني بالسؤال: الموقف هو أن أصمت وأن أُحيل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، إما أن أكون فيما قد قُلت أتبغني وجهه الله إذاً قرار الله يقول: ﴿إِنَّ

اللَّهُ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} الحج ٣٨، وإما أن أكون قد قلت ذلك لأبرز أمام الناس قُدرتي العلمية والكلامية، وإذا جاء من يجادلني أستطيع أن أجادله وأتغلب عليه بالجدل، إذاً ففي هذه الحالة أنا خسرت دنيائي وآخرتي.

هذا ما أقوله وألتزم به، أنا عندما أدعى أن أقول شيئاً في دين الله عز وجل، أقول ما قد عرفتُه فيما درسته في كتاب الله وسنة رسوله، وأنا لا أبالي برضا الناس وسخطهم، هذا المبدأ قد وضعته نُصب عيني وأرجو أن يتوفاني الله وأنا ملتزم بهذا الذي يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من أَرْضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤونة الناس)

هذا مبدئي الذي أسير عليه، وقد يقول لي أحدهم: ما موقفك من هؤلاء الذي يكفرونك ويقولون عنك كذا وكذا؟

موقفي أيها الأخوة، إذا كان هؤلاء الإخوة مجتهدين في دين الله عز وجل ودلهم اجتهادهم على أنني منخطئ، ضال، تائه لكن انطلقوا إلى هذا من اجتهاد أخطؤوا فيه، فما على المجتهدين من سبيل، أسأل الله أن يشيهم على اجتهادهم، هذا إذا كان اجتهادهم الصافي عن الشوائب جعلهم يتهموني بالمروق ... إلخ. نقول: إذا اجتهد المجتهد فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد، والله يشيهم.

أما إذا كان سبب موقفهم هذا حقداً يهيمن على قلوبهم أو عداوة نفسية سيطرت على كياناتهم أو مصالح شخصية لا يرضى عنها الله عز وجل تسوقهم إلى ذلك فأنا عندئذ أدعو بما دعا به سيدي الشيخ أحمد الرفاعي (أنا ما بطلع قُلامه ظفر للشيخ أحمد الرفاعي الذي أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فقبلها على ملاً من الناس) أدعو بما دعا الشيخ أحمد الرفاعي: اللهم من عاداني فعاده ومن كادني فكده ومن بغى علي فخذه ومن نصب لي هلكة فأهلكه، هذا إذا كان ينطلق من حقد، من ضغينة، من مصلحة ذاتية يريد أن يضحي بسبب مصلحته بالدين كله أو البلد كله أو أي شيء، ففي هذه الحالة هذا هو دُعائي، أما إذا كان مجتهداً فما على المجتهدين من سبيل وليتكلم الذي يريده.

أيها الإخوة دعونا نعاهد رب العالمين ونحن سوف نرحل إليه أن لا نضع نصب أعيننا إلا رضا الله عز وجل، دعونا ننشد ونحن نسير إلى الله نحاطب الله بهذا الكلام:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبينى وبين العالمين حرابُ

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

هكذا نحاطب ربنا عز وجل، ومن هذا المنطلق أدعو لهذا البلد ومن هذا المنطلق أدعو بالهداية للقائمين على شؤون هذا البلد، أنا ليس عندي حقد، أنا عندي ود، أحب أن يرحم الله عباده جميعاً، أحب أن يهدي الله عباده جميعاً، هذا هو المبدأ الذين ننطلق منه .

نحن الآن أيها الإخوة نرى شيئاً غريباً عجبياً، عصر المونتاج وعصر الغرف السوداء وعصور غريبة وعجيبة جداً، صور لا أصل لها تركب.

الآن وصل المونتاج لعندي، في أول أسبوع قامت به مسيرة كنت خطيب الأموي أثناء الخروج من المسجد، كان هناك ثلة قليلة في مدخل المسجد من الداخل، أناس لم يشتركوا في الصلاة ولكنهم كانوا ينتظرون خروج المصلين، ولما خرج المصلون اندسوا بينهم وبدؤوا بالهتاف، طبعاً أنا قلت عن هؤلاء الناس أن جباههم لا تعرف السجود، كانوا ينتظرون في داخل المسجد ريثما يخرج المصلون، فيندمجوا فيهم، وكان الكل يهتفون، ويأتي من يسقط كلامي هذا على كل المسيرات في كل المحافظات ويجعلني أقحم كل الناس بأنهم لا يصلون، هذا مثال للمونتاج الذي يُخلق بواسطته شهادة زور، هذا شيء لا نرضى عنه ولا يرضى الله عز وجل عنه.

أسأل الله عز وجل أن يجعل الإخوة الذين يلاحقونني بهذا السؤال لا يلاحقونني بعد ذلك به.

